شرح حديث

عمران الصابي

تأليف

الحكيم الرباني والفقيه الصمداني

السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي (قدس سره)

طبع بأمر وإشراف

الحكيم الإلهي والفقيه الرباني المولى المجاهد

الحاج ميرزا عبد الله الحائري الإحقاقي

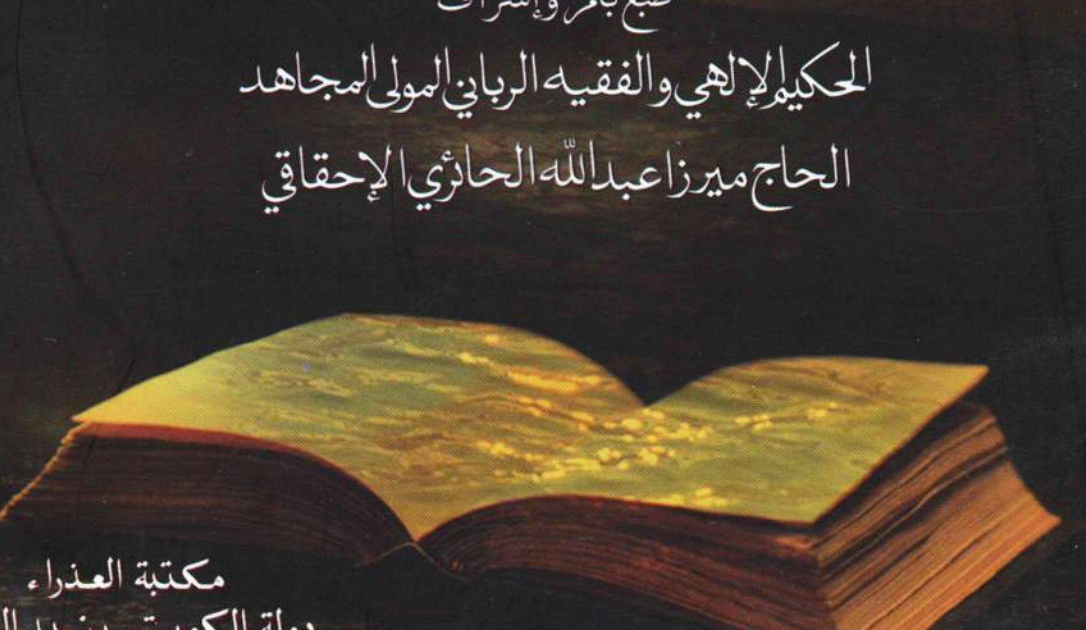

مكتبة العذراء

دولة الكويت ـ بنيد القار

2518170

شرح حديث

عمران الصابي

تأليف

العالم الرباني والحكيم الصمداني

السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي (قدس سره)

طبع بأمر وإشراف

الحكيم الإلهي ،الفقيه الرباني

المولى الحاج ميرزا عبدالله الحائري الإحقاقي

دام ظله العالي

مكتبة العذراء

دولة الكويت - بنيد القار

هاتف : ٢٥١٨١٧٠

شبكة الفكر

alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

شرح حديث

عمران الصابي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد فيقول العبد الجاني والأسير الفاني المقيد بوثائق الآمال والأماني كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي أن جناب الأكرم الأمجد الأنجد اللوزعي (اللوذعي) الألمعي طالب البصيرة العليا في الدين الأميرزا زين العابدين بلغه الله أقصى مدارج العلم واليقين بمحمد وآله الطاهرين عليه وعليهم سلام الله أبد الآبدين قد التمس مني أن أكتب كلمات في شرح حديث عمران الصابي وحل رموزه وفتح مقفله وإيضاح مشكله وإظهار الأسرار المودعة فيه، وإني مع قصور باعي وقلة اطلاعي قد كنت مشغولا بأشغال تمنعني عن التفرغ لما أراد كما أراد، مع ما فيه من كشف الأسرار التي لا ينبغي إظهارها لأهل هذا الزمان لقوله عليه السلام: **(لا تتكلم بما تسارع العقول في إنكاره وإن كان عندك اعتذاره وليس كل ما تسمعه ذكرا وسعته عذرا)**[1]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **(ما كل ما يعلم العالم يقدر أن يفسره فإن من العلم ما يحتمل ومن العلم ما لا يحتمل ومن الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل)**.

ولكني لما ألزمت على نفسي رعايته وأوجبت علي ما استطعت حمايته، ما أمكنني إلا إجابته وسارعت إلى نجح طلبته، سالكا الطريقة الوسطى

---

(١) في كتاب الاحتجاج ج٢ص٣١٩ (وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره و إن كان عندك اعتذاره).

ومازجا بين التصريح في العبارة والتلويح بلطائف الإشارة، فإن في هذا الحديث الشريف من الأسرار والأحوال ما لا تسعه العبارة ولا تحويه الإشارة، وأختصر في المقال لضيق المجال وتبلبل البال وتعارض الأحوال، وأقتصر في شرح الحديث ما يكون متعلقا بمسائل عمران الصابي دون غيره من باقي الحديث لاستلزامه التطويل وأدائه إلى كثرة القال والقيل.

فأقول مستعينا بالرب الجليل بعد قطع الأباطيل ودحض الأضاليل:

قال مولانا وسيدنا علي بن موسى الرضا ﷺ: يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسال فليسأل غير محتشم.

فقام إليه عمران الصابي وكان واحدا من المتكلمين فقال: يا عالم الناس لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل فقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحدا ليس غيره قائما بوحدانيته أفتأذن لي أن أسألك؟.

قال الرضا ﷺ: إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو.

قال: أنا هو.

قال: سل يا عمران وعليك بالنصفه وإياك والخطل والجور.

قال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئا أتعلق به فلا أجوزه.

أقول: اعلم أن السافل ليس إلا محض إفاضة العالي، ولما دلت الأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن الإفاضة لا تكون بالجبر و الاضطرار وإنما تكون بالقبول والاختيار، فالعطاء على نهج الاختيار يستدعي إفاضة من يريد بما يريد كما يريد، لا ما يريد المفيض كما يريد، وإن كان ذلك ما يريد كما يريد بما يريد، فوجب في الحكمه على المفيض المعطي حينئذ السؤال من المستفيض للقبول، ولذا جرى الخطاب التكويني في الشرع الوجودي بلفظ الأمر المنبئ

عن التكليف المنبئ عن الاختيار والإرده فقال سبحانه (كن) وضمير الفاعل فيه (أنت) الراجع إلى المفعول المستفيض فكان المفعول هو فاعل فعل الفاعل الأمر فسأله الآمر الفاعل التكون وقبول ما يعطيه من الوجود فقبل ثم قال تعالى (فيكون) بإرجاع الضمير إلى القابل المفعول وهذه القابلية للسؤال إنما تحققت ووجدت بالسؤال حين الخطاب لا قبله ولا بعده ولذا كان المخاطِب بالكسر والمخاطَب بالفتح مشتقين من الخطاب فلما وجد المفعول بالوجدان الصلوحي الاقتضائي سألوا ربهم بفقر قابليتهم أن يسألهم ما به يمتازون ويختلفون ويأتلفون فسألهم تقريرا للسؤال الأول وإجابة للسؤال الثاني ألست بربكم ومحمد ﷺ نبيكم وعلي والأئمة الأحد عشر وفاطمة الصديقة عليهم وعليها السلام أولياؤكم فأجابوا فمنهم على جهة المحبة والموافقة لمراد الله سبحانه ومنهم على جهة المخالفة والإنكار فسعد من سعد وشقي من شقي ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[1].

ثم لما التقى الماءان واختلط البحران بحر عليين وبحر سجين صار عند أهل سجين قشر ورشح من علين وبالعكس وذلك بتوارد القطرة النأزلة من عليين من المزن تحت العرش الخارقة للسماوات الواصلة إلى الأرض، والبخار الصاعد من سجين إلى الأرض، فالعرضيات اختلفت بالقوة والضعف والزيادة والنقصان، فعرضية أولئك فيهم تستدعي ظهور الإيمان ظاهرا أو فعل بعض لبعض الطاعات وعرضيتهم في أولئك تقتضي الكفر ظاهرا أو فعل بعض المعاصي وهذا هو المراد بالخلط واللطخ.

ثم لما كان الإمام ؑ جابر الكسير ومتمم النقصان وولي التدبير فاللازم عليه أن يصفي أهل اللطخ والخلط من كدورة الظلمات ويخرجهم من الظلمات

---

(١) التغابن ٢

إلى نور الهدايات، وذلك الإخراج يجب أن يكون من دون الإكراه والإجبار إذ لا إكراه في الدين، فلذلك أجرى كلامه إثباتا لهذا الغرض والمدعى مجرى السؤال الاختياري، ولأن ما من المبدأ الإفاضة على نهج السؤال وليمكّن قابليات الحاضرين لطلب الحق وقبوله، إذ بدون السؤال ربما يحتشمون عن السؤال ولا يسألونه فيبقون على الضلال، وربما ييأسون لما شاهدوا من إبطال حجج أهل المقالات والملل فيحقرون أنفسهم عن سؤاله فيبقى على ضلاله، ومطلوبه عليه السلام الهداية وشأنه إخراجهم عن الضلالة إن قبلوا ولذا سألهم عليه السلام وقال: **(يا قوم إن كان فيكم من يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم... الخ)** وإنما عمم سؤاله إتماما للحجة على الكفار والمعاندين الذين أنكروا واستكبروا ولم يقروا، وإعانة للطيبين الذين غرتهم عوارض الخلط واللطخ العرضي فأظهروا الإنكار ذاهلين عما في ذواتهم من الأنوار، وإكمالا للنعمة بزيادة التبصرة والهداية بعد الهداية والنور على النور على المؤمنين المقربين ودفعا لشبهة المشبهين المموهين الذين يموهون على عامة الناس بأنهم سلام الله عليهم غير عالمين كما قال أبو حنيفة وما يعرف جعفر بن محمد وإنما هو رجل صحفي إلى غير ذلك من كلمات المموهين وعند التخصيص لا تعم هذه المطالب والمقاصد.

وهذا في التكوين والتشريع في كل مقام بحسبه إلا أن بيان أحوالهما وكيفية سؤاله مما لا ينبغي إظهاره في هذا الزمان الذي قد مد الجور باعه وأسفر الظلم قناعه ودعا الغي أتباعه فكثر مجيبوه وملبوه، إلا أن الإسلام الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وأن عليا عليه السلام ولي الله إذا تجسد في التكوين وتشخص في التعين ظهرت الصورة الإنسانية على اليقين كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: **(إن الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على**

خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده والهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجمع صور العالمين وهي الشاهد على كل غائب والحجة على كل جاحد وهي الصراط المستقيم وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار)[1]. فالصورة الإنسانية الظاهرة جسد وصورة للصورة الباطنية التي هي الأعمال والاعتقادات فتصاغ البواطن على تلك الحدود والهيئات فكمال الإخلاص يقتضي كمال الصورة وجمالها وقلة الإخلاص تقتضي اعوجاجها وعدم استقامتها، والإنكار يقتضي الصورة الخبيثة البهيمية من الكلبية والخنزيرية من الظاهرية والباطنية، فكما أن الإسلام الظاهري إنما كان بقول الإمام عليه السلام وكذلك الإسلام التكويني الحقيقي إنما كان بنور الإمام وبقوله التكويني لأن أمر الله واحد في الوجود والتكوين كذلك الكفر الظاهري كان بمخالفة الإمام عليه السلام وإنكاره كذلك الكفر التكويني بمخالفة القول التكويني قال تعالى﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾[2] لأن الإمام عليه السلام نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجار.

وقوله عليه السلام **(وأراد أن يسأل فليسأل)** تنبيه لما الأمر عليه في الواقع الوجودي من الإفاضة والإعطاء على مستحقيها فإن من لم يرد السؤال لم يقبل الجواب، فالقابلية سؤال وإجابة، كما أن سؤال المفيض إجابة وسؤال، وهو سر الأمر بين الأمرين الذي قام عليه العالم في النشأتين.

وقوله عليه السلام **(غير محتشم)** لبيان تمكين القابلية لأن السؤال يستدعي سائلا ومسؤولا وتمكين القابلية للإجابة وذلك برفع الموانع وتخلية السرب وإعطاء الأمر، والاحتشام يمنع قابلية المطلوب عن السؤال فيحرم عن الجواب

---

(١) لم نجد عين هذه الرواية ووجدنا ما يقرب منها في المعنى في كتاب مجموعة الرسائل للشيخ لطف الله الصافي ج١ ص٥٠.

(٢) الحديد ١٣.

فيحرم عن الخير فيبطل غرض الإيجاد، ونقض الغرض من الحكيم محال.

فقام إليه عمران الصابي وقد كان رجلا من الصائبة.فاختلف أقوال العلماء فيهم وفي مذهبهم، فقيل أنهم جنس من أهل الكتاب وعن ابن الجنيد أنهم قوم من النصارى، ونقل العلامة أنهم مبتدعة النصارى كما أن السأمريه مبتدعة اليهود، وقيل أنهم ليسوا من النصارى وهو قول الشيخ في المبسوط وإنما هم عبدة الكواكب، ويقال أن الصابئين فرقتان فرقة توافق النصارى في أصول الدين وفرقة يخالفونهم فتعبد الكواكب السيارة وتضيف الآثار إليها وتنفي الصانع المختار، وعن علي بن إبراهيم القمي صاحب التفسير **(الصابئون قوم لا مجوس ولا يهود ولا نصارى ولا مسلمون ولكنهم يعبدون الكواكب والنجوم)**[1].

وقال شيخنا وأستادنا أطال الله بقاءه وجعلني فداه الذين شاهدناهم قبلتهم من مهب الشمال، وأما ما ينتسبون إليه من الأنبياء فبعضهم يدعي أن نبيهم يحيى، وسمعنا من بعضهم أن نبيهم إبراهيم، ومن بعضهم ممن يظهر منه آثار المعرفة أن نبيهم آدم، فقلت له هل كان بعد آدم أنبياء أم لا؟فقال قد كان، فقلت له: لِمَ لَمْ تتبعوهم وقد كان منهم من له شريعة نسخت شريعة آدم؟فقال: إن آدمَ عهد إلينا أن لا نتبع أحدا من الأنبياء بعده، وقال بعضهم أن المعبود الحق هو ماري وزوجته شيماشي وله أولاد أربعة كبيرهم هييل زيوا،وقضماهي ومندارهي وششلام ربه ،فلما ذكرت ذلك لذلك العارف أنكر الأولاد والزوجة وقال إن هييل زيوا هو جبرائيل ومندارهي معناه رب الأرض وهو اسم ماري، والحاصل إنهم ليسوا من أهل الكتاب، وأخبرني

(١) الحدائق الناضرة ج ٢٤ ص ٣٢.

ذلك الرجل الذي أسلم منهم وظاهره الديانة والصدق أن لهم قراءة على الذبيحة لا تحل الذبيحة عندهم إلا بها وهي(ميدهيى شمند ادهيى قمطر خوالخ يثاهي هي القريخ هييل زيوا منسى متغيى قمطر خوالخ بوقضمايا)، قال ولهم أسماء يحلفون بها ولا يكذبون إذا حلفوا بها وهي(نخست ابيرزنا وهللت ابيرزنا أنانخاسا ماري هياساهوبى هطاتي شفاشافي تكلاتي) انتهى كلامه جعلني الله فداه.

وقال صاحب الملل والنحل إن الصابئة ظهرت في أول سنة من ملك طهمورث ثالث ملوك الدنيا وأن الفِرَق في زمان الخليل صلوات الله عليه كانت راجعة إلى صنفين الصابئة والحنفاء، فالصابئة تقول إنا نحتاج في معرفة الله سبحانه ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لا جسمانيا، وذلك لذكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب، والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب يماثلنا في المادة والصورة، والحنفاء كانت تقول إنا في المعرفة نحتاج إلى متوسط من جنس البشر يكون درجته في الطهارة والعصمه والتأييد والحكمه فوق الروحانيات، يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية، ويلقي إلى نوع الإنسان بطرف البشرية، ثم لما لم يتطرق للصابئة الإفضاء إلى الروحانيات البحتة والتقرب إليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها، فزعت جماعة إلى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت، وربما تنزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن الإنسان شيئا، والفرقة الأولى هم عبدة الكواكب والثانية عبدة الأصنام.

وقال أيضا إن الصابئة الأولى كانت تقول بنبوة غازيمون وهرمس وهما شيث وإدريس عندهم، وتنكر نبوة من بعدهما من الأنبياء ثم عادوا إلى إنكار

النبوة رأسا وزعموا أنهما كانا حكيمين لا نبيين... إلخ.

والحاصل أنهم ليسوا من أهل الكتاب ولا من أهل الذمة وإنما هم حربيون كما قال الصادق عليه السلام على ما رواه صاحب مجمع البحرين قال عليه السلام: **(سمي الصابئون لأنهم صبوا إلى تعطيل الأنبياء والرسل والشرائع وقالوا كل ما جاءوا به باطل فجحدوا توحيد الله تعالى ونبوة الأنبياء ورسالة المرسلين ووصية الأوصياء فهم بلا شريعة ولا كتاب ولا رسول)**[1]. انتهى الحديث، وقوله عليه السلام (جحدوا توحيد الله) يعني على التحقيق والواقع، لأنهم أثبتوا له الأولاد والبنين ووصفوه بصفات لا تليق بعز جلاله وعظم شأنه كما سمعت، وعمران قبل إسلامه وإيمانه كان من تلك الطائفة المخذولة ولذا سمي بعمران الصابي وكان من المتكلمين الباحثين عن كلام الله وصفاته وأفعاله وآثاره.

ولما كان مسألة كلام الله مما طال التشاجر والنزاع فيها بين الأشاعرة والمعتزلة وغيره من سائر الفرق والملل من كونه قديما أو حادثا، عين الذات أو غيهر، أو لا عينها ولا غيرها، أو هو عينها في المصداق وغيرها في المفهوم، وغير ذلك مما وقع الكلام والبحث والاختلاف فيه، فلما كثر البحث في ذلك سموا الباحثين في ذلك متكلمين، ثم سرى بحثهم وجرى في غير الكلام من سائر الصفات والأفعال والمبادي، فجعلوه علما برأسه وسموه علم الكلام، لأنه هو الأصل في هذا المرام، وجعلوا موضوع علمهم ذلك ذات الله سبحانه، حيث أن بحثهم في ذلك العلم إنما كان عن أحوال الله سبحانه وصفاته الثبوتية والسلبية، فتكون الذات هو الموضوع، ولم يتفطنوا أن الموضوع هو الذي يبحث عن عوارضه الذاتية، والعوارض ما

---

(١) بحار الأنوار ج٥ ص٥٣

يعرض الشيء لذاته أي بغير واسطة، كالتعجب العارض للإنسان، أو لأمر يساويه كالضحك العارض للإنسان بواسطة التعجب، أو لجزئه كالحركة العارضة للإنسان بواسطة الحيوان الذي هو أحد جزئيه كما قالوا، والعرض أيضا إما أن يكون لازما أو مفارقا، واللازم إما أن يكون للماهية كالزوجية للأربعة، أو للوجود الخارجي الشخصي كالإحراق للنار، أو للنوعي كالكلية للإنسان، فإذا كان المبحوث عنه في العلم هو العوارض الذاتية وكان المعروض الموضوع هو ذات الله سبحانه القديمة، فهذه العوارض لا تخلو إما أن تكون حادثة أو قديمة، وعلى الثاني لا تخلو إما أن تكون هي الله سبحانه لا غير أم غيرها، وعلى الأول بطل الموضوع والعوارض لضرورة أن العوارض خارجة عن ذات المعروض وإلا لم تكن عارضة، فلا بد من الاختلاف وإن كان بالاعتبار، والتعدد الاعتباري موجب لتكثر الذات إن كان اعتبارا صوابا وصدقا وإلا فكذب وباطل، وعلى الثاني تعددت القدماء ونفته أدلة التوحيد، وعلى الأول كانت ذات الله سبحانه محلا للحوادث ضرورة أن الموضوع هو محل الأعراض كما نصوا عليه في الفَرْق بين الموضوع والمحل، بأن الموضوع هو محل العرض فقط، والمحل يكون محلا للجوهر كالهيولى للصورة الجوهرية، وقد دلت الأدلة القطعية من العقلية والنقلية بامتناع كونه تعالى محلا للحوادث، وامتناع كونه تعالى معروضا لعارض أو ملزوما للازم أو مشروطا بشرط، سبحانه وتعالى عما يقوله الملحدون علوا كبيرا، فالله سبحانه ليس موضوعا لعرض ولا محلا لجوهر.

وقد ذكر بعضهم في الفرق بين علم الكلام وعلم الحكمة أن الكلام هو ما يبحث فيه عن أحوال المبدأ والمعاد على نهج قانون الإسلام، والحكمة هي ما يبحث فيه عن أحوال المبدأ والمعاد لا من جهة قانون الإسلام بل بمقتضى العقل طابق قواعد الإسلام أم خالف، لا أنهم يتعمدون المخالفة، وإذا أردنا

تصحيح هذا الفرق يجب أن نقيد الإسلام الذي يجري علم الكلام المتداول على قوانينه وقواعده ما عليه العامة من المخالفين، وأما على قواعد أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ فلا يطابق شيئا من ذلك وإنما يخالفها ويضادها، كقولهم أن موضوع علم الكلام ذات الله سبحانه، وكقولهم أن المفهوم ينقسم إلى واجب لذاته وواجب لغيره، وممتنع لذاته وممتنع لغيره وممكن لذاته، وكقولهم إن مفهوم الوجوب والقدم والحدوث أمور اعتبارية، وكقولهم أن الواجب مفهوم كلي منحصر في الفرد، وكقولهم أن المشية والإراده من صفات الذات، وهكذا من سائر أقوالهم الباطلة وعقايدهم الفاسدة المخالفة لما عليه أصحاب العصمة والطهارة، صلى الله على محمد وعليهم أجمعين، كما فصلنا وشرحنا في كثير من مباحثاتنا وأجوبتنا للمسائل ونشير إلى نبذة فيها بعد إن شاء الله تعالى.

وكذلك يجب تقييد العقل الذي عليه مدار قواعد علم الحكمة وقوانينه بما يعم الجهل والنكراء والشيطنة حتى يمكن القول بمخالفته للشرع، فحينئذ يقال أن الحكمة قد تخالف الشرع، وأما إذا فسرنا العقل بما فسره به الأئمة الهداة ﷺ من أنه (ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان)[1]، وأنه (النور الإلهي المحبوب عند الله تعالى حين قال الله تعالى أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر ثم قال له عند كمال الامتثال ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك)[1]، وأنه النبي الباطني، وأنه النعمة التي أنعم الله بها على عباده كما ورد في تفسير قوله تعالى

---

(١) في الكافي ج١ ص١١ أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبدالجبار، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: النكراء! تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل.

(١) في المحاسن ج١ ص ٢٩١ عن الحسن بن محبوب، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب، وفي الرواية الأخرى في نفس المصدر في آخرها بك آخذ وبك أعطي وعليك أثيب.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] عن الكاظم ﷺ (إن النعم الظاهرة هي الأنبياء والنعم الباطنة هي العقول). وأمثال ذلك مما ورد في العقل فلا يعقل كون العقل حينئذ مخالفا لقانون الإسلام وقواعده، بل العقل طبق الشرع والشرع طبقه لا يتخلف أحدهما عن صاحبه، فصاحب العقل المستقيم الباحث عن معرفة الأشياء كما هي على ما خلقه الله سبحانه هو الحكيم الذي شهد له الشرع والكتاب والسنة بصحته، وهو الذي أوتي خيرا كثيرا، وأما ما سوى ذلك فليس بصاحب عقل سليم وإنما هو صاحب النكراء والشيطنة، وعلى طبق العقل بالمعنى الأعم جرت حكمة الملاحدة والصوفية والزنادقة، وعلى طبق العقل الشرعي جرت حكمة الحكماء من علماء أهل البيت سلام الله عليهم والحمد لله وحده.

وعمران كان أوحديا في علم الكلام والدقة والنقض والإبرام وفي تعمق الفكر ودقة النظر، وكان يجري مجرى المتكلمين ولا يحصل له من تلك الطريقة البصيرة واليقين، وكان ضيق الصدر كدر القلب مما تراكم عليه من الشبهات، وعظم ما يشاهد في أقوال المتكلمين واعتقاداتهم من الاضطرابات والاختلافات، ومقتضى تلك الأقوال والاعتقادات الإقرار برب له أولاد وشركاء، وإنكار نبوة الأنبياء ووصاية الأوصياء كما هو مقتضى دين الصابئة، وشرح هذه الكلمات طويل والإجمال أولى، ولذا لما دعاه الإمام بلفظ العموم وإرادة الخصوص أجابه ولباه لما فيه من النورانية المعنوية.

فقال: (يا عالم الناس لولا إنك دعوتني إلى مسألتك... إلخ).

أما أنه عالم الناس فأوضح من أن يخفى وأشهر من أن ينكر في الظاهر، وأما في الحقيقه فكل ما دخل حيطة الوجود يصدق عليه أنه إنسان حقيقة

(١) لقمان ٢٠.

أو حقيقة بعد حقيقة، إذ الأشياء كلها بدت عن فعل الله سبحانه على تلك الصورة الطيبة، فمنها ما بقي على ما هو عليه فسمي إنسانا ظاهرا، ومنها ما خفيت فيه تلك الحقيقه فقدرت الإنسانية وظهرت الحيوانية فسمي بهيمة وحيوانا على مقتضى تلك الصورة الظاهرة، وبقيت الحقيقة مخفية تحت الحجب والأستار، وهذا معنى ما نعبر عنه كثيرا ما بالفطرة الأولى والفطرة الثانية، فكل ما في العوالم الألف نعبر عنه كثيرا ما بالفطرة الأولى والفطره الثانية، فكل ما في العوالم الألف ألف إنسان والإمام عليه السلام عالمهم وسيدهم، لأن الله سبحانه آتاه مالم يؤت أحدا من العالمين طأطأ كل شريف لشرفه وبخع كل متكبر لطاعته وخضع كل جبار لفضله وذل كل شيء له ولآبائه وأبنائه وجدته الصديقة صلى الله عليه وعليهم وعليها أجمعين، ولا تكون الفضيلة والشرافة إلا بالعلم بالله سبحانه كما برهن في محله، فهو عليه السلام إذاً العالم في الناس على جهة الإطلاق، وهنا وجوه أخرمن تصاريف ظاهر الظاهر وإن لم يرده عمران الصابي لكنه أمر واقعي بذكره يطول الكلام مع أنه مخفي عن الأفهام ومستور عن الأحلام.

قوله (لولا أنك دعوتني...إلخ) يحتمل معنيين.

أحدهما: أنه من جهة غروره وإعجابه بنفسه وبعلمه وأنه بحيث لم يطق لكلامه متكلموا الدهر وعلماء العصر لم يبتدئ بالكلام تعظيما لشأنه وإثباتا لرفعة مكانه، وأنه مما لا ينبغي أن يسأل أحدا إذ ليس أحد في زعمه أعلم منه حتى ينتفع منه بالسؤال، ومن جهة أن تلك المسأله المستصعبة عليه مما لا يقدر أحد على الجواب عنه، حيث ما لاقى أحدا من العلماءالكاملين قام له بحقيقة الجواب، فقاس الإمام بغيره جهلا منه بمقامه عليه السلام من أنه الذي أشهده الله خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم، فزعم أنه حينئذ لا فائدة في السؤال

وتكثير المقال، لكنه لما دعاه إلى السؤال أجاب وتحمل المشقة بلا فائدة، أو أنه إذا قطع الإمام ﷺ عن الكلام وغلب عليه بالجدال فينقص مقامه عند الناس فلا يلوم حينئذ إلا نفسه لأنه هو الذي دعاني إليه وابتدأني واستنطقني.

وثانيهما: أنه لما رآه ﷺ قد قطع حجج جميع أهل الملل والأديان وأبطل مقالاتهم وشبهاتهم على مقتضى كلماتهم، وقرأ على أهل كل ملة كتابه الذي بعثه الله لهم على نهج أحسن منهم، وأبان جهلهم بكتابهم وبكلام نبيهم، وعرف بصافي الطوية و خالص السريرة أن هذا العلم مما لا يحصل من معلم ولا يؤخذ من كتاب ولا يكتسب بسؤال ولا جواب، إذ لا يمكن للمكتسب هذه الإحاطة العظيمة التي تبهر عندها العقول والأحلام، فعلم أن ذلك من تأييد إلهي وفيض رباني، قد ظهرت عليه العظمة والكبرياء والجلال والبهاء فاحتملت نفسه عند ظهور االكبرياء واستحقرت عند ذلك النور والبهاء، ولم يعد نفسه ممن يتكلم عند ذلك النير الأعظم والطود الأشم، وكان أحب أن يهتدي بهداه ويستنير بنوره، ولكن حقارة نفسه ودناءة ذاته عنده ﷺ وظهورالعظمة سلب عن يده عنان التمالك فلم يجسر للكلام ولم يقدر على نيل منتهى المرام، ولما كان الإمام ﷺ لا يخفي عليه أحوال الكائنات في كل النشآت أراد استجلابه وإسكان ما فيه من الاضطراب والاختلال، حتى يتمكن للخطاب ويقدر على مقابلة السؤال بالجواب، ولذا ابتدأ ﷺ بالدعوة وقال (**فليسأل غيرمحتشم**) وقيد الأخير لهذه الدقيقة ولذا دعا في هذا المقام عند مخاطبة عمران دون غيره، لما ذكرنا من معرفة حاله ومشاهدة اضطراب باله، فمن هذه الجهة قال عمران (**لولا أنك دعوتني إلى مسألتك لم أقدم**) إذ لم أقدر لما شاهدت من كمال عظمتك وحقارة نفسي، فلما خاطبتني سكن روعي وذهب خوفي وتمكنت للسؤال وأرجو منك عظيم الإحسان والنوال،

ولعله لهذا خاطبه ﷺ بعالم الناس حيث عرف ذلك منه وعرف مطلوبه وضعفه فتداركه بما يتقوى لنيل مطلوبه، فخاطبه بالعالم حيث علمت ما في قلبي وأبنت ما في مكنون ضميري، فأنت مطلوبي وحاجتي لأني سافرت كثيرا و دخلت الكوفة والبصرة والجزيرة الظاهر أنها البحرين أو ما بين النهرين الدجلة والفرات كما اشتهر على ألسنة الناس الآن، ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحدا ليس غيره قائما بوحدانيته .

وهذا يدل على كمال دقة نظره وغور فكره لأن كل من حاول أن يعرف الله سبحانه من غير جهة أهل البيت ﷺ فقد هوى وغوى لأن الله سبحانه لا يعرف إلا بهم كما قال أمير المؤمنين ﷺ **(نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)**[1] وقال ﷺ في الزيارة الجامعة **(من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم)** وقال فيها **(بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا)** وقال أيضا فيها **(إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه)**[2] وقال أيضا **(بنا عرف الله وبنا عبد الله ولولانا ما عرف الله و ما عبد الله)** وأمثالها من الروايات كثيرة لا تحصى فإذا كان الحق منحصرا فيهم وعندهم وكل ما عند مخالفيهم ليس إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، فكل من نظر في كلام المخالفين بعين صافية وبصيرة صادقة لا يجد ثباتا أبدا في كل المسائل خصوصا في معرفة الله سبحانه تراه يخبط خبط عشواء لأنه ما دخل البيت عن بابه ولذا قال **(لم أقع على أحد يثبت لي واحدا ليس غيره قائما بوحدانيته)** يعني يثبت لي أن الصانع واحد ليس معه غيره.

---

(١) الكافي ج١ ص ١٤٨.

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٣) بحار الأنوار ج٢٦ ص٢٦٠ بنا عرف الله و بنا عبد الله نحن الأدلاء على الله و لولانا ما عبد الله.

فالكفار وعبدة الأصنام يجعلون مع الواحد في العبادة غيره من الأصنام وكذا كل من نظر إلى غيره تعالى بنظر الاستقلال والتذوت و الثنوية يجعلون معه غيره من يزدان وأهرمن، والأشاعرة يجعلون معه غيره وهي الصفات الزائدة عن ذاته تعالى المقترنة بها، والمعتزلة يجعلون معه غيره حيث قالوا أن الخلق مفوضون والله معزول عنهم، فصار مع الله مستقلا آخر له فعل وتأثير بدونه، تعالى الله عما يقوله الملحدون علوا كبيرا، والصوفية يجعلون معه تعالى غيره حيث قالوا بوحدة الوجود فصار الحق سبحانه وتعالى مقترنا بالأشياء، فكانت الماهيات والكثرات معه مقترنة بذاته تعالى، وأصحاب المفاهيم جعلوا معه غيره تعالى حيث قالوا أن مفهوم الوجود مشترك معنوي بين الله وبين خلقه، فجعل الواجب سبحانه فردا والممكن فردا آخر، فقد جعل الممكن ضده وقسيمه ومقترنا به، ودعوى أن المفهوم يخالف المصداق باطلة كما تكلمنا عليه كثيرا، وأصحاب الكليات جعلوا معه غيره تعالى حيث قالوا بعموم مفهوم الواجب وكونه تعالى فردا من أفراده، ولا شك أن الفرد مركب من الكلي والخصوصية، وكذا من قال بأن الصفات كلية تشمل الله سبحانه وغيره كالمشتقات كالعالم والقادر والحي وغير ذلك، وكذا من قال بأن بسيط الحقيقه كل الأشياء حيث جعل معه غيره لئلا يلزم التركيب فقد وقع في التركيب من حيث لا يشعر، لأن جهة الذات المجردة غير جهة اجتماعها كل الأشياء إذ لا شك أن المعنيين لا يفهم بلحاظ واحد، وأصحاب الأعيان الثابتة جعلوا معه غيره صريحا في الأزل حيث قالوا أن الأعيان الثابتة مستجنة في غيب الذات استجنان الشجرة في النواة ومندرجة فيها اندراج اللوازم في ملزوماتها، وكذا من يقول بأن الفاعل المقترن بالفعل المتعلق بالمفعولات هو عين الذات لأنه جعل معه غيره تعالى، والغلاة القائلين بأن

الفاعل هو الفعل أو محله باعتزال الذات فقد جعلوا معه غيره مستقلا سواه ولم يجعلواه قيوما قائما بوحدانيته وصغروا عظمة الله سبحانه إذ أخرجوه من سلطانه وقيوميته، وكذا القائلون بأن الخالق الفاعل هو الفعل ومحله بإذن الذات كالوكيل وكالسيد إذا أمر لعبده أن يفعل شيئا فإنهما حينئذ معزولان عن الموكل والسيد، تعالى ربى وتقدس عما يقول الظالمون والملحدون علوا كبيرا.

والحاصل قوله هذا يثبت كل اعتقاد حق ويمحو كل اعتقاد باطل، ولا يتحصل بيان هذا الكلام على الأمر الواقعي إلا في بيت نزل فيه الوحي على المعاني كلها، وهو البيت الذي وسع أحكام الربوبية كما قال عزوجل في الحديث القدسي (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[1] ، فهو بيت الله أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا، لأن الله تعالى لا يعرف من سنخ ذاته -كما يأتي إن شاء الله- وإنما يعرف ببيان منه، حيث كان هو المجهول المطلق بالنسبة إلى غيره تعالى، وقد دلت الأدلة القطعية من العقلية والنقلية أن آل محمد صلى الله عليهم هم باب الله وتراجمة وحيه وألسنة إرادته، فأين يوجد الحق من عند غيره إذ كان الحق لله ، وهو قول النبي ﷺ ما معناه (يا ابن عباس لن تجد حقا بيد أحد من الخلق إلا بتعليمي وتعليم علي عليه السلام)[2] فمن رام أن يعرف الحق لا عنهم فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا، فلا يجوز لأحد أن يعتمد على عقله في المسائل النظرية الخلافية إلا بعد الوزن على ميزان كلماتهم فإن وافقها فحق وإلا فباطل، ولما كان الشيء لا يجري عليه حكم القضاء إلا بعد الوقوف على

(١) بحار الأنوار ج٥٥ ص ٣٩.
بحار الأنوار ج٢٦ ص ٣٤٥.

باب الإذن وصدور الأمر بالإذن وإن اقترنت الأسباب بمسبباتها، و كذا كل فعل مضارع اشتق منه فعل الاستفهام فقال أتأذن لي أن أسألك فقال الرضا عليه السلام إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو فقال أنا هو .

أقول وكيف لا يعلمه ولا يعرفه عليه السلام وقد قالوا في حقهم كما في الزيارة الرجبية (وعندكم ماتزداد الأرحام وما تغيض)[1] وما انعقدت نطفته في رحم أمه إلا بمحضر ومرئى منه عليه السلام، لأن الله سبحانه جعلهم أشهاداً على خلقه وأشهدهم خلق السموات و الأرض وخلق أنفسهم، وما سمي باسمه إلا بتعليمهم عليهم السلام فإن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام في زيارة الشهيد أبي عبدالله الحسين روحي له الفداء يقول (**إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَ تَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَ الصَّادِرُ عَمَّا فَصَلَ مِنْ أَحْكَامِ الْعِبَادِ**)[2] فجميع إرادات الرب عزوجل في جميع مقادير جميع الأمور ترد وتقع على قلوبهم ويصدر من قلوبهم التي هي بيوتهم جميع تفاصيل جميع أحكام جميع العباد كما تشهد له عبارة الزيارة، فمن مقادير أحكام عمران كونه ذراًفي الهباء، ومنها كونه رطوبة قطرة في الماء، ومنها كونه غذاء للشجرة، ومنها كونه غيباً في الثمر، ومنها كونه غذاء للأب، ومنها تخلصه عن ثفل الكيلوس والكيموس وصيرورته نطفة من مني يمنى، ومنها انتقاله إلى رحم المرأة، ومنها تطوره إلى أطوار النطفة والعلقة والمضغه والعظام واكتساء اللحم، ومنها ظهور النفس الحسية الفلكية، ومنها الولادة الدنياوية، ومنها تغذيته وتنميته وتسميته وجميع أحواله، إذ كل ذلك بعين الله التي لا ترام وحفظه الذي لا يظام والإمام عليه السلام هوعين الله الناظرة ويده الباسطة ورحمته الواسعة ونعمته الشاملة فلنقبض العنان فللحيطان آذان .

(١) بحار الأنوار ٩٩ / ١٩٥.
(٢) الكافي ٤ / ٥٧٧.

ثم لما أن عمران راعى الأدب واستأذن للسؤال والإمام عليه السلام هو الكريم الذي لا يخيب من قصده ولا ييأس من أمّله أذن له **فقال: سل يا عمران،** ثم بين له الطريقة التي من سلكها يصل القاصد إلى مقصوده والطالب إلى مطلوبه، خصوصاً من كان قصده العلم ومطلوبه المعرفة، فإن محض الأمر بالإتيان وعدم الهداية إلى الطريقة الموصولة مما لا يناسب شأن الحكيم فقال عليه السلام: **وعليكم بالنصفه وإياك والختل والجور.**

الإنصاف أن ينصف خصمه بالاحتراز عن الختل والجور والعناد والتعصب، ليكون غرضه محض إثبات مطلوبه وإن ظهر له في نفسه أنه مخطئ وخصمه على الحق، فإن من كان على هذه الصفة لا يكاد يصيب، وأن ينصف نفسه بأن لا يجعلها تابعة لجماعة ومأنوسة بهم بحيث لا يسهل عليها مفارقتهم وتميل إليهم وإن كانوا على الخطأ فيتكلف متابعتهم، لأن حبّك للشيء يعمي ويصم فيكون خطؤه أكثر من صوابه، لأن الذي مالت نفسه إليه وإلى قوله لا يلزم أن يكون مصيبا، وبأن لا يتقيد بقاعدة مأخوذة من غير أهل العصمة عليهم السلام ويكون منجمداً إليه، بحيث يقبل ما وافقها ويترك ما خالفها ويؤوّله إليها، وهذا أيضاً لا يكاد يصيب، وأن ينصف ربه بالتوجه إليه سبحانه بصافي الطوية وخالص السريرة ويكون نظره إليه تعالى قاصداً الحق من عنده ليتوصل بذلك إلى رضاه وقربه وقاصراً نظره إلى كلامه تعالى وكلام أوليائه الذين جعلهم الله سبحانه أبوابه وحججه وأدلاء إلى سبيل رشده وينظر إليهما نظر المتعلم الجاهل بأن يكون كلام الله أمامه ودليله لا العالم الذي يجعل نفسه إمام كلام الله فكل ما يوافق فهمه من كلام الله قبل وكل ما يخالفه أنكر وأوَّلَ إلى ما فهمه فإن هذا ليس بمنصف ربه ولا نبيه ولا أوليائه فلا يصيب أبدا فبين له الإمام عليه السلام طريقة لو عرفها وسلك بها يصل إلى المطلوب البتة .

فقبل عمران نصيحته عليه السلام وعمل بمقتضاها **فقال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئا أتعلق به فلا أجوزه**، فبلغه الله المقصود وهداه به إلى سواء الطريق.

قال عليه السلام: **سل عما بدا لك فازدحم الناس، وانضم بعضهم إلى بعض فقال عمران الصابي أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق.**

قوله عليه السلام **(سل عما بدا لك)** كلمة لا يقولها إلا مؤيد من عند الله سبحانه وتعالى بروح منه الذي أشهده الله خلق السماوات والأرض وخلق نفسه، ليكون عالما لا يجهل ذاكرا لا يغفل بصيرا لا يخطىء، وعالما بأنه تعالى يمده ولا يكذب قوله، لأنه خليفته وحجته إذ العلوم كلها بيد الله تعالى وفي خزانة ملكه، فالذي لم يشهده الله ملكوت السموات والأرض لا يقدر أنه يقول سل عما بدا لك على على جهة العموم لعله يسأل عن شيء ليس عنده علمه، لأنه لم يطلع على مكنون سره ولم يحضره مسألته او في وسعه أن يسأل، ولو علمه أيضا ولم يكن مقبلا بوجهه إلى الله تعالى لعله تعالى لا يكشف عنه سر تلك المسألة ويحجب بحجب الغفلات والموانع، وبالجملة فهذه كلمة لا يقولها صادقا حقيقيا إلا المعصوم المطلع على أسرار الوجود وأطوار الكائنات.

وازدحام الناس وضم بعضهم ببعض لعظم شأن عمران في أعينهم وعظم مسائله لديهم سيما في مقابلة قوله عليه السلام سل عما بدلا لك، فقال أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق.

فالكائن الأول يريد به هو الله سبحانه وتعالى بقرينة قوله (وعما خلق) وإنما سماه تعالى كائنا لأنه الثابت الذي لا يزول ولا يحول ولا يتبدل ولا يتغير ولا يزيد ولا ينقص، وهذا الأول ليس له ثان كما قال عليه السلام في الصحيفه

---

(١) المصباح للكفعمي ٥٥

السجاديه (**وأنت الأول في أوليتك وعلى ذلك أنت دائم لا تزول**)[1] فالأولية ثابتة له تعالى بلا نهاية في عين إثبات الآخرية له كذلك، إذ ليس فيه سبحانه جهة حتى يكون بها أولا وجهة أخرى ليكون بها آخرا، لأن مختلف الجهات حادث، وليست هناك إضافة واقتران بشيء حتى يكون بالإضافه إلى شيء أولا وبالإضافه إلى الآخر آخرا، فانقطعت اللاأولية والآخرية في عين كون الأولية عين الآخرية والآخرية عين الأولية في عين الأولية واللاآخرية كما قال عليه السلام (لم يسبق له حال حالا ليكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا...إلخ)[1] وأما إثبات الأولية والآخرية له تعالى فباعتبار الظهورات الفعلية كما في قوله تعالى ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾[2] فإن الهاء هو الأول والآخر والواو هو الآخر والأول والهاء هو الباطن والظاهر والواو هو الظاهر والباطن .

أو يراد بالكائن الأول هو الصادر الكائن أولا قبل تكوين الكائنات وإبداع المبدعات، وهذا الأول أيضا لا ثاني له لكونه هو المبدء الأول و أول ظاهر بأول ظهور، الذي هو نفسه قد ملأ الإمكان والأكوان والأصقاع والأزمان بنوره وظهوره وكل ما عداه أشعة أنواره وعكوسات آثاره فلا يوجد في السوى ما يعادل ذاته حتى يكون هو الثاني له، لأن الثاني هو بدل الواحد وانبساطه وتكريره، وأما في الآثار والصفات فلا يعقل ذلك، أرأيت أحدا يقول السراج هو الأول والشعاع هو الثاني، أو أن زيدا أول وقيامه الثاني والاستقامة ثالث، فإن الأشعة والآثار لا تذكر مع الذات حتى تعد معها لأن الأثر معدوم عند المؤثر فكيف يكون هو الأول وهذا الثاني؟، وكذا الأولية الأنبساطيه أي الحقيقه الوحدانيه السارية في أطوار التعينات كالوجود المقيد

(١) بحار الأنوار ٤ / ٣٠٨.
(٢) سورة الحديد ٣.

الذي هو الفؤاد فإنها أيضا أول لا ثاني له لأنها في الحقيقة المتعينة المتعددة في العرض لا في الطول أول واحد والتعينات لا تكون ثانية لها، ومرادي بالتعينات هي الأفراد المتعينه من الحقيقة الواحدة لا نفس التعين، كالإنسان مثلا عند التعين والتشخص في الأفراد لا يقال أن الآنسان هو الأول وزيد الثاني وعمرو هو الثالث، لأن الحقيقه ما تكثرث وإنما تكثرث العوارض فلحقتها بالعرض، فالكثرة في الأفراد لا في الحقيقة، ولذا تراهم يقولون أن الوحدة النوعية لا تنافي الكثرة الشخصية لأن الآنسان ما انقطع عن زيد حتى يكون ثانيه، بل زيد أيضا إنسان وكذا عمرو وبكر وهكذا، فظهر لك من هذا البيان أن الأول الذي لا ثاني له على ثلاثة أوجه فراجع تفهم.

وهذا الكائن الأول الذي هو الصادر الأول الذي هو التعين الأول أي أول ما برز من ظهور الحق سبحانه بالخلق الذي هو غير ذاته، اختلفت آراء العلماء والحكماء في بيانه وتعيينه، فمن قائل بأنه الوجود المطلق والحق المخلوق به هو الوجود المنبسط وجهة الربط بين الحادث والقديم الذي هو مع الحادث حادث ومع القديم قديم ومع الشيء شيء ومع اللاشيء لا شيء ومع الواجب واجب ومع الممكن ممكن، وهؤلاء هم الصوفية الملاحدة.

ومن قائل بأنه المشيئة والإرادة والإبداع والرحمة الكلية.

ومن قائل بأنه الحقيقه المحمدية ﷺ .

ومن قائل بأنه العقل الكلي والعقل الأول.

والأخبار والروايات في تعيين ذلك مختلفة الورود ففي بعض الأخبار أن أول ما خلق الله والكائن الأول المشيئة والإرادة والإبداع كما قال الصادق عليه السلام (خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ)[1] وفي قول مولانا الرضا

(١) الكافي ١ / ١١٠.

ﷺ كما في هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه (إن أول ما خلق الله سبحانه الاختراع والإبداع ثم خلق الحروف فجعلها فعلا منه يقول للشيء كن فيكون) وفي رواية (أول ما خلق الله الهواء) وفي رواية (أول ما خلق الله الماء)[1] وفي رواية (أول ماخلق الله نور نبيك ياجابر)[2] وقال أمير المؤمنين ﷺ في خطبة له على ما رواه المفضل عن الصادق ﷺ عنه إلى أن قال (الذي كنا بكينونته قبل الخلق وقبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين أزليين منه بدئنا وإليه نعود لأن الدهر فينا قسمت حدوده ولنا أخذت عهوده وإلينا برزت شهوده) الخطبة قال الصادق ﷺ في معناه (كُنّا بكينونته في القدم) (وهو المكون ونحن المكان وهو المشيء ونحن الشيء وهو الخالق ونحن المخلوقون وهو الرب ونحن المربوبون وهو المعنى ونحن أسماؤه وهو المحتجب ونحن حجبه كائنين غير مكونين نسبحه ونمجده ونقدسه في ستة أكوان كل كون منها ماشاء الله من المدا)[3] الحديث وفي رواية (أول ماخلق الله القلم)[4] وأخرى (أول ما خلق الله العقل)[5] وفي أخرى (أول ما خلق الله تعالى عقلي) وأخرى (روحي)[6] وأمثال ذلك من الأخبار وقد ذكرت المراد الجامع لهذه الأخبار كلّها في اللوامع الحسينيه فلا نطول الكلام بذكره هنا .

وقوله (وعمّا خلق) على الوجه الأول بأن يراد منه هو الله سبحانه ظاهر

---

(١) مستدرك سفينة البحار ١٠/ ٢٣٢.
(٢) بحار الأنوار ٥٤/ ١٧٠.
(٣) الهداية الكبرى ٤٣٥.
(٤) شرح أصول الكافي ١٢/ ١٢.
(٥) شرح أصول الكافي ١/ ٢٠٤.
(٦) شرح أصول الكافي ١/ ٢٨١.

لأنه على مذهب الصابئة يسأل عن الله وعن خلقه وعن كيفيَة إحداثه هل هي على جهة التوليد كما هو المعروف من مذهبهم أو غيره كما هو مذهب الغير من خلقه الأشياء لا من شيء بلا نسبه وارتباط (غيره) أو من شيء أو من العدم اللاشيء مع النسبة والإرتباط أم لا كما سيأتي الكلام فيه إنشاء الله مشروحاً.وعلى وجه ثاني بأن يراد من الكائن الأول أول الصادر مبدأ المبادئ ونور الأنوار فالمراد بقوله (عما خلق) هو ما حصل وتحقَق من الكائنات بإشراقه وتجليه في إقباله وإدباره لأنَ الطفرة لَما ثبت امتناعها صار الكائن الأوَل مبدء الفيض وأصل النور والخير وما سواه بعد رشحة من رشحات أنواره ولمعة من لمعات آثاره، إذ لو فرض وصول الفيض إلى السوى بغير وساطة الكائن الأول بطل كونه هو الأول لتساوي الكل حينئذ في الرتبة، ولو فرض تساوي الكل في الرتبة والتلقي من المبدء نقص فيض الجبار وصغرت عظمه القهار، إذ لم يكن لجماله جمال ولجلاله جلال ولنوره نور، فلا يكون كاملاً مطلقاً ولا حكيماً، فإذا فرض الأولية والآخرية والتقدم والتأخر كان لما سواه هو الواسطة والباب في إيصال الفيض إليه كالسراج للأشعَة أو كالقلب للأعضاء والجوارح وساير القوى، فيكون معنى قوله (عما خلق) هو ما يكون سبباً لخلقه وإيجاده ووصول الفيض إليه من الله سبحانه وإطلاق الخلق والخالق على هذا المعنى غير عزيز في الآيات والروايات كقوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[3] وقوله

(١) المؤمنون١٤.

(٢)المائدة ١١٠.

(٣) العنكبوت ١٧.

ﷺ كما في الفقيه (إن الله سبحانه يبعث ملكين خلاقين يقتحمان رحم المرأه من فمها ويقولان يا ربَنا كيف نخلقه ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً) الحديث وقول الباقر ﷺ كما في البحار (إن الله سبحانه خلق ملكاً وفوض إليه أمر السموات والأرضين فخلق سموات وأرضين ثم قال من مثلي فأرسل الله إليه نويرة من نار، قيل ما النويرة؟ قال ﷺ: نار بقدر الأنملة فاستقبلها بجميع ما خلق فتخللها إلى أن وصلت إليه لَمَا أن دخله العجب... إلخ)[1].

وإطلاق الخالق على غير الله سبحانه ممَا لا شك فيه عند من له أدنى أنس بالقرآن وأحاديث أهل البيت ﷺ، ولكنه لا يجوز أن يطلق عليه بمعنى الاستقلال فإن هذا كفر وزندقة وإخراج لله تعالى عن السلطنة والقيومية وتكذيب لقوله تعالى ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وقوله تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾[3] وقوله تعالى ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[4] وأمثالها من الآيات وكذلك الروايات المتكثرة عن سادة البريات الواردة في اللَعن والطَعن على من ينسب إليهم سلام الله عليهم الخلق والرزق وعلم الغيب وغيرها من الأمور التي تفرَد الله سبحانه بها وهو لا يزال متفرداً في كل شيء ولا يجوز أن يطلق ويراد به أن الغير خالق ورازق ومحيي ومميت بأن الله وأمره على ما تفهمه العامة مثل ما يأمر المولى عبده بإذن يأخذ الدراهم ويشتري له الشيء الفلاني ومثل ما يأمر الموكَل

---

(١) بحار الأنوار ج٤ ص٥٠.
(٢) الرعد ١٦.
(٣) فاطر ٣.
(٤) فاطر ٤٠.

وكيله بأن يمضي الأمر الفلاني فإن هذا أيضا يلزم منه التفويض واعتزال الحقَ تعالى وتعطيله واستقلال الخلق بنفسه ولو بوجهٍ مَا فإنَ الوكيل وإن كان يده يد الموكل إلا أنه حين يفعل معزول عنه خارج عن يده، وكذلك العبد بالنسبة إلى سيَده. ولذا ورد في الصحيح عن الصادق ﷺ ما معناه (من قال نحن خالقون بأمر الله فقد كفر ...إلخ) وهذا الأمر يراد به ما هو المعروف عند الناس حين إطلاق الأمر والإذن.

وأمَا إذا كان المراد أنَ الخالق في الحقيقة هو الله سبحانه بفعله لا بذاته فالاسم ليس في الذات وللذات لصحَة السلب في بعض الموارد ووجود الذات، كما تقول لم يخلق الله ولداً لزيد وليس الله بفاعل للقبيح، فإذا كانت هذه الأسماء والصفات هي عين الذات لم يجز أن تكون مغايرة معها لما ثبت عند الشيعة الفرقة المحقَة الناجية من أن صفاته تعالى الذاتية عين ذاته بلا فرض مغايرة، ولو فرضا ووجودا وتجويزا، فوجودها يستلزم وجود الذات وعدمها عدمها وإلاَ تعدَدت القدماء إن كانت قديمة وتكون الذات محلاً للحوادث إن كانت حادثة، وكل اسم وصفة يصح سلبها وإثباتها فهي صفات الفعل لا الذات إلا أن الفعل لَما كان مضمحلاً فانياً عند ظهور الذات إذا أطلق الاسم الفعلي أيضاً لا يتبادر الذهن ولا يسبق إلاَ إلى الذات لا لأنَه موضوع للذات ولا أن الصفة ثابتة لها عندها في رتبتها بل لأنَ الصفة لها عند ظهورها بفعلها فهي تدور مع الفعل حيثما دار ولا شك أن الفعل لا تظهر آثاره إلا بمحل ومتعلق ولا شك أن الصادر الأول الذي هو الكائن الأول أول ما تعلق به الفعل إما بنفسه أو بفعل الله فيكون تلك الحقيقه هي الحاملة لفعل الله الذي هو أمر الله الذي هو قول كن الذي هو الكلمة التي انزجر لها

العمق الأكبر وهو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] وهذا الأمر هو الأمر الذي قامت به السموات والأرض كما في قوله تعالى ﴿مِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[2] وقال الصادق عليه السلام في الدعاء (كل شيء سواك قام بأمرك)[3] وقوله تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾[4] وهذا الأمر هو الذي تتقوم الأشياء به في كل حال وفي كل آن لو فقدته آناً انعدمت وبطلت وبه تفعل الموجودات والكائنات من المكلَّفين أفعالها وبه تحقَّق سر الأمر بين الأمرين وهو الأمر في قوله تعالى ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[5] .

فالذي نهاه الإمام الصادق هو الأمر بالمعنى الأول مما هو المعروف في متفاهم العوام، والأمر الذي أثبته الله تعالى هو الأمر في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6] فالفاعل والخالق هو الله بفعله لا بذاته، والصادر الأول هو الفعل أو محل الفعل وهو اسم الفاعل لا ذات الفاعل، والاسم يشتق عند ظهور الأثر لا عند حقيقه الذات، ألا ترى القائم فإنه مشتق من القيام عنده لا قبله، وكذا القاعد وغيره ولا تحقق ولا تذوت لهذه الصفة إلا بالذات فعلى هذا المعنى يصح نسبة الخلق إلى غيره تعالى حين كونه محفوظاً بيده وفي قدرته، أو يكون يده المحفوظة بذي اليد، بمعنى أن الخلق سواه مخلوقون من أشعه أنوار الكائن الأول والصادر الأول ولا شك أن

(١) يس ٨٢.
(٢) الروم ٢٥.
(٣) بحار الأنوار ٨٧/ ١٤٨.
(٤) النحل ٢.
(٥) الأنبياء ٢٦ – ٢٧.
(٦) يس ٨٢.

الشعاع أثر للمنير وفعل له وقد روي عن النبي ﷺ في الكتب المعتبره أن الله سبحانه خلق من نوره العرش والكرسي وخلق من نور علي عليه السلام الملائكة وخلق من نور فاطمة السموات والأرض وخلق من نور الحسن عليه السلام الشمس والقمر وخلق من نور الحسين عليه السلام الجنة والحور العين . قال الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام (**إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَ تَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَ الصَّادِرُ عَمَّا فَصَلَ مِنْ أَحْكَامِ الْعِبَادِ**)[1] وقد شرحت هذا المطلب بأكمل بيان في شرح الخطبة ولا يصح البيان بأزيد من هذا لما في قلوب الناس من الأمراض والأغراض .

فقول عمران (**أخبرني عن الكائن الأول وعمَا خلق**) يريد السؤال عن حقيقة الصادر الأول وآثاره وأشعة أنواره وما خلقه الله سبحانه به وكيفيَة خلقه تعالى للأشياء به وانخلاقها منه .

فقال عليه السلام (**سألت فافهم أما الواحد فلم يزل واحداًكائناً لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك**).

المراد بالواحد هنا ذات الله سبحانه أي الأحد إذ قد يطلق أحدهما ويراد به الآخر، وأمَّا الوضع الحقيقي فالواحد موضوع للصفة الفعلية وفيه وحدة ظاهرية وكثرة إجمالية، ولذا لا ينفى بنفيه القليل والكثير كما ينفى بنفي الأحد، فلو كان للذات البسيطة المحضة من حيث هي بلا حدود ولا أعراض، كان لا يبقى بنفيه شيء، فظهر أنه للصفة التي هي الوجه الواحد من الذات، فالأحد موضوع لوحدة صرف الذات البحت مجردة ومعراة عن جميع السوى والغير، والواحد موضوع للوحدة الوصفية في مقام القيومية والوضع في كلا

(١) الكافي٥٧٧.

المقامين يقع على العنوان وذلك أن ذات الله سبحانه وتعالى لاتدرك ولا تنال ولا تتغير عن حال إلى حال، وإنما ظهوره بصنعه ومعرفته بأثر فعله، وهو سبحانه تجلى بخلقه لخلقه وعرفهم نفسه بنفسهم، فلما وجدوا غابوا عن وجدانهم وشهودهم، فعرفوا ربهم بما نقش في لوح ذاتهم وحقيقة سرهم، ﴿ودخل المدينه على حين غفله من أهلها﴾[1] فما عرفوه إلا من أنفسهم لكن مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها، فكان ظاهرهم هياكل بشرية وباطنهم أسرار إلهية ونشئات قدسية ومظاهر أحدية.

ولما كان بين الاسم والمسمى واللفظ والمعنى لابد من المناسبة الذاتية فوجب أن تكون الأسماء الإلهية الدالة على التوحيد مستنطقة ومستخرجة من الحروف الخلقية، ولما كان حدود الخلق ستة وهي الأيام الستة التي خلق الله فيها الشيء، فكانت الواو هي الأصل في الدلالة على نفس الخلق من حيث هم وإذا كشفت عن باطن الواو التي هو باطن الحدود الخلقية ونظرت إلى سرها بزبرها وبيناتها استنطق منها الأحد لكونه ثلاثة عشر فدل ظاهر الخلق على حقيقة التوحيد الصرف، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة في الإنجيل بقوله تعالى (يا إنسان اعرف نفسك تعرف ربك ظاهرك للفناء وباطنك أنا)[2] أي ظهور توحيدي لا سر ذاتي كما يقوله الملحدون من الصوفية، فمن سر الواو ظهر الأحد فإذا أضفت الواو إلى الأحد ونسبت الخلق إليه بكونه إليه وبه وعنه على جهة الاضمحلال والزوال بإظهار سر القيوميه ظهر الواحد فالواحد يه ذكر الغير علر جهه الإضمحلال، والأحد لا ذكر فيه للغير لأنه ظهور بعد إلقاء الواو، ظاهر نفسه فلا ذكر للغير فيه، فالأحد هو الربوبية إذا لا مربوب لا ذكرا ولا عينا ولا كونا، والواحد هو الربوبية إذا لا

(١) القصص ١٥.
(٢) الجواهر السنية ١١٦.

مربوب كونا وعينا والربوبية إذ مربوب ذكرا، والأحد رتبة الذات والواحد رتبة الأسماء والصفات، فهو ينبوع الأسماء وحقيقة المسمى من حيث هو كذلك، والواحد الذي ليس من الأعداد هو الأحد وهو الذي اختص به القديم سبحانه، وأما الواحد الذي هو مبدء الأعداد ومقابل الاثنين والثلاثة فهو من الأعداد لكنه ثلاثة، لأن الممكن لا يخلو عن جهات ثلاثة إلا أن الوحدة لما غلب عليها اضمحل حكم التثليث وبقي حكم الوحدة من قبيل أطعني أجعلك مثلي، وكما تقول للشخص أنه صفراوي المزاج وإن كان لا يخلو من ساير الأخلاط، فكان أول الأعداد بل أول الأشياء ومبدؤها الثلاثة فأول الفرد ثلاثة وأول الزوج أربعة، والاثنان إجمال الأربعة والواحد إجمال الثلاثة، ولذا كان المثلث أبا الأشكال وأصلها وهو شكل أبينا آدم عليه السلام في العوالم الألف ألف، فنفي الوحدة العددية عن القديم سبحانه لكونه ثلاثة وهي تستلزم الكثرات كلها وجملتها.

ولما كان الواحد فيه ما ذكرنا من عدم التمحض في الوحدة الكاملة البالغة قال عليه السلام في تفسيره أما الواحد إنما عبر عنه بهذا إشارة ورعاية لقول عمران فيما تقدم **(ما لقيت من يثبت لي واحدا قائما بوحدانيته)** فأراد إثبات الواحد له كما أراد بها أراد لما أراد، فقيد الواحد بقوله **(فلم يزل واحدا كائنا)** فنفى عنه تعالى الأضداد والشركاء، لأن الذي لم يزل كائنا ثابتا لا يزول ولا يحول ولا يتبدل ولا يحس ولا يمس، امتنع أن يكون له مثل إذ لو فرض وجب أن يكون قديما وموجودا فاشتركا في القدمية واختلفا بالمميز، فتركبا فتغيرا إذ حالتهما قبل الفصل والتميز غير حالتهما بعد الفصل والتميز، والقبل والبعد هنا ذاتيان لا زمانيان، فلم يكونا أزليين إذ حدث فيهما ما لم يكن قبل فكانا حادثين لعدم كون الوجود ذاتيا وإلا لم يفقدا شيئا وحالا لم يكن، فالذي

وجوده ذاته امتنع تعدده وتكثره لحصول التركيب والتغيير المنافيين لغيبة الوجود كما أثبتناه مفصلا في رسالة منفردة.

وقوله ﷺ **(ولا شيء معه)** رد وإبطال لقول من زعم استجنان الأعيان الثابتة في القدم والأزل وإنها قديمة، إذ القديم ما لم يتعلق به جعل جاعل والأعيان عندهم كذلك سواء قلنا أن الشيء أعم من الوجود أم مساوق له، وكذا القول بزيادة الصفات من الذات كما هو مذهب الأشاعرة، وكذا القول بأن بسيط الحقيقة كل الأشياء وأن الوجودات كلها في ذات الله سبحانه وتعالى بنحو أشرف، وأمثالها من الأقوال، لأن الذي أزلي غير مستند إلى شيء وجوده ذاته بذاته، فلو فرض أن لغيره أيضا وجود وتحقق فإن كان وجود الغير عين ذاته بكل اعتبار ارتفعت الإثنينية، وإن لم يكن عين ذاته كان فاقدا لذلك الوجود فلم يكن الوجود ذاتيا له، لأن الذاتي لا يتخلف وهذا خلف . فالذي هكذا لا يكون معه شيء أبدا له ذكر في ذاته وصفاته الذاتية التي هي عين ذاته .

قوله ﷺ **(بلا حدود ولا أعراض)** رد وإبطال لقول القائلين بوحدة الوجود بأن الوجود هو ذات الله سبحانه والخلق حدود وأعراض لذلك الوجود تعينه بحد فيكون منشأ مرتبة من المراتب كالبحر والأمواج كما قال شاعرهم:

البحر بحر على ما كان في القدم   إن الحوادث أمواج وأنهار

سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، فإن المحدود ينفعل بالحد ويتغير به لأن حالة الإطلاق غير حالة التقييد ثم إن المحدود لو لم يكن صالحا للحد ما يصح تحديده به وجهة الصلوح غير جهة الذات فتكثر الذات عند ذكر تلك الصلوحيات مع أن كل ما يقبل الحد يقبل الزيادة والنقصان وكذلك القول

في الأعراض لأنها هي الحدود أو أعم منها ولا شك أنها خارجة عن حقيقة الذات ولا يتصل بها إلا لما بينهما من المشابهة والملاءمة والائتلاف وكلها نسب يجب تنزيه الباري سبحانه عنها لاستلزامها التركيب وكون الواجب حادثاً والحادث واجباً لأن النسبة تستدعي اتحاد الصقع من المنتسبين لأنها رابطة ووصلة والشيء الذي كل ما سواه معدوم عنده لا يقترن بشيء ولا يتصل به ولا يرتبط معه، ثم إن الأعراض إن كانت حادثة يلزم أن يكون الواجب محلاً للحوادث وإن كانت قديمة يلزم تعدد القدماء .

وفي هذا القول أيضا إشعار إلى بطلان ما ذهب إليه المتكلمون من أن موضوع علم الكلام هو ذات الله تبارك وتعالى مع اتفاقهم بأن الموضوع ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية والله سبحانه منزه عن ذلك كله .

قوله ﷺ **(ولا يزال كذلك)** يعني أنه تعالى لا يتغير بخلقه الخلق لتكون له حالتان حالة قبل الخلق وحالة بعد الخلق بل حاله سبحانه واحد في الحالين، وهذا دليل على عدم النسبة وأن نسبة الخالقية والمخلوقية لم تقع في رتبة الذات وإنما هي في مقام الأسماء والصفات الفعلية الإضافية فلو كانت النسبة جارية على الذات تغيرت البتة وما صح القول بأنه تعالى لا يزال منزها عن الاقتران لأن النسبة تابعة للمنتسبين فقبل وجود أحدهما لم توجد لاستحالة النسبة إلا في الشيئين وحيث كانت الحوادث معدومة وجدت بالإيجاد كانت النسبة عند الايجاد فإن كانت هذه النسبة مع الذات لم تكن حالها قبل الخلق هي حالها بعد الخلق وهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون فأبطل ﷺ بهذا القول الربط بين الحادث والقديم كما عليه جماعة من الناس.

وكذلك أبطل بذلك قول من توهم من قولهم ﷺ **(كان الله ولم يكن معه شيء)**[1] بأن الله سبحانه كان في وقت لم يكن هناك شيء ثم صارت الأشياء

(١) بحار الأنوار ٥٤/ ٢٣٣.

في وقت آخر فيكون الزمان زماناً فاصلاً بينه وبين خلقه حتى توجه عليهم كلام بعض الحكماء من أن هذه الفاصلة الزمانية لا تخلو إما أن تكون متناهية أو غير متناهية فإن كانت متناهية لزم تحديد الواجب وإن لم تكن متناهية يجب أن لا يوجد الخلق إلى الآن إذ كل وقت فرض فيه حدوث الخلق تناهت الفاصلة ولزم التحديد ثم إن هذا الوقت والزمان الذي كان ولم يكن شيء لا يخلو إما أن شيئا أم لا فإن لم يكن شيئاً ارتفعت السابقية وإن كان شيئاً لا يخلو إما أن يكون حادثاً أو قديماً فإن كان حادثا وجب أن يكون في وقت ثم ينقل الكلام في ذلك الوقت بعين ما ذكرنا فيدور أو يتسلسل أو ينتهي إلى عدم الوقت والزمان وإن كان قديما لزم تعدد القدماء وذلك معلوم البطلان.
ولما تنبه بعضهم إلى هذه المفاسد وأشباهها من انقطاع الفيض الغير اللايق بالكريم الفياض والتعطيل فيما يصح الإفاضة والفعل وغير ذلك قال ويجب أن نحمل الزمان السابق على خلق الأشياء المستفاد من قولهم ﷺ **(كان الله ولم يكن معه شيء)** على الزمان الموهوم المتوهم لا الموجود المحقق حتى يلزم ما ذكروا . وليت شعري مالذي نفعه هذا التوهم إذا لم يكن صادقاً مطابقاً لما في الواقع والمفروض أن في الواقع الوجودي لا وقت ولا زمان وأما الواهمة فهي منوطة بوهم الواهم فإذا لم يتوهمه المتوهم قبل خلقه وقبل خلق الواهمة والتوهم كيف كان الأمر هل كان زمان ووقت لم يكن فيه شيء أم لا وعليه العمدة والاعتماد والواهمة لا تغير الحقايق المتأصلة الوجودية .

وكل هذه المغالطات إنما نشأت من ظواهر الأخبار والآثار والأدعية كما في الدعاء **(يا ذا الذي كان قبل كل شيء ثم خلق كل شيء)**[1] وغير ذلك، وهم ﷺ لما عرفوا ذلك من قوله تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا**

(١) التوحيد ٤٨.

تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾[1] أرادوا ﷺ نسخ إلقاء الشيطان من كلامهم ﷺ فقالوا كما عن أمير المؤمنين ﷺ (**فإن قيل كان فعلى أزلية الوجود وإن قيل موجود فعلى تأويل نفي العدم**)[2] فبين أن (كان) أزلية لا زمانية والأزل ليس عنده قبل وبعد ومتى والقبل هو عين البعد والعكس والأولية هي عين الآخرية كالعكس كما قال أمير المؤمنين ﷺ (**لم يسبق له حال حالاً ليكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً**)[3] فإذاً يكون حاله قبل الخلق هو حاله بعد الخلق فكما كان ولم يكن معه شيء وكذلك يكون أبداً لم يزل وإلا لكانت له حالتان ومتغير الحالة حادث ولذا قال ﷺ في جواب عمران (**ولا يزال كذلك**) أي كائنا لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض فبالأول نفى ما عليه المتكلمون وبالثاني نفى ما عليه الصوفية الملحدون وأظهر الحق الصريح ولو كره المشركون.

ولا تتوهم من ذلك أني أقول بالحدوث الذاتي والقدم الزماني كما عليه طائفة فإن ذلك أيضا لا يناسب مقام القيومية وقد شرحت الأمر على كمال ما ينبغي في اللوامع وقد بين الإمام ﷺ في هذه الكلمات جميع ما يتعلق بأمر التوحيد والأسماء والصفات وظهور الوسائط وكونه تعالى منزها عن وصف الواصفين ومتعاليا عن إدراك العارفين وأن الأشياء لا تنتهي إليه تعالى ولا يقترن بها بل مرجع الأشياء ومصدرها ما يشابهها فرجعت من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله.

فبقوله عليه السلام أما الواحد أشار إلى الصفات كلها وإلى الأحد الذي

(١) الحج ٢٥.
(٢) التوحيد ٧٣.
(٣) نهج البلاغة ١/ ١١٢.

هوالذات أما الصفات كلها فإنها مقهوره تحت الواحد فإن الصفة هي ظهور الذات بأثر من الآثار الفعلية وقد قلنا أن جميع مراتب الخلق منحصر في قوى الواو فإذا أضيفت إلى الأحد الذي هو ظهور الذات فتكثر الأسماء والصفات للشيء الواحد لأن الظهور بالخلق يكون خالقا والظهور بالعظمة يكون عظيما وهكذا إلى ما لا نهاية له من الأسماء التي تظهر وتشتق عند وجود المبدء الذي هو الأثر ولذا كان الواحد مبدء الأعداد الغير المتناهية وأما الذات فلأن الواحد لا قوام له إلا بالأحد ضرورة أن الصفة لا تقوم إلا بالذات بنحو من أنحاء القيام كما فصل في محله وبين في موضعه .

وبقوله **(واحداً كائناً)** أثبت جميع مراتب التوحيد التي ترتقي كليات مراتبه إلى خمسة آلاف وماتين وثمانين مرتبة.

وبقوله **(لا شيء معه...إلخ)** أثبت تنزهه عن جميع الممكنات إذ لا يجري عليه ما هم أجراه.

وبقوله ﷺ **(ولا يزال كذلك)** أثبت انقطاع الخلق عن الوصول إلى عز جلاله وانقطاع النسبة مطلقا بينه وبين خلقه فلا ينتهي إليه شيء ولا يتصل به شيء والخلائق لا محيص لهم عن النسبة وإلا عدموا وفنوا واضمحلوا فتكون النسبة إلى أسمائه وصفاته وهي لمظاهره ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان وهو قوله تعالى **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾**[1] الآيه . وشرح هذه الأحوال يضيق القلب بإبرازها في السطور ولا يضيق بإخفائها في الصدور مع ما يستلزم من تطويل المقال وليس لي الآن ذلك الإقبال .

قال ﷺ : **(ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة لا في شيء أقامه ولا في شيء حده ولا على شيء حذاه ومثله له)**.

---

(١) الحج ٢٥.

أقول: هذا التراخي ليس زمانياً بتخلل زمان بين ذاته وتعالى وبين خلقه ولا دهريا ولا سرمديا ولا طبعياً ولا ذاتياً كتقدم حركة اليد على حركة المفتاح ولا غير ذلك من أنحاء التقدم والتأخر وإنما هو تراخ حقيقي بلا كيف ولا وضع لأن جميع ما يتصور من أنحاء التقدم والتأخر وأقسامه كل ذلك مخلوق بهذا الخلق ولا يجري عليه ما هو أجراه وهذا الخلق هو الفعل المخلوق أولا عبر عنه بالمخلوق المبتدع ردا على من يزعم أنه أمر اعتباري لا وجود له متحقق وهو باطل وإنما هم مخلوق مصنوع مخترع مبتدع ذات تذوتت به الذوات وتحققت به الكينونات فكيف يكون أمرا اعتبارياً وأثره ذوات متأصله فإن المفعول معمول للفعل ومحدث به ولا يعقل تذوق المعمول واعتبارية الامل المؤثر بل الفعل أيضا عامل في الفاعلية لكون فاعليه الذات إنما تكون بالفعل لا بالذات وإلا لزم الاقتران والتغيير المنفيان بإجماع المسلمين كما سيأتي إن شاء الله وهذا الخلق إنما وصفه بالابتداع على معنى الاختراع فإن أحدهما يطلق على الآخر إذا افترقا والاختراع كما سياتي إن شاء الله هو الخلق لا من شيء أصلا فيكون هو مبدء الموجودات إذ كلها مخلوقة من شيء أي من المادة التي أحدثها الله سبحانه وتعالى بهذا الخلق فهي المخترع بالاختراع الأول الذي هو نفسه وحقيقته فإن الله سبحانه أول ما خلق الفعل وهو المشية والإرادة والإبداع والاختراع خلقه بنفسه لأنه حركة إيجادية وهي لا تتولد من الذات وإنما تحدث بنفسها لا بحركة غيرها كما قال عليه السلام (خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ)[1] فنفس المشية هي جهة فاعلية نفسها بالله تعالى فتدور المشية عليها على خلاف التوالي لكون الاستدارة استدارة المعلول على علته وهي تدور على المشية على التوالي لكونها استدارة العلة على معلولها

---

(١) الكافي ١ / ١١٠.

وبلا فرض العلية والفاعلية لم يتحقق الشيء ضرورة أن المفعول يتقوم بفاعله والمعلول يتقوم بعلته إلا أن العلة لما كانت صفة فعل لا صفة ذات لاستلزامها المقارنة والمناسبة والمرابطة لا يجوز أن تنسب إلى الذات لتعاليها عن الاقتران فوجب أن تكون تلك الصفة في رتبة الفعل وعند إحداث الفعل نفسه يكون للفعل جهتان جهة هي تلك الصفة أي الفاعل والعلة التي هما اسما الفاعل لا اسما الذات وجهة هي الإنيه المعلولة فالعليا تدور على السفلى على التوالي والسفلى تدور على العليا على خلاف التوالي والتميز بين العليا والسفلى إنما هو عند التعلق بالآثار والمتعلقات وأما في ذاته فإنما هي شيء واحد بسيط لا تعتبر فيه جهة وكيف واقتران واتصال كما قال الرضا عليه السلام **(ولا كيف له)** أي للفعل **(كما أنه لا كيف لذاته)** .

وإنما كان الجعل والإحداث لا يتم في التأثير إلا بالكيفيات الأربع لأن كل واحد منها شرط لتحقق الأخرى في الظهور والوجود ولذا قلنا إذا تعلق الفعل بالمفعول حدث هناك أربع كيفيات النار لحرارة الحركة الإيجادية المعبر عنها بالفعل ولاستقراره في نفسه وعدم صيرورته نفس المفعول كما هو مذهب طائفة الهواء لربط الفعل بالمفعول ونسبته إليه فالربط رطوبة ورطب وجهة الفاعل حرارة الماء لربط المفعول بالفعل وتوجهه إليه للاستمداد منه التراب لحفظ المفعول ما يقع عليه من تأثير الفعل والفاعل وهذه الطبايع مما لابد منه في ممكن من الممكنات إلا أنها تختلف ظهورا وخفاء لشدة بساطة المفعول وتركيبه أي ظهور البساطة والتركيب وإلا فالتركيب لا يخلو منه ممكن كما اشتهر في قولهم كل ممكن زوج تركيبي ولما كان هذا الخلق الأول وجد بنفسه لا بأمرآخر غيره كانت الطبايع هناك متحدة فالنار هناك هي نفس الثلاثة وهي نفس النار وكل واحد منها نفس الآخر بل هو شئ واحد

يطلق عليه هذه الأسماء كما تقول أن الله تعالى عالم قادر سميع بصير وكل واحد من هذه الصفات هناك عين الآخر واختلافها إنما ظهر باعتبار الآثار والمتعلقات وهذا المثال تقريبي وإلا فالمشية عند الذات مختلفة كما صرح عليه السلام في المتن كما نبين لك إن شاء الله تعالى ولذا عبر عنه بالاختلاف لأن كلامه في الوحدة المحضة كما هي شأن سؤال عمران فيكون الفعل هو أول الخلق وهو المختلف في ذاته بالطبايع الأربع وإن كان بينها اتحاد وايتلاف وهذه الطبايع أيضا ظهرت في الكونين و العالمين المعبر عنهما بالعقدين والحلين ففي الحل الأول فالرطوبة فيه غالبة لأنها هناك أربعة أجزاء و اليبوسة جزء واحد و الحرارة والبرودة بالنسبة و في الحل الثاني فاليبوسة فيه غالبة لأنها هناك جزء واحد والرطوبة جزءان فيحصل الانعقاد ففي كيفية خلق الفعل أخذ سبحانه وتعالى من رطوبة الرحمة بتلك الرطوبة التي هي نفس الرحمة بنفس الرطوبة بتلك النفس أربعة أجزاء بها ومن هبائها أي اليبوسة نفسها بها جزء به ثم صعد بها بنفس الصعود في هواء عالم الظهور فتراكمت بها به وانعقدت بها به ثم قام عبداً خاضعاً خالصاً الفقير لله سبحانه بكله وببعضه فحباه سبحانه سر الكينونة مع البينونة فحوى الأشياء وجمع الصور وحضرت عنده الأعيان وانتهت إليه روابط عالم الإمكان فظهر كعموم قدرة الله تعالى .

وحصلت له باعتبار الجهات أسماء : فهو الوجود المطلق لكونه في تحققه وتكونه وصدوره وانصداره لا يحتاج إلى شيء سوى فاعله وخالقه فوجوده مطلق أي ليس مشروطاً بشرط وقيد كسائر الحوادث والموجودات وهذا معنى إطلاق هذا الوجود وكونه لا بشرط لا على ما يزعمون من أنه حقيقة واحدة انبساطية يتعين بالحدود والأطوار والتعينات فإن الإمام الرضا عليه السلام نفى هذا المعنى عنه ويسمى أيضا بالظهور والتجلي الأول لكونه جهة

ظهور الله سبحانه وذكره و مذكوريته في الإمكان ويسمى بالفعل والحركة الإيجادية لكونه ظهوره سبحانه لغيره وموصل فيضه إلى ما يريد من خلقه ويسمى بالفاعل لكونه ظهوره سبحانه له به ولغيره ويسمى بالمشية لكونه أول الذكر والمذكور وبه نشأت الأشياء وتأصلت وبالإرادة حيث أنه مبدء الصور والأعيان وبالاختراع حيث أنه تكون لا من شيء وبالابتداع حيث أنه تكون لا لشيء ولا على احتذاء مثال وبالتعين الأول حيث أنه أول مظاهر الحق سبحانه وظهوراته في الإمكان وبالشجرة المباركة الزيتونة حيث أنه الأصل المنشعب عنه الحدود والجهات والحيثيات وكونه مصفى عن جميع ما ليس له سبحانه وبالمحبة حيث أنه أول الميل الذي هو مبدء الإيجاد وعلته وبالرحمة حيث أنه به الإحسان والامتنان ومن أثره الماء الذي به كل شئ حي وبالولاية المطلقة حيث أنه تدبير الحق للخلق في الخلق والأخذ بذمام كل شئ وبناصية كل دابة وبالأزل الثاني حيث أنه لا غاية لأوله ولا نهاية لأمده وهو منقطع ومضمحل له أول وآخر عند بارئه وبصبح الأزل حيث أنه أول ظهور الحق سبحانه كما أن الصبح أول ظهور الشمس وبآدم الأول لكونه في أول الأصول وأصلها وغايتها وبالاسم الأعظم حيث أن كل الظهورات والتجليات الإلهية إنما هي بفاضل تجليه لها وبالكاف المستديرة على نفسها حيث أنه متمم لحقايق الإمكان والأكوان ومتمم لنفسه بنفسه بالله سبحانه وبالسر المقنع بالسر والسر المجلل بالسر والسر المستسر بالسر حيث أنه مبدء المبادئ وجواهر أوائل العلل وبالسحاب حيث أن الماء الواقع على أرض الجزر إنما نشأ منه وصدر عنه وتأصل به وبالكلمة الأولى العليا حيث أنه اللفظ الصادر عن فعله سبحانه بنفسه وبالأمر حيث أنه حكم الله على الموجودات وبفلك الولاية المطلقة حيث أنه المستدير على نفسه وقطب لما سواه وبالعلم حيث أنه الذكر

الأول للأشياء الإمكانية وبالقدرة حيث أنه به استولى الله سبحانه على الأشياء واستطال عليها وبالعرش الأعظم الأعلى حيث أنه به ظهور مواد الخلق وتأييدهم من عند الله سبحانه وغيرها من الأسماء والصفات التي يطلع عليها الفطن الماهر في استعمالات حفظة الشريعه عليهم السلام والصلاة وتعدد الأسماء لأجل اختلاف جهات ذلك الخلق المبدع وتلك الجهات المستدعية لتعدد الأسماء ليست ذاتية وإنما هي باعتبار تعلقات الآثار والمفاعيل وهذه الأسماء هي الأسماء العامة للجهات العامة.

وله أيضا أسماء خاصة لجهات خاصة وهي لا تحصى ولا تعد ولا يصفها الواصفون ولا يعدها العادون مثل الحركة المطلقة فإنها اسم للفعل المطلق وأما الحركات الخاصة المتعلقه بآثار خاصة كالقيام والقعود والأكل والشرب وغير ذلك فلها أسماء خاصة كالقائم والقاعد والآكل والشارب وغير ذلك وقد برهنا في مقامه أن المشتقات إنما تشتق من المصدر المشتق من الفعل فتلك هي أسماء الأفعال لا أسماء الذات فافهم .

فظهر لك أن هذه الاختلافات ليست من حيث الذات وإنما هي من حيث الأعراض والحدود وإليه الإشاره بقوله ﷺ **(مختلفا بأعراض وحدود)** ولا شك أن الأعراض والحدود خارجة عن ذات المعروض والمحدود وجزء للحقيقة المتحصلة من انضمام ذلك الحد فإن كان المحدود الكينونة فتسمى الحدود ذاتية كتحديد ذات الإنسان بالحيوان الناطق وإن كان المحدود الصفات والأفعال فهي الحدود الفعلية كتحديد الإنسان بالكاتب والقائم والقاعد ولذا عد المنطقيون أمثال هذه الصفات من الخاصة أو العرض العام وأما الحدود الذاتية مثل الفصول والمشخصات النوعية والجنسية فعدوها من الذوات لأنها إما جزء الماهية أو عينها على زعمهم.

فالحدود الذاتية في المشية هي الطبايع الأربع المذكورة ومراتبه الذاتية في تكوينه من الحلين والعقدين واختلاف مراتبه أيضا بالنقطة والألف والحروف والكلمة التامة وأمثالها من الذاتية التي لا نطول الكلام بذكرها لكن لا على جهة الاختلاف والكثرة وإنما هي على محض الايتلاف والوحدة ولا يمكننا إدراك تلك الجهات والاختلافات لأن أقصى مقامات الوحدة الحاصلة لنا بحيث لا يمكن لنا أن ندرك وحدة وبساطة أعظم وأشد منها هي ذاتنا وحقيقتنا لا من حيث هي هي وهي أثر المشية والفعل الأول الأعظم بوسائط ولا شك ولا ريب أن التأثير إنما يقع في الرتبة السفلى لا الرتبة العليا والأثر يحكي الوجه الأسفل من أحد ظهورات فعل المؤثر فإذا كان هذا الوجه الأسفل الذي هو وجه واحد من الوجوه الغير المتناهية في الوحدة والبساطة والاتحاد كما ترى فما ظنك بأصل الفعل ونفس المشية وحقيقة هذا الخلق المبتدع المخترع ولكن لما كان الفعل أثرا للذات ومضمحلا لديها وفانيا عندها والحادث لا يكون إلا ذا الجهات قال ﷺ **(خلقا مبتدعا مختلفا)** وكان قوله ﷺ **(بالحدود والأعراض)** إشارة إلى أن هذه الاختلافات الظاهرة إنما هي لأجل المتعلقات وهي الحدود العرضية المتعلقة بالمشاءات مثل هيئة حركة اليد بالنسبة إلى الكتابة ورسم حدودها وخطوطها أو إلى أن كل ممكن زوج تركيبي وأن هذا التركيب لا بالإطلاق والتقييد والإجمال والتفصيل والتعميم والتخصيص ولا تصح أن تكون الأجزاء متساوية في العموم والخصوص والإطلاق والتقييد فإن ذلك خلاف وضع الحكيم بل لا يجري النظام المتقن إلا عليه ويتفرع على ذلك صحة عدم الصدور من الواحد الحق سبحانه إلا الواحد الذي يتكثر بالحدود والإضافات وأنحاء القرانات الفعلية والذاتية الحقيقية أو العرضية لا أنه لايمكن أن يصدر من

الواحد إلا الواحد فبطل قولهم في الحكم وصح في الوقوع والوجود كذلك الله ربنا وهنا أحكام وتفاصيل أعرضت عنها.

وقوله ﷺ **(لا في شيء أقامه)** اعلم أن الأشياء كلها قد قامت بالمشية وفي محالها الموجودة بها وهو قول أمير المؤمنين ﷺ **(وهو منشيء الشيء إذ لا شيء إذ كان الشيء من مشيته والشيء إنما يسمى شيئا لأنه مشاء)** فإذا كانت الأشياء لا تقوم إلا بها وفي محالها بها ففي أي شيء تقوم المشية إلا بذاتها وهذا إبطال ورد لقول من زعم أن الأوقات سابقه وكان وقت قبل خلق الخلق ثم أوجد الخلق فيه أو هناك مكان وعالم خلقت المشية فيه الحاصل بالمشية خلقت الأشياء ولم يكن قبلها ما يعبر عنه بـ"في" بكل معنى من المعاني وبكل وجه من الوجوه وإلا لزم إما أن يكون قديما أو حادثا لم تتعلق به المشية فيكون له مؤثر آخر أو صدر عن إيجاب واضطرار من دون إرادة واختيار والتوالي كلها باطلة .

وقوله ﷺ **(ولا في شيء حده)** اعلم أن حدود الشيء وإن كانت صورة له إلا أنها مكتنفة به محيطة عليه إحاطة القشر للب وكذا كل ظاهر بالنسبة إلى باطنه ولذا جاز إطلاق الأب على القشر كما جاز علم اللب وجاز إطلاق الابن على اللب والباطن كما اجاز على القشر إلا أن الإطلاقين في أحدهما حقيقي وفي الآخر صوري والتحديد لا يكون إلا لمطلق يصلح للتحديد بالحدود الغير المتناهية وأما المشية والفعل فهما شيء واحد متعين بذاته لا يصلح لغيره حتى يتحدد فيتميز أفراده بتميز حدوده وأوضاعه والفعل في ذاته واحد متعين ومتميز بذاته فلا يتحدد لأن التحديد للتميز ولذا عبر عنه في الأخبار بأنه الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره فيبطل إذاً القول بقدم الماهيات وأنها أعيان ثابته مستجنة في غيب الأزل والوجود المحض يتحدد بتلك الحدود فلو كان كذا لكان حده في شيء وهو حد من تلك الحدود التي هي الأعيان وهذا في البطلان بمكان.

وقوله ﷺ **(لا على شيء حذاه...إلخ)** بيان لابتداعيته أي خلقه لا على صورة سابقة أي ما جعل وما خلق محاذيا لخلق آخر وموازيا له ومماثلا معه إذ لم تسبقه صورة ولا مثال لأن الصورة به خلقت وعنه صدرت وبظهوره تمثلت وتحققت فلا يعقل تقدمها حتى يخلق هذا الخلق محاذيا ومماثلا إذ لا يعقل قدم الصورة ولا حدوثها بلا محدث ولا إحداث الوجود بلا مشية ولا إرادة ولا ثبوت مشية وإرادة غير المشية الأولى والإرادة الأولى وهذه الأولية لا ثاني لها ولا ثالث فلا تكون المشية خلقت على احتذاء مثال فافهم ولا تكثر المقال فإن العلم نقطة كثرها الجهال.

ولك أن تقول أن قوله ﷺ **(لا في شيء أقامه ولا في شيء حده)** بيان لاختراعية المشية وكونها مخلوقة لا من مادة سابقة وقوله ﷺ **(ولا على شيء حذاه)** بيان لابتداعيتها وكونها مخلوقة لا على صورة ومثال قبلها فوجدت الثوابت والأوامر بالأولى والمنفيات والمناهي بالثانية وإليه الإشارة بقوله ﷺ بالصحيفه (فهي بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ، وَ بِإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ)[1] والمشية و الإرادة بمعنى واحد إلا أن متعلقها مختلف فافهم.

ولما كان المعبر عنه بالوجود على ثلاثة أقسام الأول الوجود الحق وهو آية الذات الأقدس تبارك تعالى وتقدس بأسمائه وصفاته وأفعاله، والثاني هو الوجود المطلق وهو الإمكان الراجح أي الذكر الأول الذي هو المشية ومراتبها وأحوالها الذاتية والفعلية والثالث الوجود المقيد وهو الإمكان الجائز أي المشاءات المتعلقة بها المشية ولما أشار الإمام ﷺ إلى القسمين الأولين بأكمل إشارة وأتم تبيين أراد أن يشير إلى الوجود الثالث أي الوجود المقيد لأن في الوجود إما خالق وهو الأول أو خلق وهو الثاني أو مخلوق وهو الثالث أو قل

(١) الصحيفة السجادية ٥٢.

فاعل وفعل ومفعول فقال عليه الصلوة والسلام : **(فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة واختلافا وايتلافا وألوانا وذوقا وطعما)**.

أقول: هذه العبارة الشريفة تشعر أن الاختلاف في الخلق الأول الذي ذكر أنه مختلف باختلاف الحدود والأعراض المختلفة ليس اختلافا تظهر آثاره وتتبين وإنما الاختلاف والكثرة والتعدد هناك بالنسبة إلى ذات القديم جل شأنه وأما بالنسبة إلى ما دونه فهو في الوحدة والبساطة بحيث لا يمكن أبسط منه ولا أعلى منه ولذا ذكر عليه السلام الاختلاف والايتلاف والألوان والأذواق والطعوم التي هي جهات الاختلاف بعد ذلك .

وبيان ما ذكره عليه السلام بالإجمال هو أن الفعل لما تعلق بإيجاد الأثر فأوجده الله به فانوجد ذلك الأثر وهو قوله تعالى ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ فكن هو الفعل وهي الكلمة التي انجز لها العمق الأكبر ويكون هي الأثر والمشاء فله جهتان جهة تشير إلى مبدئه وبها يشتق منها كن ويتولد عنها لأنك إذا حذفت حرف المضارعة التي هي الياء وحذفت الواو التي في الوسط لالتقاء الساكنين يستنطق وهذا الاشتقاق اشتقاق الصفة أي ظهور الموصوف فيها بها وهذا معنى كون نور محمد وعلي وفاطمة والطيبين الطاهرين من أولادهم عليهم السلام في صلب آدم عليه السلام وتولد تلك الأنوار المقدسة عن تلك الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة والجهة الأخرى تشير إلى نفسه وكينونته ولذا ترى ضمير الفاعل فيكون يرجع إلى نفس الأثر لا إلى المؤثر ولا إلى فعله ولما كانت الجهة العليا الأولى جهة المبدء وظهوره بفعله واسمه وصفته كانت نورا وضياء والجهة الثانية لما كانت جهة احتجاب المبدء وبعده عنه واختفائه لديه كانت ظلمة وقد تسمى الأولى بالوجود والثانية بالماهية والأولى هي المادة والثانية هي الصورة والشيء المخلوق الموجود مؤلف ومركب منهما

تركيبا لم يضمحل أحد الأجزاء في الآخر بحيث يصدر منهما الأمر الآخر الثالث كما مقتضى التركيب ولكن الله سبحانه بقدرته ومشيته ركبهما وألفهما وجعل كل واحد منهما تام التأثير في اقتضائه حال التركيب فلذا تحقق للشيء الاختيار لوجود مبدء ميلين متضادين فيه فبالجهة الأولى النورية يميل إلى الخيرات والطاعات الصرفة المحضة وبالجهة الثانية الظلمانية يميل إلى المعاصي والسيئات والشرور المحضة الصرفة ولكن لما كانت له وحدة تأليفية لا يمكن أن يكون في حال التفاته إلى أحد الجهتين وإظهار مقتضاها أن يكون ناظرا إلى الجهة الأخرى فيشغله شأن عن شأن والذي لا يشغله شأن عن شأن هو الله سبحانه المنزه عن جهات التمييز وحدود التعيين ولذا قال تعالى ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[1] فإذاً دائما يصدر عن الشيء إما آثار النور والخير أو آثار الظلمة والمعصية فإن كان نظره دائما إلى جانب الخير وجهته فهو الصافي الذي ليس بمشوب مع الظلمة والشر وإن كان نظره وعمله إلى الجانب الآخر دائما سرمداً فهو صافي الظلمة وإن كان قد ينظر إلى هذه الجهة وقد ينظر إلى الأخرى وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا إلا أن الصفوة في الإطلاقات والتعبيرات لا تطلق إلا على أهل الخير والنور الذي نظرهم إلى الجهة العليا المعصومون المطهرون الذين لا يغفلون ولا يفترون عن طاعته وعبادته وغير الصفوة من سواهم من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومن المغمورين في المعاصي والمنهمكين في السيئات الذين لا توجه لهم إلى بارئهم أبدا بحال من الحالات وهؤلاء الفريقان هم الغير الصفوة ثم أن هؤلاء مختلفون فمنهم من تكون الصفا وغيره فيه عن العمل التشريعي المستلزم للوجود التكويني وهم المطيعون والعصاة في كل سلسلة في العرض

(١) الإحزاب ٤.

أي الذين أخذت طينتهم من عليين والذين أخذت من سجين والذي أصل طينتهم من عليين وفيهم خلط من سجين والذين أصلهم من سجين وفيهم خلط من عليين والمرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ومنهم من يكون الصفا وغيره فيهم عن العمل التكويني المستلزم للوجود التشريعي و هم الواقعون في سلسلة الطول وهؤلاء ثماني طبقات .

فأعلى الصفوة الحقيقية المحمدية ﷺ أعني قصبه الياقوت المشتملة على عقود أربعة عشر ثم الأنبياء المرسلون وغيرهم على طبقاتهم ثم الإنسان الرعية من حيث الكينونة الحقيقية لا الصورة الظاهرية ثم الجن ثم الملك ثم البهائم ثم النبات ثم الجماد ومنهم من يكون الصفا وغيره فيهم بحسب تقدمهم وتأخرهم في الإجابة والوجود من مراتب الشيء الواحد بحسب إقباله وإدباره وتكثر الجهات وقلتها وهؤلاء أيضا ثماني طبقات فأعلاها في الصفا والطهارة وقلة الجهات الفؤاد أي الوجود المرتبط بالماهية ثم العقل الأول والعقل الكلي الذي قال الله تعالى له **(أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب)**[1] وهو أكمل الصفوة بعد الفؤاد وباب المراد والمداد الذي به الإمداد ومنه الاستمداد ثم الروح النور الأصفر الذي منه اصفرت الصفرة ثم النفس عالم الذر والنور الأخضر الذي منه اخضرت الخضرة ثم عالم الطبيعة حجاب الياقوت والجوهرة التي ذابت لما نظر الله إليها بعين الهيبة ثم عالم جوهر الهباء المادة الجسمانية وهي البحر الذي حصلت لأجل ذوبان تلك الجوهرة أي الياقوتة ثم عالم المثال والأشباح أبدان نورانية لا أرواح لها ثم عالم الأجسام من العرش إلى الثرى . فأصفى الموجودات المقيدة العقل وأكدرها

(١) وسائل الشيعة ١ / ٣٩.

الجسم وأصفى الأجسام العرش ثم الكرسي ثم فلك الشمس ثم فلك زحل ثم فلك المشتري ثم المريخ ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر ثم كرة النار ثم كرة الهواء بالطبقات الثلاث ثم كرة الماء ثم كرة الأرض فألطفها وأصفاها العرش وأكدرها الأرض وما بينهما متوسطات فما قرب إلى الأول أصفى وما قرب إلى الأسفل أكثف وأكدر هذا هو المراد من قوله ﷺ **(فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة)** فقد جمع في هذا الكلام الموجز المختصر جميع مراتب الوجود ومقاماتها وأطوارها وأحوالها من حيث نفسها كما أشرنا إليها بالإجمال .

وأما بإضافة بعضها إلى الآخر فقد أشار ﷺ إليه بقوله **(واختلافا وائتلافا)** لأن الأشياء كلها إذ أضيفت بعضها إلى بعض لا يخلو عن واحد منهما لأن أصلهما الطبايع الأربع وهي اثنان منها متباغضان متخالفان واثنان منها متؤالفان متوافقان فالأول الحرارة و البرودة وجميع لوازمهما ومقتضياتهما وآثارهما وأحوالهما والثاني الرطوبة واليبوسة وجميع لوازمهما ومقتضياتهما وآثارهما وأحوالهما فبينهما بينونة واختلاف وأما هذه الأربعة إذا اجتمعت فبينهما نسبة وايتلاف لأن بعضهما وإن كان يبغض البعض الآخر إلا أن هنا مصلح آخر مناسب للمتباغضين يورث الاجتماع والايتلاف فالحرارة تناسبها الرطوبة وهي تناسبها البرودة فتجمع بينهما في محل جامع والبرودة تناسبها اليبوسة وهي تناسب الحرارة فتجمع بينهما والرطوبة واليبوسة يجمعان بواسطه الحرارة والبرودة وهما يجتمعان ويأتلفان بواسطتهما فيتركب ويتألف الشيء منها مع بقاء كل منها على صرافة تأثيرها وتدبيرها وبها تتم أضلاع المربع وتقوم معتدلة الزوايا ذلك تقدير العزيز العليم .

فأصل الاختلاف من جعل النور الذي هو الموجود ومنه الحرارة وجعل

الظلمة التي هي الماهية ومنها البرودة ومن جعل نسبة كل منهما بالآخر التي هي الرابطة وهي المودة والرحمة المذكورة في الآية الشريفة ومنها الرطوبة واليبوسة فاختلفت وائتلفت وهذا هو الحكم في كل شيء وكل ذرة في الوجود المقيد.

ولما كانت الأشياء تحركت على المحور لا على القطب اختلفت بحسب القرب عن القطب والبعد عنه وباعتبار الحدود والأوضاع والقرانات تمايزت نقطة الجنوب والشمال ونقطة المشرق والمغرب فتمايزت الحرارة عن البرودة والرطوبة عن اليبوسة في الأشياء بحكم الغلبة وظهور الآثار فتمايز الاختلاف عن الايتلاف إلى أن قال الإمام ﷺ (**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَ مَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**) فتقابلت الأشياء بالاختلاف والايتلاف من النورانية والظلمانية والحرارة والبرودة والحلاوة والحموضة وأمثال ذلك.

وأما في الحركة الأولى التي هي الحركة على القطب كل هذه الأمور المختلفة فيها مؤتلفة ويظهر هذا الايتلاف في الآخرة فيرد الاختلاف إلى الايتلاف ويظهر من كل واحد آثار جميع هذه الطبايع فالاختلاف والايتلاف يردان على شيء واحد فمختلف من جهة ومؤتلف من جهة وهما بحران يلتقيان وأول ملتقى هذين البحرين العقل ثم ما دونه من المراتب والأطوار ويجوز لك أن تقول أن الاختلاف إشارة إلى الشكل المثلث والايتلاف إلى المربع وبجمعهما يحصل حد الوجود وبالضرب يمتاز الشاهد من المشهود والموجود من المفقود فتظهر كلمة الله العليا في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1] وتستولي يد الله على كافة الورى في قوله تعالى

(١) الفقيه ٤ / ٣٨٠.
(٢) يس ٨٢.

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] . ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2] فافهم إن كنت تفهم وإلا فاسلم تسلم .

ثم لما بين ﷺ أحكام الخلق من حيث الإضافات والقرانات التي تدور على الاختلاف والايتلاف المعبر عنهما بالتواجه والتناكر في الذات والصفات أو في أحدهما دون الآخر أراد ﷺ أن يبين صفات الأشياء وأحوالها وخواصها واقتضاءاتها الذاتية والفعلية فقال ﷺ **(وألوانا وذوقا وطعما)** فاللون هو اقتضاء الطبايع الأربع فالحرارة واليبوسة المجتمعان في النار تقتضيان الحمرة على الأصح وإن قال بعضهم باقتضائهما الصفرة نظرا منهم إلى المرة الصفراء فإنها حارة يابسة قطعا ولونها صفرة قطعا وهذا وهم منهم فإن الصفرة ليست ذاتية للمرة المذكورة وإنما حصلت لخلطها مع الرطوبات البلغمية ألا ترى الجمرة فإنها حارة يابسة حمراء فإذا وضعتها على الدهن والحطب أو غير ذلك مما فيه رطوبة تشتعل فتكون الشعلة صفراء وترى الشمس قرصها أحمر وهي حارة يابسة قطعا فإذا وقعت أشعتها على الأرض والجو بما فيهما من الأبخرة والأدخنة وسائر الرطوبات يميل لونها إلى الصفرة وأما إذا وضعت الجمرة الحمراء على الحديد والنحاس وغيرهما مما ليست فيه الرطوبة الزائدة فلا تبرح على لون الحمرة وهذا معلوم واضح إن شاء الله والحرارة والرطوبة المجتمعان في الهواء تقتضيان الصفرة على الأصح وإن قال بعضهم باقتضائهما الحمرة نظرا منهم إلى الدم فإنه حار رطب اتفاقا ولونه الحمرة بالضرورة وهذا أيضا وهم منهم فإن حمرة الدم ليست من لونه الذاتي وإنما لونه الذاتي ما ذكرناه إلا أن الحمرة حصلت بممازجة الصفرة مع الرطوبات البلغمية

(١) الفتح ١٠.
(٢) الزمر ٦٧.

فإن البدن إذا خلى من الرطوبات فنى والصفرة المختلطة بالبياض تقتضي الحمرة ألا ترى الزنجفر فإنه مركب من الكبريت وهو الأصفر ومن الزيبق وهو الأبيض ومن التأليف بالتركيب الاعتدالي تحصل الحمرة فحمرة الدم من هذا القبيل، والبرودة والرطوبة المجتمعان تقتضيان البياض ولا أعلم في ذلك خلافا لأحد من أهل العلم والنقض بالأشياء الباردة الرطبة التي لونها غير البياض والحارة اليابسة التي لونها البياض كالملح وغيره مدفوع باختلاف اللون العرضي والذاتي وكون الشئ ذا طبيعتين وذا لونين فإن الملح إذا صعدته وأخذت رطوباته المائية ترى في باطنه دهنا أحمرا براقا كالياقوت وينفصل عن عرق ماء أبيض وهكذا غيره يظهر لونه على حسب طبيعته الخاصة وهنا تفاصيل شريفة أعرضت عن ذكرها وبيانها ، والبرودة واليبوسة المجتمعان في الأرض والتراب والمرة السوداء تقتضيان السواد إجماعا منهم ولا يختلفون في ذلك وماترى من الألوان المختلفة في الظاهر المنافية للطبيعة فكما ذكرنا وعلى ما قلنا فافهم. وهذه الأربعة أصول الألوان وباقي الألوان كلها بجميع أجناسها وأنواعها وأشخاصها مستخرجة ومتحصلة من تأليف هذه الأربعة بعضها ببعض كالخضرة تحصل من اجتماع الصفرة والسواد والزرقة تحصل من اجتماع البياض والسواد وهكذا أمثالها.

ولما كانت العوالم الألف ألف كلها إنما تحصلت وتحققت من هذه الطبايع إلا أن في كل مقام بحسبه من ظهور الطبائع الأربعة فقد أشار ﷺ إلى ألوان جميع العوالم وسائر الصفات تتبع الألوان التابعة للطبايع الأربع وأول ما تكون العرش تكون من أنوار أربعة والعرش أول ما خلق الله تعالى كما دل عليه العقل والنقل وهو مركب من أنوار أربعة كما قال أمير المؤمنين ﷺ وهو النور الأبيض وهو الحاصل من نور سبحان الله ظاهرا وباطنا وبياضه لشدة انفعاله وخصوعه وانكساره وهو في الباطن أحمر قان وهو العقل الأول أي

القلم والنور الأصفر وهو الحاصل من نور الحمد لله ظاهرا وباطنا وهو الروح وأصل البراق ومنشأ الوفاق وعليه الاتفاق والنور الأخضر وهو الحاصل من نور لا إله إلا الله ظاهرا وباطنا وهو النفس الكلية وأصل عالم الذر والنور الأحمر وهو الحاصل من نور الله أكبر ظاهرا وباطنا وهو الطبيعة الكلية مبدء الأجسام وعلة النقش والارتسام وهو الذر الثاني وعالم المباني بجميع الأفلاك والعناصر والمتولدات والموكل بالركن الأول ميكائيل ويخدمه الصبا ويعينه إسرافيل وعزرائيل بنصف قوتهما والموكل بالركن الثاني إسرافيل ويخدمه الجنوب ويعينه الصبا وجبرائيل وميكائيل بنصف قوتهما والموكل بالركن الثالث عزرائيل ويخدمه الشمال ويعينه جبرائيل وميكائيل بنصف قوتهما والموكل بالركن الرابع جبرائيل ويخدمه الدبور ويعينه عزرائيل وإسرافيل بنصف قوتهما والكلام في هذا المقام طويل فجبرائيل صاحب الريش الأحمر وعزرائيل صاحب الجناح الأخضر وإسرافيل صاحب الجناح الاصفر وميكائيل صاحب الجناح الأبيض وهكذا كل مقام بحسب ما فيه من الطبايع والخواص فافهم.

وأما الطعوم فاعلم أن كلياتها تسعة وهي الطعوم البسيطة عندهم لأن الطعم لابد له من فاعل وهو الحرارة أو البرودة أو الكيفية المتوسطة ومن قابل وهو الكثيف أو اللطيف أو المعتدل بينهما و إذا ضرب أقسام الفاعل في أقسام المنفعل حصل أقسام تسعه ينقسم الطعوم بحسبها فالحرارة إن فعلت في اللطيف حدثت الحرافة وفي الكثيف حدثت المرارة وفي المعتدل حدثت الملوحة والبرودة إن فعلت في اللطيف حدثت الحموضة وفي الكثيف حدثت العفوصة وفي المعتدل حدثت القبض، والكيفية المتوسطة بين الحرارة والبرودة إن فعلت في اللطيف حدثت الدسومة وفي الكثيف حدثت الحلاوة وفي المعتدل حدثت التفاهة وهي على نوعين أحدهما أن لا يكون له طعم

حقيقة والتفه بهذا المعنى يسمى مسخيا والثاني أن لا يكون لها طعم في الحس ويكون له طعم في الحقيقة لكن لشدة الالتيام بين أجزائه لا يتحلل منه شيء يخالط اللسان فلا يحس بطعمه ثم إذا احتيل في تحليل أجزائه وتلطيفها أحس منه بطعم كالحديد والنحاس.

أقول قولهم لا يكون له طعم حقيقةً غلط فإن كل ما دخل في الوجود من ذي الطبايع فإن له طعماً ولوناً فإن اللون والطعم من آثار الطبايع واقضاءاتها فلا يصح وجود المقتضى بدون المقتضي نعم قد يحصل موانع لظهور المقتضى فيمنعه عن الظهور لا الاقضاء وقولهم رفع المانع من تتمة المقتضى غلط منهم فإن المانع شيء والمقتضى شيء آخر لا دخل لأحدهما بالآخر نعم رفع المانع شرط لظهور المقتضى لا لوجوده كنور الشمس فإنه موجود بوجودها ولكن إذا لم يكن هناك جسم كثيف لم يظهر النور فإذا وجد الجسم الكثيف ظهر النور فلا يقال عند وجود الجسم الكثيف وجد النور هذا ظاهر إن شاء الله تعالى . والفرق بين العفص والقبض أن القبض يقبض ظاهر اللسان وباطنه والعفص يقبض ظاهر اللسان فقط.

وهذه الطعوم تجري في كل العوالم في كل المراتب لا تخص بمرتبة دون مرتبة أخرى وبعالم دون عالم آخر في كل شيء بحسبه فأشار عليه الصلاة والسلام إلى جميع ما في العوالم بكل أحوالها فإنها لاتخلو بهذه الأطوار ويدخل في اللون الصفات كلها ويدخل في الطعم الخواص والخاصيات بأسرها ويدخل في الاختلاف والايتلاف أحكام جميع القرانات والإضافات والنسب والأوضاع ويدخل في الصفوة وغير الصفوة جميع الذوات والحقائق والكينونات والوجودات والماهيات في السلسلتين الطولية والعرضية بأبي وأمي من متكلم ما أجمع كلامه وأوضح بيانه نعم هو ابن من قال : (أوتيت

جوامع الكلم)[1] صلى الله عليه وعلى جده وجدته وآبائه وأبنائه الطيبين الطاهرين المعصومين ولعنة الله على أعدائهم وظالميهم ومخالفيهم أجمعين أبد الآبدين ودهر الداهرين .

ولما أشار الإمام عليه السلام إلى العلة الفاعلية بقوله **(ثم خلق)** والعلة المادية والصورية بقوله **(صفوة وغير صفوة)** واختلافا وايتلافا وألوانا وذوقا وطعما فالصفوة الوجود وهو العلة المادية والغير الصفوة الماهية أي الحدود والهندسة الإيجادية من الزمان والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف والوضع وساير الحدود والأوضاع والقرانات وإنما كان الغير الصفوة إشارة إلى الماهية لأنها جهة البعد عن الوحدة والنور والخير والاختلاف إثبات حركة كل منهما فإنهما كرتان متداخلتا السطوح يتحرك كل منهما إلى خلاف جهة الآخر فالوجود يتحرك على التوالي إلى جهة مبدئه الذي هو قطب استمداده واستغنائه وافتقاره والماهية تدور على خلاف التوالي إلى جهة الوجود من حيث نفسه لا من حيث مبدئه على حد قوله تعالى ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[2] فهما مختلفان في جميع الاقتضاءات والأحوال إلا أن في كل حركة يتبع أحدهما الآخر فيكون حركة أحدهما ذاتية والأخرى عرضية وهو حقيقة الاختلاف وأما الايتلاف فهو الإشارة إلى النسبة الارتباطية بين الوجود والماهية ليتحقق بهما التأليف والتركيب ولولاها لما صح الاقتران والاجتماع وهي منزلة التراب الذي يمزج الملك بين النطفتين نطفة الرجل الحارة اليابسة ونطفة المرأه الباردة الرطبة وهما المتضادان المتباغضان والتراب يناسب نطفة الرجل باليبوسة ونطفة المرأة بالبرودة فتربط بينهما وهو القاضي الذي يشير إليهما بالتراضي واللون والطعم من متممات العلة الصورية ومكملاتها .

ولما أشار عليه السلام إلى هذه المراتب أراد أن يشير إلى العلة الغائيه وأنها ليست

(١) عوالي اللآلي ٤/ ١٢٠.
(٢) النمل ٢٤.

لحاجته تعالى إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً فقال ﷺ: **(لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصانا تعقل هذا يا عمران قال نعم والله يا سيدي قال واعلم يا عمران أنه لو كان خلق ما خلق لحاجة لم يخلق إلا ما يستعين به على حاجته ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ماخلق لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى والحاجة يا عمران لاتسعها لأنه لم يحدث من الخلق شيئا إلا حدثت فيه حاجة أخرى ولذلك أقول لم يخلق الخلق لحاجة ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض وفضل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضل ولا نقمة منه على من أذل فلهذا خلق)** .

أقول أخذ ﷺ في الاستلال على أن الغاية في الإيجاد ليست استكمالا له تعالى بأن يكون متمما لنقصانه تبارك وتعالى في ذاته بأن لا يتم إلا به كالأعمال التي يفعلها العباد تتميما لذاتهم وتكميلا لحقيقتهم ولا يزال بالعمل تزداد الذات وتترقى الحقيقة والوجود ولا تقف الزيادة على حد فلا يتم نقصان الإمكان أبدا ولا تفنى حاجتهم سرمدا وإن ترقت ذواتهم وتكملت كينوناتهم وكيف يجوز لعاقل أن يثبت هذا النوع من الاستكمال لذات الله سبحانه تعالى فإن الاستكمال بالعمل الذي هو الأثر الذي هو معدوم وفان من مرتبة المؤثر فلا يمكن تأثيره في استكماله وإكماله إذ لا يوجد له هناك حتى يكمل نعم إذا كان العامل أثرا لغيره ليكون ذاته أثرا لفعل الغير فيكون حركته بذاته وفعله بحقيقته إلى جهة مبدئه فيستكمل بالتوجه إلى مبدئه بدوام نظره إليه وإمداده له بالمدد الذاتي الوجودي وأما إذا كان الوجود عين حقيقة ذاته لا بأمر آخر مستفاد فلا يتوجه إلى أعلى منه أبدا وأما آثار أفعاله فلا ذكر لها في مرتبة ذاته فأين الاستكمال إذن وكذلك إذا كانت الغايه تحقق صفة من الصفات

الكمالية لم تكن له تعالى فإن ذلك أيضا باطل وكفر بل لا يعقل فإن الذي وجوده ذاته لا ينتظر ولا يستقبل وإلا لم يكن وجوده ذاته فإن ذاتي الشيء لا يختلف وقد شرحنا هذه المسألة بأكمل شرح في بعض رسائلنا وكذلك هو سبحانه وتعالى لم يتغير بخلق الخلق حتى تحصل له الزيادة والنقصان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **(لم يسبق له حال حالا فيكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا)**[1] فلا يتصور في حقه استقبال ولا ماض ولا حال لأن متنقل الحالات حادث فلا يتفاوت حاله سبحانه قبل الخلق وبعد الخلق ومع الخلق فلا يمكن أن تثبت له صفة بعد الخلق لم تكن قبل الخلق ولا اسما قبل الخلق قد زال بعد الخلق ولا كان فاقدا خلقه قبل الخلق ثم صار واجدا له ولا كان الخلق كامنا في ذاته بالوجود الجمعي الإجمالي ثم صار بعد الخلق ظاهرا بالوجود الفرقي التفصيلي ولا بنسبة وارتباط بينه وبين خلقه لتكون له حالتان حالة في ذاته وحالة في نسبته بخلقه ولا أن حبه الذاتي اقتضى أن الظهور العلمي والكوني ولا أنه لكمال حسن ذاته وجماله أراد أن يرى مثاله في المرايا الآفاقية والأنفسية فإن الجميل يلتذ إذا رأى جماله في المرايا ولا حل في شيء لتكون له حالتان قبل الحلول وبعد الحلول ولا اتحد بشيء ولا كان مطلقا فتقيد ومنبسطا فتعين ولا كانت الأعيان والماهيات مستجنة في ذاته فبرزت ولا لازمة لذاته ولا كان فاقدا لشيء حتى لا يصح وقوع خطابه عليه لتخص خطاباته ولا كانت الأسماء اللفظيه موضوعة لذاته وحقيقته حتى تتفاوت حاله قبل الوضع وبعد الوضع ولا أنه تعالى قبل الخلق لم يكن عالما بالأشياء ثم علم بعد الخلق ولا يصح السؤال والقول بأنه تعالى كيف كان علمه بالأشياء قبل الخلق وكيف كان بعد الخلق فإن السائل جاهل

---

(١) نهج البلاغة ١ / ١١٢.

والمتكلم المجيب بالفرق أجهل ولا غير ذلك من الأحوال الجارية عليه تعالى المستلزمة لزيادة و نقصان وتفاوت حال قبل الخلق وبعد الخلق وبما ذكره ﷺ انخرمت قواعد كثيرة متداولة بين الحكماء والعلماء من المتقدمين والمتأخرين كما أشرت إلى بعض أنواعها بالإشارة ولو أردنا كشف الحال وتوضيح المقال وذكر الاستدلال لطال بنا الكلام ولسنا بصدده.

ولما كانت هذه المسأله وإن كانت بحسب القول واللسان متفقا عليها ولكن لسان أحوالهم الظاهرة بلحن مقالهم يتكلم بالفرق بين الحالتين وإثبات الزيادة والنقصان ولذا أشار ﷺ ثم نبه عمران وقال له **(تعقل هذا يا عمران)** أي تفهم وتنبه على أن ما ذهبت إليه أنت وغيرك في عقائدهم يبطله قولي ولا رأى لنفسه زيادة ولا نقصانا وهذه الفقرات الثلاثة وإن كانت خالية عن الاستدلال الظاهري وقد قلنا أنه ﷺ أخذ في الاستدلال تنبيها على أن هذه الكلمات المباركة من القضايا التي قياساتها معها وقد ذكر في هذه الفقرات روحي فداه جوامع العلم.

ثم أراد أن يبين الغاية الأصلية الحقة وأن فعل الله تعالى لا يجوز أن يكون عبثا ولا اتفاقيا ولا إيجاباً وإنما هو فعل اختيار صدر عن كمال الإرادة والفائدة والغاية لا يجوز أن تكون تلك الغاية راجعة إليه سبحانه ليكون محتاجا فإنه تعالى لو خلق ما خلق لأجل احتياجه إليهم فوجب أن يخلق دفعة أضعاف أضعاف ما خلق فإنه تعالى إذا فرضناه يتقوى بخلقه فكلما كان الخلق أكثر كانت القوة أعظم وأشد فلِمَ اقتصر في الخلق على التدريج وعلقه بالأسباب وأجرى عليه المسببات فإن كان لأجل العجز والضعف حتى يحتاج إلى معين فباطل أيضا لأن المفروض أنه قادر لا مانع له في مشيته وخلق الخلق لحاجته فإذن ما دام لم ينقطع الخلق أي يصل الخالق إلى حد

لا يقدر على أزيد من ذلك أو تنقطع قوابل الإمكان عن صلاحية الإيجاد أو يخلق في كل دفعة أضعاف ما خلق وهكذا إلى ما لا نهاية له لم تنقطع الحاجة والشقوق كلها باطلة .

أما عجز الخالق عن الخلق فظاهر، وأما قطع قوابل الإمكان فباطل أيضا لأن قابلية الإمكان لا نهاية لها فلا تنظر في شيء إلا ويمكن في حقه الأشياء كلها وبالقرانات والأوضاع لا ينتهي إلى حد ولا يقف على مرتبة وحكم، والثالث غير واقع بالضرورة، فثبت أن الخلق ليس لحاجة نفسه فإنها افتقار محض وهو لا يجامع الغناء المحض إذا لم يكن فرق بين الخالق والمخلوق والمنشيء والمنشأ والمكوِّن والمكوَّن لأن الحاجة من صفات المخلوقين والفقر سمة المربوبين فلا يجري عليه ما هو أجراه، والفقر عدم والوجوب وجود فلا يجتمعان أبدا، ولا ذكر لأحدهما عند الآخر ولما كان الإمكان والحاجة أمرين وجوديين وكل ما كان كذلك يحتاج إلى الواجب المحدث وإلا لكانا قديمين أو معدومين وكلاهما محال، فإن على الأول يلزم تعدد القدماء وقد دلت الأدله القطعية على بطلانه كما ذكرت وشرحت في محلها، وعلى الثاني يلزم أن لا يكون الخلق ممكنين ومحتاجين لأن العدم يناقض الوجود، فإذا لم يكن الإمكان ولم تكن الحاجة استغنت الخلائق والبديهة تقتضي بطلان ذلك فوجب أن يكون الإمكان الذي هو الحاجة والفقر أمرا وجوديا مخلوقا مجعولا خلافا لبعض الحكماء والمتكلمين بل أكثرهم من قولهم بأن الإمكان ذاتي لم يتعلق به جعل الجاعل وإلا لزم انقلاب الحقائق وللبعض الآخر حيث حكموا بأن الإمكان أمر عدمي انتزاعي لا تحقق له ولا تذوت أصلا.

ولما كان القولان كلاهما باطلين نبه عليه السلام على بطلانهما فقال عليه السلام **(ولذلك أقول لم يخلق الخلق لحاجة ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم على بعض)**

فالحاجة والافتقار أمران وجوديان خلقهما الله تعالى وألزم الخلق إياها بمقتضى ذواتهم، فإن الله سبحانه وتعالى جعل في الخلق جهتين جهة غناء وهي عين افتقاره إلى الله تعالى لأنها وجهه فلا تتقوم ولا تتحقق إلا بالنظر إليه سبحانه ليستمد منه فهي دائما فقيرة إليه لائذة ببابه وسائلة من جنابه لا ترى لنفسها تذوتا أصلا، فحيث كانت كذلك جعلها الله تعالى بابا لإمداداته وفيوضاته منها يمد غيرها وبها يفيض على غيرها، فلما افتقر في الغاية والنهاية استغنى كذلك، والجهة الثانية جهة افتقاره وهي جهة استغنائه لأنها جهة إنيته ونظره إلى نفسه وجهة ماهيته وإعراضه عن مبدئه واحتجاب الحق به فهي بعيدة عن النور وهي فقيرة دائما ناظرة إلى غيره تعالى وهو الفقر سواد الوجه في الدارين كما أن الأول هو الفقر الذي فخري وبه أفتخر فخلق الله سبحانه الحاجة وألزامها إياهم حين شعروا بأنفسهم ونظروا إلى جهات إنيتهم وظهر حكم الغيور واحتجب صرف النور فلما تحقق الوجود والماهية تحققت النسبة الارتباطية ثالثة بينهما و كل واحدة محتاجة إلى الآخر بجهة، أما الوجود فمحتاج إلى الماهية في الظهور الكوني والعيني الحقيقي والرسمي أكثر وأعظم وإن كان محتاجا إليه في الوجود والتحقق أيضا والماهية محتاجة إلى الوجود في التذوت والتحقق لأنها حدوده وهيئات رسومه وإن كانت محتاجة أيضا في الظهور فتوقفهما تساوقي والدور معي وكذلك حكم النسبة الارتباطية معهما وحكمهما معها فالنسبة كالمصدر والوجود كاسم الفاعل والماهية كاسم المفعول في الوجه الأسفل وهما مشتقان من المصدر وهو منحل إليهما فكل إلى كل مضاف ومنسوب .

فلما تحققت هذه الثلاثة وجدت الطبايع الأربع متساوقة مترابطة متناسبة متوقفة بعضها على بعض فالنار ظهرت بالماء والماء وجد والهواء بالنار وظهرت

بالتراب وهو قد وجد بالهواء بها وكل واحد منها شرط لوجود الآخر وتحققه والأصل في ذلك أن الشيءإنما حدث بالفعل والإنفعال كما تقول أوجدها فأنوجد فلا يكون الشيء شيئا إلا بهما معا فالفعل وجدت به الحرارة وأثره الذي في المفعول وجد به الرطوبة ومن تلقي المفعول المدد من الفاعل المعبر عنه بالميل المفعولي وجدت البرودة ومن نفس المفعول من حيث هو الحافظة لما يرد عليها من فعل الفاعل وجدت اليبوسة فصار الشيء لا يتم إلا بهذه الأربعة وتلك الثلاثة ففي تأصله ووجوده مفتقر إلى سبعة أشياء وتلك السبعة بعضها شروط لتحقق الآخر وظهوره ثم لما تكثرت الأشياء وتعددت كانت علة الكثرة قرانات تلك السبعة بعضها ببعض على الأوضاع المتخالفة والأطوار المتباينة ففي بعضها تجد غلبة النار وفي بعضها الهواء وفي بعضها الماء وفي بعضها التراب وفي بعضها الاثنين وفي بعضها الثلاثة على الاختلاف في مراتب الحرارة في السبعة والبرودة واليبوسة والرطوبة في المراتب السبعة التي لكل منها من جهة القوة والضعف كالمرتبة والدرجة والدقيقة والثانية والثالثة والرابعة والخامسة فصارت أفراد الموجوات المتكثرة يفتقر بعضها ببعض لافتقار تلك السبعة بعضها ببعض وشدة الافتقار وضعفه على حسب ما في الشيء المفتقر من الطبايع والأكوان، فالسماء محتاجة في استدارتها على الأرض إذ لولاها لم يظهر نورها وبركاتها وأشعتها ومنافعها وكذلك وجودها أيضا، لأن الأرض قابلية لوجود السماء إلا أن الأول أظهر لغلبة الحرارة النارية فيها وغلبة البرودة الترابية في الأرض وكذلك الحكم في العكس وشرح تفاصيل هذه الأحوال مما لا يناسب هذا المقام فالإعراض عنه أولى وهذا مجمل معنى قوله عليه السلام **(بل نقل بالخلق الحوائج)** فإن الله سبحانه أمسك الأشياء بعضها ببعض وأقام بعضها ببعض.

ولما كانت علة الحاجة الارتباط وعلة الارتباط الحركة وكان الله سبحانه

منزها عن الحركة المورثة للارتباط المورث للحاجة أما كون علة الارتباط الحركة فإن الارتباط إنما يحصل من ميل أحد الشيئين إلى الآخر سواء كان الميل ذاتيا أو وصفيا عرضيا ولا نعني بالحركة إلا الميل وهو كون الأول بوجهه في المكان الثاني وهذا المعنى هو المفهوم من الميل وأما كون الارتباط علة للاحتياج فإن ذلك لا يتحقق إلا بين أمرين فكان كل منهما مفتقرا إلى الآخر في تحقق الرابطة وهي علة التركيب فإن المركب في تحققه محتاج مفتقر إلى ربط الأجزاء وتأليفها فكل مرتبط مركب لا أقل من الجهتين اللتين يتحقق بهما الجهة الثالثة التي تتحقق بها الرابطة لتمام الشيء ثم إن تلك الأجزاء المؤلفة الأربعة تستدعي بحسب الأوضاع والقرانات أجزاء لا تتناهى فبين الإمام ﷺ بهذا الكلام بطلان ما ذهب إليه الحكماء من الربط بين الحادث والقديم وأطالوا البحث في ذلك ولم يعلموا أن الربط مثبت للشيئين في كل من المرتبطين ضرورة أن كل واحد منهما له ذات وجهة ارتباط إلى الآخر إذ لا يصح أن يكون ذات كل منهما عين الربط إلى الآخر وإلا لكان أمرا آخرا تنسب إليه تلك الذات التي فرضناها أنها نفس الربط إذ لا تعقل النسبة والارتباط إلا بين الشيئين المتغايرين والواحد من حيث الوحدة الحقيقية لا ينسب إلى شيء أصلا فلا يرتبط بشيء فالمرتبطان يحتاج كل واحد منهما إلى الآخر لتحقق الارتباط فلما كانت الحاجة لا تسع الذات القديمة كما برهن عليه ﷺ بالدليل العقلي كان الارتباط أيضا لا يسعها فتكون الروابط مطلقا في الخلق بعضهم ببعض والله سبحانه وتعالى منزه عنها مطلقا وهو قول جده أمير المؤمنين ﷺ كما في الخطبه اليتيمية (**رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله**) الخطبة. فالذات تبارك وتعالى قد انقطعت دونها النسب والإضافات والروابط والشئون والحالات

والكثرات -تعالى ربي عما يقولون علوا كبيرا- فكل ما فيه نسبة وارتباط من الصفات الإضافيه والخلقية تنتهي إلى الأفعال فهي الصفات الفعلية وإذا أطلقت عليه تعالى فالمراد بعد التجريد عن تلك الروابط والإضافات وهو قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام **(إن قيل كان فعلى معنى أزلية الوجود وإن قيل موجود فعلى تأويل نفي العدم)**[1] فلا يعتبر في الذات الأقدس المدلولات اللفظية والمفهومات الرسمية والاعتبارات الفكرية وإذا أطلقت عليه تعالى تلك الأسماء والصفات عند الطلب والحاجة إذ لا تصل إلى جهة معرفته بدونها فنزهها عن جميع المفاهيم والاعتبارات وأقصد بها معنى واحدا أحدي الذات والصفات فإن الألفاظ مرتبطة بالمعاني والذوات بالمباني.

فلما بين عليه السلام انقطاع الخلق عن الوصول إلى مقام الأحدية بكل جهة لاستلزام الوصول الإرتباط واستلزام الارتباط الحاجة واستلزامها الحدوث والإمكان وهو سبحانه وتعالى منزه عن كل ذلك أراد أن يبين أن الخلق مختلفون في شدة الحاجة وضعفها وقلتها وكثرتها بنسبة بعضهم إلى بعض وإلا فهم بالنسبة إلى الله عز وجل كلهم متساوون في الفقر والحاجة ولذا كانت الموجودات كلها كرة واحدة تدور على قطب واحد وهو جهة استمدادها من الحق سبحانه فقال عليه السلام **(وفضل بعضهم على بعض بلا حاجة منه على من فضل ولا نقمة منه على من أذل)** فكل مفتقر إلى غيره في الوجود والتحقق والتذوت أحوج بالنسبة إلى المفتقر إلى الغير في الظهور والبروز وإن كان في التحقق أيضا إلا أن هذه الجهة فيه أكثر وأظهر فهؤلاء أفضل من الأولين لأن كل من حاجته إلى غير الله أقل دليل على أن حاجته إلى الله أكثر وكل من كان كذلك فلا شك أنه أفضل لأن الكمال كل الكمال الاستغناء من المخلوق

---

(١) الكافي ٨ / ١٨.

والافتقار إلى الخالق ولذا قال ﷺ (الفقر فخري)[1] فالغالب عليه الحرارة الجوهرية الغريزية أفضل كالمبادي العالية من الأنبياء والأولياء والسموات والعرش والكرسي والمجردات وأطوار الملائكة وغيرهم وكل من فيه الغالب جهة البرودة أسفل وأنقص لأن الحرارة صفة الفاعل والبرودة صفة المفعول المقبول الذليل فلا شك أن المتصف بصفة المبدء الفاعل أشرف من المتصف بصفة القابل وذلك معلوم واضح وشرح هذا الكلام طويل وقلبي للبيان كليل وليس مرادي ظاهر مايعرفون.

وقولي بالحرارة الجوهرية الغريزية احتراز عن الحرارة الغريبية الموجودة في الشهوات الباطلة فإنها في الحقيقة باردة يابسة و بالعرض حار يابس وذلك حكم نار جهنم فصار زحل أشرف من المريخ مع مافيه من البرودة الظاهرة والحرارة الباطنية وما في المريخ من الحرارة الظاهرية والبرودة الباطنية ولهذا قالوا في المريخ إنه شيخ كبير قاعد على كرسي من الدم فالشيخ الكبير مزاجه البرودة واليبوسة مع الرطوبة الغريبية واشتمل بظاهره الحرارة الغريبية العرضية فافهم وبما ذكرنا من التحقيق الدقيق ظهر التفاضل بين الموجودات.

وقوله ﷺ (**وفضل الله بعضهم على بعض**) كما قال تعالى ﴿**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾[2] ولما كان الاستكمال في حق الله سبحانه المورث للحاجة قد نفاه ﷺ عند نفي الخلق لغاية عائدة إليه تعالى ونفي الروابط عنه تعالى أكد ذلك بقوله (**بلا حاجة منه ...إلخ**) فأثبت أن نسبة فعله إلى كل الموجودات نسبة واحدة متساوية كما هو شأن الفاعل بالنسبة إلى مفعولاته وفيه تنزيه له تعالى عن الظلم وخلاف الحكمة وبيان

---

(١) مستدرك الوسائل ٤/ ٣٧١ .

(٢) الإسراء ٢١.

لاتحاد نسبة فعله مع كل المفعولات وتحقيق لانقطاع ذاته المقدسه عن جميع الروابط والإضافات ولما كان العبث والترجيح من غير مرجح ضروري البطلان عندهم عليهم السلام فأثبت عليه السلام بالتلويح ماصرح الله تعالى بقوله الحق ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1] فيكون الاختلاف بين الخلق بالتفاضل وعدمه بالأمر بين الأمرين في الذوات والأعمال والأفعال لأنه سبحانه وتعالى إنما فضل من فضل بقابليته للنور والخير وطلب قوة الحرارة الغريزيه السعادة لا ابتداء وأشقى من أشقى بخذلانه تعالى لإعراض ذلك الشقي عن مبدء النور والخير وما ربك بظلام للعبيد وقال عزوجل ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[2] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[3] الآية وهكذا الحكم في اختلاف المراتب والمقامات في أنحاء السعادات ودرجاتها وأطوار الشقاوة ودركاتها وهو قوله عزوجل ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[4].

ولما بين عليه السلام العلة الغائيه في خلق الأشياء والعلة في اختلافها وإنه إنما صار بفعله تعالى بسر الأمر بين أشار تلويحا إلى أن الاختلاف علة تعدد الأسماء الجمالية والجلالية وأسماء القهر والغلبة وظهور العظمة والجبروت والكبرياء والقدرة والرحمة والمغفرة وغيرها من الشئون الحقية الظاهرة في الأطوار الخلقية ولما أن الله سبحانه إنما خلق الخلق للمعرفة كما في قوله

(١) الأنعام ١٢٤ . .
(٢) النساء ١٥٥ .
(٣) المائدة ١٣.
(٤) الأنعام ١٢٥-١٢٦.

تعالى في الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)[1] ولما أن المعرفة الكاملة لا تتم إلا بمعرفة التوحيد في المراتب الأربع توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد العبادة وتوحيد الصفات يشمل المقامات والعلامات والمعاني، والمعاني لا تتحقق إلا باختلاف الذوات وتعدد الموجودات ليكون كل موجود من الموجودات الحادثة مظهر اسم من الصفات الكمالية فإن الاسم عبارة عن ظهور الظاهر بالمتعلق الخاص فإن القيام مثلا صار علة لظهور اسم القائم والقعود علة اسم لظهور القاعد والأكل لظهور اسم الاكل و هكذا ساير الأسماء، وتلك الأسماء الكمالية هي مبادي الموجودات الخلقية والآثار الحادثة الدالة على كمال صنعة الصانع وتنزيهه عن النقائص واستجماعه للكمالات ومعرفتها من متممات معرفة التوحيد والشرائط اللازمة ومعرفة التوحيد بمراتبه الأصلية والفرعية المرتقية إلى خمسة آلاف ومأتين وثمانين مرتبة بالمراتب الكلية هي سبب الإرتقاء إلى معالي الدرجات والتوجه التام إلى خالق السماوات وباريء المسموكات وهي سبب العناية الخاصة والعامة بالنسبة إلى تلك النسمات وهي موجب البلوغ إلى أقصى الغايات والصعود إلى أعلى الدرجات والخلاص عن حضيض الدركات ومشاهدة التجليات والظهورات وتلك هي الغاية القصوى والمقصد الأسنى الذي ليست فوقها درجة ولا وراءها مرتبة إلا ما كان من هذا القبيل . وإلى ذلك الإشارة بقوله روحي فداه وﷺ **(فلهذا خلق)**.

قال عمران: يا سيدي هل كان الكائن معلوما في نفسه عند نفسه، قال الرضا عليه السلام: إنما تكون المعلمة لنفي خلافه وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه

---

(١) بحار الأنوار ٨٤/ ١٩٨.

موجودا ولم يكن هناك شيء يخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها، أفهمت يا عمران، قال: نعم والله يا سيدي.

أقول: العلم هو حضور المعلوم عند العالم وهو يطلق ويراد به معنيان أحدهما نفس الحضور بمعنى عدم الغيبوبة وظهور الشيء للشيء بذاته لذاته أو لمؤثره وذلك علم الشيء بنفسه في ذاته وحقيقته عند كشف السبحات، رفع الحجب والإنيات وإسقاط الروابط والقرانات فيتحد هناك العالم والمعلوم والعلم من غير اعتبار المغايرة بين هذة الثلاثة في نظره إذاً في ذلك المقام ويعتبر هذه الاعتبارات الثلاثة من لم يكن في تلك الرتبة وإنما هو في مقام التفصيل فلا يعتبر في العلم حينئذ جهة مغايرة واختلاف أصلا وثانيهما التمييز أي تمييزه عن كل ما سواه وتعيينه بنفي غيره ليتعين ويتشخص دون غيره كما تقول علمت فلانا أي ميزته عن غيره وعينته بالنسبة إلى ماسواه بإثباته عندك ونفي ما سواه وذلك يكون بحصول الصورة المحدودة بحدود المعلوم المصورة على صورته وهيئته لتمييزه عن غيره ولذا يقولون يجب أن يكون العلم مطابقا للمعلوم وواقعا عليه ومنطبقا معه وذلك هو العلم التمييزي الصوري أو المعنوي في مقام الفرق والتمييز و التفصيل.

ولما كان المعنى الثاني هو المعلوم المعروف المتبادر عندهم حمل الإمام ﷺ كلام عمران كما هو الواقع على هذا المعنى المعروف كما يظهر من سؤاله فيما بعد هل كان علمه بضمير أم لا فأجاب ﷺ بأنه لا يجوز أن يكون الكائن الأول سبحانه وتعالى معلوما في نفسه عند نفسه على المعنى الذي تفهمونه فإن ذلك يستدعي أن يكون غيره أشياء ليميز نفسه عن غيره إذا أراد التشخيص والتعيين وهو لا يكون إلا بنفي جميع ما يخالفه وعند إثبات الغير في النظر والاعتبار والملاحظة لا يتعين المقصود المطلوب فوجب نفيه ليتوجه

إلى المطلوب والله سبحانه وتعالى لا يقترن بشيء ولا يتصل بشيء ولا ينتسب إلى شيء إذ لا شيء معه لأنه واحد ولا تكون الأحدية التامة إلا بعدم ذكر ما سواه عنده إذا انعدمت الأشياء عنده وامتنعت ولا يكون لها اسم ذكر ولا رسم لتحقيق الوحدة المحضة و انقطاع الروابط المطلقة فكيف يتصور التمييز في حقة تعالى بأن يعلم نفسه عند نفسه أي تمييزه عن كل ما سواه ولو كان ذكرا وليست هناك حجب حتى ترتفع وتتحد المقامات الثلاثة أي العالم والمعلوم والعلم كما في علم الشيء بنفسه عند كشف السبحات وإزالة الإنيات وليست بينونته تعالى مع خلقه بينونة عزلة حتى يحتاج التمييز إلى التحديد بالحدود والتعينات الخارجية ليلزم التركيب ولذا قال ﷺ **(إنما يكون المعلمة لنفي خلافه)** إذا قصد بها التمييز عما عداه **(وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجودا)** أي معلوما بالوجدان لا الوجود بمعنى العدم كما في الدعاء **(يا غائبا ليس بموجود)** أي ليس بموجود عند الناس في وجدانهم ومشاعرهم ومداركهم وأعيانهم وإلا فهو سبحانه أصل الوجود وحقيقته ووجودات الخلق أثر فعله ونور مشيته.

وقوله ﷺ **(ولم يكن هناك شيء يخالفه)** يريد ﷺ به أنه ليس هناك شيء غيره لا أن هناك شيء يوافقه تعالى ربي عن ذلك علوا كبيراً فإن الموافقة التامة لا تجتمع مع الإثنينية ولا بد من تحقق المخالفة في الغيرية فإذا انتفت المخالفة بالكلية انتفت المغايرة كذلك فلم يبق إلا واحد ليس معه شيء وليس مقترنا بشيء وليس منتسبا إلى شيء بجميع أنواع النسبة من المباينة والمساواة والعموم مطلقا والعموم من وجه فإذا انتفت هذه النسب انتفى كون شيء معه تعالى إذ وجود شيء في رتبة الآخر يستلزم إحدى النسب الأربع فإذا انتفت انتفت الأشياء كلها بجميع وجوهها وأحوالها وأطوارها وأوطارها في جميع أكوارها

وأدوارها وأذكارها وهو قول مولانا الصادق ﷺ عند قول القائل الله أكبر من كل شيء (فهل ثمة شيء فيكون الله أكبر منه)[1] فالأشياء كلها مفقودة بجميع أوضاعها في ذاته عزوجل وموجودة في ملكه وخلقه وحيطة قيوميته كما قال مولانا الباقر ﷺ (وَ لاَ كَانَ خِلْواً مِنْ المُلْكِ قَبْلَ إِنْشَائِهِ)[2] فأبطل ﷺ بذلك مذهب كثير من الحكماء من قولهم إن معطي الشيء لا يكون فاقدا له في ذاته وإن الأشياء وجوداتها ثابتة لله تعالى بنحو أشرف وأن الأعيان الثابتة غير مجعولة وكامنة في ذاته عز وجل مثل كمون الأعداد كلها في الواحد ومثل اندراج اللوازم في الملزومات ومثل استجنان الشجرة في النواة وأن مفهوم واجب الوجود كلي يصدق على الكثيرين فإن الأفراد مذكورة في الكلي بنحو الإجمال وإن الصفات الذاتية لها مفاهيم اعتبارية متغايرة والمصداق واحد فيكون المصداق الواحد مصداقا لمفاهيم مختلفة في الجهات المختلفة وأن الصفات العقلية قديمة من جهة وحادثة من جهة وأن بين الحادث والقديم ربط ونسبة وكذا قولهم أن بسيط الحقيقة كل الأشياء لأنه إذا انتفت الأشياء وامتنعت هناك فلا نفي هناك ولا إثبات ولا سلب ولا إيجاب ولا لا ولا نعم فإن النفي والإثبات متساو فإن في الرتبة لا يوجد أحدهما إلا والآخر مقترن به في الصلوح والذكر ولذا اتفقوا وعلى أن النفي فرع الإثبات فإذا بطل النفي والإثبات بطل كون النفي مستلزما للتركيب فلا يكون بسيطا ما فرضنا بسيطا وهذا خلف .

وأما إذا قلت أن البسيط هو الذي انعدمت جميع النسب والإضافات

---

(١) في الكافي ١/ ١١٧ محمد بن يحيى، عن أحمد بم محمد بن عيسى، عن مروك بن عبيد، عن جميع بن عمير، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أي شيء الله أكبر؟ فقلت: الله أكبر من كل شيء، قال: وكان ثم شيء فيكون الله أكبر منه؟ فقلت: وما هو؟ قال: الله أكبر من أن يوصف.

(٢) الكافي ١ / ٨٨.

عنده فلا إثبات لا في الخارج ولا في الذهن ولا في نفس الأمر فلا نفي ولا تركيب حال النفي كما يتحقق التركيب حال الإثبات وإن كان بنحو أشرف وشرح هذه المقالات وإبطال تلك القواعد يطلب في اللوامع الحسينية ﷺ فإذا بطل الذكر وبينونة العزلة بطل الاشتراك فبطل التمييز والتحديد لأنهما في مقام الاشتراك فما لا جنس له لا فصل له والجنس هو مابه الاشتراك مطلقا والفصل مابه الامتياز كذلك فظهر الحق وبطل ماكانوا يعلمون فغلبوا هناك وانغلبوا صاغرين.

ولما بين الإمام ﷺ أن علم الذات الأقدس بذاتها ليس على جهة المغايرة بين العلم والمعلوم ولا على جهة التعلق ووقوع العلم على المعلوم ولا بنحو التحديد والتمييز عما عداه ولا أنه شئ والعلم شئ آخر ولأن الجهة كونه عالما وعلما غير كونه ولا أن جهة معلوما ولا أن هناك التفات وتوجه إلى ذاته تعالى وإنما هو سبحانه شئ واحد أحدي ليس بمعاني كثيرة تسميه علماً ذاتا بلا فرق بين قولك ذاته أو علمه لا في المفهوم ولا في المصداق ولا في الذهن ولا في الخارج ولا في نفس الأمر فالعلم والذات لفظان يراد منهما شئ واحد بجميع الاعتبار وما قيل أن المفهومين متغايران والمصداقين واحد غلط فاحش فإن المفهوم إذا خالف المصداق كان كاذبا محضا فالمفاهيم المختلفة تصدق على المصداق بجهات متعددة كما بينا في محله .

ولما بين ﷺ ذلك وعرف عمران ما هنالك عرفنا أن مقام الذات مقام السكوت وعدم البحث والفحص وعلمه بذاته ذاته بلامغايرة ولا كيف لذلك فعطف القول إلى السؤال عن علمه بخلقه لما انقطع سؤاله عن علمه بذاته فقال ﷺ : **فأخبرني ياسيدي بأي شئ علم ما علم أبضمير أم بغير ذلك؟**

قال الرضا ﷺ : أرايت إذا علم بضمير هل تجد بدا من أن تجعل لذلك الضمير

حداً ينتهي إليه المعرفة، قال عمران: لابد من ذلك، قال الرضا لنا: فما ذلك الضمير، فانقطع ولم يحر جوابا.

أقول: إن الناس بعد ما اتفقوا على أن الله عز وجل عالم بخلقه علماً إحاطياً لايعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء اختلفوا في كيفية علمه بالأشياء على أقوال شتى لانذكرها لعدم الفائدة ولم يعلموا أن علم الله سبحانه بالأشياء لا يكيف ولا يحدد لأنه قد سبق الكيف والحد لأن عنده المكيف والمحدود والغير المكيف والمحدود فإن فعل الله سبحانه لايكيف ولا يحد لقوله ﷺ مامعناه (**وإنما قال للشيء كن فيكون بلا لفظ ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له**)[1] ولا كيف أيضا لأثر فعله المتعلق به الفعل أولاً وبالذات فإن الأثر يشابه صفة فعل المؤثر ومن شرط العلم المطابقة بالمعلوم فكيف يكون العلم مكيفاً مع أن بعض المعلومات غير مكيف وكيف لايكون مكيفاً مع أن بعض المعلومات مكيف هذا كله في العلم الفعلي، وأنما في العلم الذاتي، فلا كلام هناك ولابحث فسؤال عمران عن كيفية علمه تعالى هل هو بضمير أي بتصور وخيال كما في المخلوق أو بحصول صور الأشياء المعلومة في ذاته عز وجل حصولاً جمعياً وحدانياً غير متكثر ولا مختلف كما عليه بعض الحكماء فأجاب ﷺ بأن الله سبحانه لا يحتاج في علمه بالأشياء إلى ضمير أو شيء غيرها بل هو سبحانه وتعالى يعلم الأشياء بها لا بشيء غيرها فإنه إذا علم الأشياء بغيرها نسأل عن ذلك الغير هل علمه بغيره بضمير آخر أم لا فإن كان الأول ننقل الكلام فيه فيتسلسل أو يدور فإن كان الثاني فنقول إذا جاز

---

(١) في الكافي ١/ ١١٠ أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟ قال: فقال: الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له.

أن يعلم الشيء بنفسه فما الفائدة في إثبات الضمير وتوسطه في علمه بالأشياء، فإن قلت إثبات الضمير في العلم بالأشياء قبل كونها، نقول ذلك الضمير هل هو هو سبحانه بلا مغايرة أصلا أم هو مع اختلاف الجهة أم غيره، فإن كان هو هو سبحانه فكان علمه ذاته فلا يقال علم بضمير فانقطع السؤال وحصل الجواب، وإن كان الثاني لزم الاختلاف في الذات مع تعدد الجهات وهو علامة الحدوث، وإن كان الثالث فهل هو حادث أو قديم فإن كان حادثا نقل الكلام في كيفية علمه به قبل حدوثه بضمير أم بغيره فيدور أو يتسلسل، أو نقول علم ذلك الضمير الحادث به فإذا جاز ذلك لا فرق بين حادث وحادث فما جاز في واحد هو الجايز في الجميع، وإن كان قديما لزم تعدد القدماء وأدلة التوحيد تبطله، فهو سبحانه علم الأشياء بذاته على ما الأشياء عليه في أماكن حدوثها ومراتب وجودها بالأشياء قبل وجودها وبعد وجودها وحين وجودها ومع وجودها بلا اختلاف حالة وتعدد جهة فافهم.

فأخذ ﷺ في الاستدلال على ماذكرنا بقوله (**أرأيت إن علم بضمير هل تجد بدا من أن تجعل لذلك الضمير حدا تنتهي إليه المعرفة**)، يعني أخبرني إذا كان علمه بضمير أي بشيء آخر سوى ذاته أو سوى نفس الأشياء فلا بد من أن تجعل لذلك الضمير الذي علم الأشياء به حدا أي ضميرا آخرا ينتهي إليه معرفة هذا الضمير بذلك الضمير الآخر وهو الحد المنتهي إليه المعرفة، فلما كان عمران عالما فطنا دقيقا علم بأنه بعد القول بأنه لابد لله تعالى في العلم بالأشياء من واسطة وهي ذلك الضمير، وذلك الضمير أيضا شيء من الأشياء، فلا بد في العلم به أيضا من واسطة وهو الضمير الآخر، فينقل إلى ذلك الضمير الآخر بعين ما ذكر في الضمير الأول، فأقر بلا بدية ذلك الحد فلزمه القول بالتسلسل ولذا سأله ﷺ إلزاما بقوله روحي له الفداء (**فما ذلك**

الضمير) الآخر الذي هو الحد الذي ينتهي إليه معرفة الضمير الأول فانقطع ولم يحر جوابا لما حصل له من الإلزام وعدم كشف الجواب والاهتداء إلى الصواب .

ثم إنه ﷺ أراد أن يبين له أن العلم المتعلق بالمعلوم في كل المقامات إنما هو بنفس ذلك المعلوم لا بضمير آخر سواه فبين له مثالا من نفسه حسب مقترحه وسؤال فقال ﷺ وروحي له الفداء: **(لابأس إن سألتك عن الضمير نفسه تعرفه بضمير آخر فإن قلت نعم أفسد عليك قولك ودعواك ياعمران)**

.

أقول: يعني لابأس أن نبين لك حقيقة الحال وتوضيح المقال بإيراد المثال وهو أنك ربما تظن بل تستيقن بأن العلم هو الصورة الحاصلة عندك فتعرف الأشياء الخارجية العينية بها، فكان علمك هو تلك الصورة ومعلومك هو الأمر الخارجي، فإن جعلت الضمير الذي هو الصورة الحاصلة أو ما يقوم مقامها هو العلم وجعلت المعلوم مغايرا للعلم فنسألك عن تلك الصورة تعلمها أو تجهلها، فإن جهلتها فكيف علمت بها غيرها وإن علمتها فكيف، هل علمتها بتلك الصورة أو بصورة مغايرة لها، فإن علمتها بها اتحد العلم والمعلوم في الضمير فالحكم باتحادهما هناك دون غيره قول بلا دليل وتحكم ليس له إلى الحق سبيل.

فإن قلت: إن العيان يغني عن البيان ونحن نجد يقيناً أن الأشياء الغائبة عنا نعلمها بالصوره الذهنيه والقوى الخيالية فمعلومنا هو تلك الأعيان المتأصلة علمناها بما عندنا من العلوم (المعلوم) وليس عندنا إلا الصورة الخيالية والقوى الفكرية.

قلت: لو أمعنت النظر وجدت العيان يشهد بما ذكرنا من الاتحاد فإنك

إذا أردت أن تدرك شيئا لا يخلو إما أن يكون ذلك الشيء المعلوم حاضرا عندك أو غائبا عنك فإن كان الأول فما أراك تحتاج إلى إدراك الأمر الحاضر إلى الصورة الخيالية الذهنية بل ربما لاتلتفت اليها ولا تراها عند إدراك الشيء المحسوس الحاضر أو الموجود فوق مرتبة الصورة من الشخصية و المعنوية المعبر عنه بمعرفة النفس التى هي معرفة الرب أو المراتب النازلة عنها التى هي مقام إدراك الصفات والأسماء ففي إدراك هذه الأمور لاتحتاج إلى الصوره بالوجدان والعيان وأما الأشياء الغائبة عنك التي تظن أنك أدركتها بصورها وأشباحها فلاشك أن المدرك المعلوم ليس الأعيان الخارجية ولا الذوات العينية بل المعلوم إنما هو تلك الصور فما علمت سواها ولا أدركت غيرها ولكن لما كانت تلك الصور أشباحا وهيئات حكت ظهورات الأمر الخارجي وتلك ذوات لها وحقيقة كينوناتها بظهورها غيبت ذاتية تلك الصور والأشباح فصرت لا تشير الأعيان الخارجية وهي ليست تلك وإنما هي تجلياتها لتلك الصور بها والدليل على ماقلنا أنك إذا رأيت زيدا قائما ثم غاب عنك وانتقشت صورته في ذهنك فأنت لاتعلم إلا هيئة القيام أي ظهور زيد بالقيام الذي هو نفس الصورة الظاهر لها بها فلو كان المعلوم حقيقة هو زيد الموجود في العين الخارجي ووجب تطابق العلم والمعلوم وتوافقهما ووقوع العلم على المعلوم وجب أن تعلم جميع الأحوال الطارية عليه من قعود وصحة ومرض وحياة وموت وغيرهامن الأحوال مع أنك لا تعلم منها شيئا فثبت أن المعلوم ليس إلا تلك الصورة الموجودة في الخيال .

فإن قلت: القول بعدم اتحاد العلم والمعلوم لا ينافي ذلك لأن المعلوم حينئذ هو الشبح المنفصل من العين الخارجي المستقر في زمان حدوده ومكان وروده وشهوده والعلم هو الصورة الذهنية التي هي منتزعة من ذلك الشبح

الخارجي فالمعلوم هو الشبح المنفصل والعلم هو الشبح المنفصل من الشبح المنفصل من الشبح المتصل فبطل الاتحاد وصح عدم معلومية الأحوال الطارية على العين الخارجي بعد انتزاع الصورة أو قبلها قلت إذا صح أن الذهن مرآة أي الصورة الذهنية مرآة حاكية عن الشبح المنفصل الخارجي تم ما قلنا لأن المرآة لا تحكي إلا ما فيها ولا تدل إلا على ما هي عليه لا ما الخارج عليه فما تعرفه من المرآة إنما هو نفس ما فيها إلا أن لغلبة ظهور العالي تضمحل ملاحظة إنيتها وحقيقتها ألا ترى أنك إذا رأيت زيدا في المرآة العوجاء ولم تكن رأيته قبل ذلك في غيرها تحكم عليه باعوجاج الصورة مع أنه في الخارج ليس كذلك وحكمك بحسب زعمك ووهمك لم يقع إلا على الموجود الخارجي فافهم ذلك وابن عليه أمرك تجد صحوا بلا غبار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار هذا كله إذا علمت تلك الصورة بها.

و أما إذا قلت علمتها بغيرها فقد أفسدت عليك قولك ودعواك للزوم التسلسل فإنا ننقل الكلام إلى تلك الصورة الأخرى التي عملت الأولى بها وهي المعبر عنه بالضمير في كلام الإمام عليه السلام فإن علمتها بنفسها بقي القول بالتوسط قولا بلا دليل وإن علمتها بالأخرى ننقل الكلام إليها فيتسلسل وهذا معنى قوله عليه السلام (**أفسدت قولك ودعواك**) فبين عليه السلام أن العلم عين المعلوم مطلقا وهو الحق من الأقوال في المسأله فإن في هذه المسأله ثلاثة أقوال أحدها أن العلم عين المعلوم مطلقا كما هوالحق المنصور المختار المدلول عليه من الأخبار والآثار عن الأئمة الأطهار ومن العقل المؤيد المسدد بكلام أولئك الأخيار عليهم سلام الله الملك الجبار والثاني أن العلم غير المعلوم وهو مذهب الأكثر من المتكلمين والحكماء والثالث أن العلم منه عين المعلوم ومنه غيره فالصورة الذهنية العلم بها بنفسها فهناك اتحد العلم والمعلوم وأما فيما

سوى ذلك فالعلم غير المعلوم وقد أشرنا إلى بطلان القول الثالث ومنه يظهر بطلان القول الثاني.

فإن قلت إذا كان علم الله بالأشياء بنفس الأشياء يلزم أن لا يكون سبحانه قبل خلق الأشياء عالما بها لعدم المعلوم لحدوث الأشياء.

قلت أن هذا العلم الذي هو عين المعلوم هو العلم الفعلي الاقتراني الحادث عند وجود الفعل والمفعولات وهو ألواح المخلوقات من اللوح والقلم وأما العلم الذاتي بالأشياء في أماكن حدوثها ومواقع وجودها وحدودها فلم يتعلق به الإدراك ولا يقال كيف ذلك لأن ذاته تعالى لا يكيف ولا يقاس ولا يحد وهو سبحانه لا يستقبل شيئا ولا ينتظر شيئا ولا يفقد شيئا وكل ما سواه حادث وهو سبحانه وتعالى عالم بما سواه قبل حدوثها وبعد حدوثها ومع حدوثها لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ومراد الإمام عليه السلام بهذا الاتحاد في العلم الفعلي لا العلم الذاتي فإن ذاته تعالى لا تتحد بشيء ولا تقترن بشيء ولا تنسب إلى شيء وهو الواحد الحق والمجهول المطلق وليس من مذهبهم ولا من ديدنهم سلام الله عليهم تكييف الذات ولا تحديد الصفات الذاتية لأنها عندهم هي الذات بلا فرض المغايرة وكيف يقع منهم التحديد والتعيين واعلم أني في أداء هذه الكلمات وترديد هذه العبارات كما قال الشاعر:

تعرضت في قولي بليلى وتارة   بهند ولا ليلى عنيت ولا هنداً

ولولا أني أخاف من الناس الذين يوسوس في صدورهم الخناس لأطلقت عنان القلم في هذا الميدان ولأريت عجب العجاب إن في ذلك لذكرى لألي الألباب.

ثم اعلم أن الضمير هو الغائب الموجود تحت قشور الحجب والظواهر

ومنه الضمير المستتر عند أهل النحو فالمجردات المحتجبة تحت الماديات ضمائر مستكنة والأجسام الشهودية ظواهر بارزة والذي ليس من المجردات المقترنة ولا من الماديات الحاجبة كاللاهوتيات فليس بمضمر ولا بارز إلى ذلك الإشارة بقول أمير المؤمنين ﷺ **(اللفظ إما ظاهر أو مضمر أو ليس بظاهر ولا مضمر)**[1] ونحن قد بينا في كثير من مباحثاتنا أن اللفظ هو كل ما سوى الله وهو لا يخلو من هذه الثلاثة الظاهر وهو الأجسام وما يقاربها والمستتر كالأرواح وما يقاربها وما ليس بظاهر ولا مضمر هو عالم الوجود المطلق وما يقاربه فالإدراكات الواقعة في المرتبة الإنسانية في الأمور الغيبية من المعنوية والصورية كلها من الضمائر فالإدراكات الصورية الغيبية من ضمير النفس والإدراكات المعنوية من ضمير العقل والإدراكات الرقائقية من ضمير الروح وهو البرزخ بين العقل والنفس والإدراكات الشبحية من ضمير المثال ولذا نسب إدراك الأمور الغيبية إلى الضمير، والعلم هو الصورة الحاصلة في هذه الضمائر ويختلف حسب اختلاف مراتبها بالقرب والبعد والشدة والضعف إلا أن كلها مشتركة في كونها من العلوم الصورية وإنما فسرنا الضمير فيما سبق بالصورة الحاصلة من الشيء ولم نذكر المدرك للإشارة إلى قول أمير المؤمنين ﷺ **(إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)**[2] وقوله تعالى **﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾**[3] فإن المرآة الحاكية عن المقابل إنما هي نفس الصورة لا الزجاجه الحاملة لها وكل شيء يعد حروف نفسه وشرح هذه الكلمة يطول به الكلام ولسنا بصدده.

(١) في الفصول المهمة في أصول الأئمة قال أمير المؤمنين لأبي الأسود: واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة، ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر.
(٢) بحار الأنوار ٤ / ٢٢٩.
(٣) الصافات ١٦٤ -١٦٦

ولما كان سؤال عمران عن العلم الذاتي كما هو المعلوم المعروف عندهم والجواب عن العلم الفعلي اقتداء بالله تعالى حكاية عن موسى على نبينا وآله وعليه السلام في قوله تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث سأله عن الحقيقة والكنه فأجابه موسى عليه السلام عن الأفعال والرسم ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فاستظهر فرعون للتمسك بباطله بالتمويه والتلبيس ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ من عدم مطابقة جوابه لسؤالي فإني أسأله عن الذات وهو يجيبني عن الأفعال والآثار وقال أيضا موسى تأكيدا للحجة وتوضيحا للمحجة وتبيينا بأن الذات لا تعرف إلا بالآثار ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فلما رأى فرعون ذلك قال ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ حيث لا يفرق بين موارد السؤال ولا يجعل الجواب على طبق السؤال فلا يصلح للنبوة حيث يخالف العقل ثم أكده موسى عليه السلام أيضا بذكر المعرفة بالأفعال والآثار إيقاعا للفتنة وإيضاحا للحجة ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] فالإمام عليه السلام سلك مع عمران هذا المسلك وأجاب عن العلم الفعلي تنبيها على أن العلم الذاتي ذاته بلا فرض مغايرة فكما انقطع العلم عن الذات انقطع عن العلم لأنه هو. فالجواب عنه لا يقع إلا في مقام الأفعال والآثار ولما لم ينكشف له حقيقة الجواب من جهة ذكره عليه السلام للمعارضات وإيراده للإلزامات ليصفي خاطره عن الشكوك والشبهات ويبطل ماعنده ويرجعه إلى مقام الجهل البسيط الخالي عن جميع الاعتبارات ليتمكن في قلبه الحق الثابت البحت البات إذ ما دام الظرف ممتليا من الكثافات لا يمكن أن يجعل فيه شيئا من الطيبات ولا يكون ذلك إلا بعد إخراج تلك القاذورات.

فلهذا قال عليه السلام: **(أليس ينبغي أن تعلم أن الواحد ليس يوصف بضمير وليس**

---

(١) الشعراء ٢٣ – ٢٨.

يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهم فيه مذاهب وتجزية كمذاهب المخلوقين وتجزيتهم).

أقول: هذا تنبيه على ما هو المعلوم المعروف بالفطرة والضرورة أن الواحد من حيث هو واحد لا يوصف بضمير لأنه إن كان هو بطل التوصيف لأن بين الصفة والموصوف لابد من الاقتران وهو دليل على المغايرة وأما الصفة الذاتية فهي عين الذات فليس هناك أمران حتى يقترنا ويتصف أحدهما بالآخر فالذات صفة والصفة ذات اسمان يقعان على شيء واحد.

فإن قلت أن ضميره هو ذاته بطل الاتصاف وانقطع الكلام وإن كان غيره فإن كان قديما تعددت القدماء فلم يكن ما فرضناه واحدا واحدا وهذا خلف وإن كان جهة من جهات الذات وشأنا من شئونها فإن كان في عين الذات تجزأت كتجزئة المخلوقين وانقسمت كانقسامهم لأن كل جهة تغاير الأخرى فهو في ذاته ينقسم إلى تلك الجهات المحدودة المختلفة المتغايرة فلم يكن ما فرضناه واحدا واحدا وهذا خلف وإن كان من لوازمه الذاتية فكذلك أيضا لأن بين اللازم والملزوم مناسبة ومرابطة بهما يتحقق اللزوم وإلا بطلت الملازمة وتلك المرابطة في جهة اللزوم فإن كانت الملازمة في الذات فالرابطة فيها وإلا فلا فلم يكن ما فرضناه واحدا واحدا وهذا خلف، وأما الواحد الذي تطرؤ عليه الأحوال كالوحدات العددية والجنسية والنوعية والشخصية فليس من حيث هو واحد وإنما هو من حيث فيه كثرة ولذا قيدنا الحيثية وإن كان الضمير حادثا حالا في القديم لزم أن يكون سبحانه محلا للحوادث وهو يستلزم التجزية والانفعال وكون الواجب ممكنا والممكن واجبا والمؤثر أثرا والأثر مؤثرا وغير ذلك من المفاسد والقبايح وإن كان حادثا ومرتبطا بالقديم بنحو من الربط الذاتي فلا يصح أيضا لاستلزامه النسبة المستلزمة

للتركيب المستلزم للحدوث كما أشرنا إليه سابقا وإن كان حادثا وليس حالا بالقديم ولا مرتبطا به ولا متصلا معه وإنما هو في ملكه قائم بفعله قيام صدور كساير الحوادث والمجعولات فلا يضر ذلك بأن جعله الله سبحانه وسماه ضميرا وقلبا له لأجل الشرافة كما في قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1] و(الكعبه بيتي) وما قاله تعالى خطابا لآدم عليه السلام على ما رواه الكليني في الكافي **(يا آدم روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي)**[2] وغير ذلك ثم جعله مخزنا لجميع العلوم الخلقية المتعلقة بجميع الكينونات الحادثة كالعرش الذي خلق الله تعالى فيه تمثال كل شيء وجعل فيه علم البداء وعلم الكيفوفة وعلل الأشياء وغير ذلك من العلوم والحقائق والرسوم فهو حينئذ وعاء وخازن لعلمه وعلى هذا المعنى يقال للأئمة عليهم السلام أنهم خزنة لعلم الله تعالى وأوعية له وفي زيارة علي عليه السلام على ما رواه المجلسي في البحار (وقلبه الواعي)[3] للعلوم الحقيقية وهذا القلب شخص واحد حادث جعل عنده خزائن الغيب ثم سماه قلبا ونسبه للشرافة إلى نفسه وقال عزمن قائل **﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**[4] فافهم وهذا الضمير ليس بالضمير الذي أراد عمران وهذا أيضا لا يوصف به الله سبحانه حقيقة وإنما النسبة مجازية فعلية للشرافة فنزه الله سبحانه عن الضمير فقال عليه السلام **(إنه لا يوصف بضمير وليس يقال أكثر من فعل)** انتهى. يعني لا تقل أن العلم لا شك أنه سابق على الفعل والصنع إذ لو لم يعلم كيف يصنع فقبل أن يخلق

---

(١) الحجر ٢٩.
(٢) الكافي ٢ / ٨.
(٣) بحار الأنوار ٩٧/ ٣٤٩.
(٤) الأنعام ٥٩.

الخلق كيف علم الخلق لأنك إن قلت بصورة حاصلة عنده من الأشياء يلزم الكفر وإن قلت بالأعيان الثابتة المعدومة الكون الموجودة مع الذات بالوجود الجمعي الإجمالي فكذلك وإن قلت أن ذاته علة للغير (لغيره) والعلم بذات العلة مستلزم للعلم بذات المعلول قبل المعلول فكذلك وإن قلت أن ذاته متحدة بالصور المعقولة فكذلك وإن قلت بثبوت المعدومات قبل خلقها وإيجادها فكذلك وإن قلت بالمثل النورية المفارقة القديمة فكذلك وإن قلت أنه خلقها ولم يعلم بها إلا بعد أن خلقها أو حينما خلقها فكذلك فإذن لا يجوز لك أن تنسب إلى الله سبحانه شيئا من هذه المذكورات فإنها كلها صفات المحدثات الممكنات فوجب الكف عن مقام الذات والتكلم فيها والقول بأنه فعل بلا كيف أما أنه كيف علم ففعل فلا لأن ذلك ليس مقام الكيف والحد فلا يعرف بهما أو أن منتهى الخلق إلى الخلق لأن الأشياء تنتهي إلى ما بدء عنه ومبدء الأشياء الفعل والمشية لقوله ﷺ (**خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ**) فإذن تنتهي العلوم والأفهام والإدراكات والروابط والقرانات كلها إلى مقام فعل وعمل وصنع .

ثم إن القديم سبحانه وتعالى هو الحق الثابت وما سواه حادث وممكن وإمكان فجميع النسب الحاصلة للقديم باعتبار الحوادث كلها نسب إشراقية في رتبة الحوادث وإن نسبت إليه تعالى وإلا لزم التغير المستلزم للانفعال إذ يوجد في ذاته صفة لم تكن قبل ذلك فليس يقال في الأسماء والصفات الإضافية والخلقية أكثر من فعل لأن فعل علة اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر المشتق منه اسم الفاعل واسم المفعول فالمبادئ المسماة بالمعاني المسماة بالمصادر كلها تحت فعل لأن المصدر أثر الفعل فيكون مشتقا منه اشتقاق الشعاع من المنير والأسماء أي أسماء الفاعلين والمفعولين كلها تحت المصدر

الذي تحت الفعل فأين المقام فوق فعل وكيف الكلام أكثر من أن يقال صنع وفعل فتقول عَلِمَ وعِلْمٌ وعالم ومعلوم.

أخاف عليك من غيري ومني ومنك ومن زمانك والمكان
فلو أني جعلتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

بأبي هو وأمي لقد صرح في عين التلويح وكتم في عين التصريح فاسكتوا عما سكت الله وأبهموا ما أبهمه الله ثم إن الله سبحانه لا يفقد شيئا ولا ينتظر شيئا ولا يستقبل شيئا ولا يمضي عنه أو عن ملكه شيء ولا يستغني عنه شيئ ولا يفوته والخلق حادث فقير عدم هالك فهو العالم بهم في الأزل في أماكن حدوثهم ومراتب وجودهم ومواقع شهودهم قبل خلقهم وبعد خلقهم ومع خلقهم ومعنى قبل خلقهم هو معنى بعد خلقهم ومعنى الفقرتين هو معنى حين خلقهم ومع خلقهم ومعنى ما فقدهم هو معنى كونهم عدما بحتا فيما لم يزل ،معنى ليسوا معه تعالى هو معنى خلقهم وإمدادهم في ما لا يزال فافهم وتبصر لولا الخوف من فرعون وملئه لشرحت هذه الكلمات حتى ملأت الدفاتر إلا أن الله تعالى يقول ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

وإتيانه ﷺ بثلاث صيغ لبيان متعلق الفعل فإن كليات العوالم ثلاثة الملك والملكوت والجبروت فالثالث للأول والثاني للثاني والأول للثالث وذلك تمام الكون والعين أو أن لكل شيء ثلاث جهات وكل جهة متعلق فعل مخصوص أو أنها ثلاثة ألفاظ على معنى واحد والعلم عند الله ولا قطع بشيء من الوجوه الثلاثة.

ثم اعلم أن ((فَعَل)) إنما هو الميزان في علم الصرف وهو بمعنى التغيير والتحويل إلى الحالات والتنقل إلى معالي الدرجات وأسافل الدركات وهذا

---

(١) الأحزاب ٢١.

التغيير العام الشامل لكل الذرات التكوينية إنما يكون بالفعل لا بغيره ولما كان الفعل هو أمر الله الأولي كما قال عزوجل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فأصل الإيجاد بالأمر هو قول كن و إذا استنطقته بالعدد وبالحروف كان عينا ومن الكاف اشتقت الفاء بتكرارها أربع مرات ومن النون اشتقت اللام إذا أضيفت إليها الألف كل ذلك لأمور كثيرة يطول بذكرها الكلام وإنما كانت ثلاثة لأنها أول الأشياء وأبوها وآدم الأول وشكله المثلث لأنه أول شكل خلقه الله وأول عدد وجد في عالم الإمكان وأما الواحد والاثنان فليسا من الأعداد لعدم الوجود لهما في الوجود والإمكان بل الواحد الذي هو أول العدد ثلاثة غلبت عليها جهة الوحدة فسميت باسمه وأما الاثنان فهو الأربعة إلا أن الفرعين لما لوحظا في الأصلين واندرجا فيهما فقيل اثنان وإلا فهما أربعة على التحقيق كما حققنا في محله ولذا قالوا أن أول الفرد هو الثلاثة وأول الزوج هو الأربعة وهما لهما مقامان مقام الإجمال في الثلاثة واحد وفي الأربعة اثنان ومقام التفصيل فيهما كل واحد منهما والسبعة الجامعة لهما معا هو العدد الكامل فلا يصح إذاً قولهم أن الواحد ليس من الأعداد وإن تركبت الأعداد منه كما أن الجزء الذي لا يتجزأ ليس من الأجسام وإن تركبت الأجسام منه وقولهم أن الاثنين هو أول الأعداد وكذا قول فيثا غورث أن الواحد والاثنين ليسا من الأعداد فالظاهر أن مراهم أن الواحد والاثنين الذين هما واقعان في أول العدد ليسا من الأعداد وإنما أول العدد الثلاثة وما دونها وهذا ليس بصحيح فإن عالم الأعداد عالم مستقل مثل عالم التكوين فكيف يمكن أن يكون المكون في مبدء التكوين ليس من عالم الإمكان ولا برزخ بين الإمكان والقدم مع أن من أقسام الوحدة، الوحدة العددية وأن الاثنين من العدد يقينا والحق هو الذي ذكرت أن مبدأ الأعداد الثلاثة وأن

الواحد هو الثلاثة الغالبة عليها جهة الوحدة والاثنين هي الأربعة الغالبة عليها جهة الإجمال فهما أصلان للأعداد وباقي الأعداد تفاصيل وفروع لهما ونسبتهما إلى الأعداد كنسبة العرش والكرسي إلى ساير الموجودات أَمَا طرق سمعك قول النبي ﷺ (**ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم**) والباء هو الاثنان والنقطة هي الألف التي هي الواحد فافهم.

ولما كانت الثلاثة هي أول الأعداد والفعل أول المكونات في الأمكان والأكوان وجب أن يكون ظاهرا بثلاثة أحرف للدلالة على الجهات الثلاثة وأصل الفعل الذي هو أصل الاسم وجب أن يكون في الوسط وهوالعين المستنطق عن ((كن)) والطرفان حاملا ظهوره وموقعا نجومه وقابليتا بروزه إلا أن الفاء من جانب الكاف التي هي مقام الإجمال والبساطة ولذا كان في جانبه الأيمن واللام من جانب النون التي هي مقام الكثرة والتفصيل الظاهر في الأيسر فالفاء هو النبوة و محلها محمد ﷺ واللام مقام الولاية ومحلها علي عليه السلام وهما أصلا اسمهما كما تقرر عندنا أن أصل الاسم في الوسط وإنما أخذ باطن الاسم في محمد ﷺ لبيان مقامه ووقوفه صلوات الله عليه وآله في مقام الباطن والإجمال وأخذ ظاهر اسم علي عليه السلام لبيان مقامه ووقوفه عليه السلام في مقام الظاهر والتفصيل وكل منهما محل للعين التي هي المشية إلا أن الأول محل في الباطن في مقام الربوبية إذ لا مربوب عيناً وإذ مربوب ذكراً والثاني محل في الظاهر في مقام الربوبية إذ مربوب ذكرا وعينا فدل الاسم على المسمى وجرت الصورة على طبق المعنى ولذا أخذت الفاء والعين واللام على الترتيب الخاص ميزانا لعلم التصريف الذي هو التغيير والتحويل للأصل الواحد إلى الأمثلة المختلفة وكل تلك الأمثلة ظهورات وتطورات وشؤنات وتجليات لـ (فعل): فافهم ضرب المثل:

إيـاك واسـم العامريه إنني	أغـار عليها من فم المتكلم

هذا هو الأصل في الميزان والسر في ذلك لمن له عينان لا ما ذكره الصرفيون من التكلفات الفاسدة والتمحلات الباردة فإن ما ذكروه يصدق على عمل وصنع كما ذكره الإمام ﷺ إلا أن الخاصية التي بني عليها الوجود وامتاز بها الشاهد والمشهود وظهر بها (ظاهر) العابد والمعبود لا تكمل بل لا تتم إلا في ((فعل)) ولذا قدمه ﷺ في الذكر وصار موضوعا للعلوم كلها فعلم الصرف أبو العلوم والنحو أمها خلافا لما قالوا وشرح هذا الكلام طويل ولسنا الآن بصدد بيانه.

وإنما أتى ﷺ بصيغة فعل على هيأة الفعل محركة ولم يذكر اسمها الذي هو الفعل والمشية لبيان أنه هي الحركة الإيجادية والميل الأول للمحبة الحقيقية وعالم أحببت في المقامات القدسية وهو خلق ساكن أي مستقل ثابت أي قطب تدور عليه الأكوار والأدوار وتجري به الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار فلو أتى باسمه الذي هو المصدر مع سكون العين دل على جموده وسكونه وبرودته وانجماده وهذا غير مقصود لأن الإمام ﷺ في صدد بيان أن إليه تنتهي الروابط وتتعلق جميع التعلقات الكونية وبه يعرف الله بالأسماء الإضافية والخلقية وليس وراءه رتبة إلا الذات الأحدية وتمام هذا المعنى على أكمل التفصيل لا يؤديه التعبير بالفعل الساكن الوسط.

وقوله ﷺ **(وليس يتوهم فيه مذاهب وتجزية...إلخ)** يريد ﷺ بأن توهم اختلاف الجهات وفرض الاعتبارات المعبر عنها بالمذاهب والتجزية محال فضلا عن وقوعها وذلك كما تقول أن فرض شريك الباري محال وكذلك كل صفة نقص إذ لم يعقل في تلك الرتبة لأن العين التي بها يعرف الله سبحانه ليست فيها مذاهب وتجزية واقتران واتصال وافتراق وانفصال فكيف يعرف بها ذلك وقد قال أمير المؤمنين ﷺ **(إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى**

نظائرها) فعين العقل وعين النفس وعين الجسم المحدودة بالحدود المعنوية والصورية الشبحية والجسمية كيف تدرك ما لا كيف له ولا حد له ولا إضافة ولا اقتران فالعين التي بها يدرك ذلك الشيء يجب أن تكون مجردة عن هذه الكيفيات والحدود والأعراض فأين المذاهب وأين التجزية لأنها صفة المخلوقين ولا تدرك إلا بالعين التي بها تدرك صفات المخلوقين وبين المقامين بون بعيد كما لا يخفى على من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فلا يجوز توهم هذه الأشياء وغيرها من صفات النقص ولا فرضها في ذات الحق سبحانه وتعالى لأنه أجراها على خلقه ولا يجري عليه ما هو أجراه فهذا هو المذهب الحق والنمط الأوسط الذي يرجع إليه الغالي ويلحق به التالي ولذا قال ﷺ: فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صوابا.

يعني تعقل ما ذكرنا لك وما لوحنا إليك في طي الإشارات وما صرحنا في ضمن العبارات من السر الحق والكبريت الأحمر مما خفي على أبناء الزمان ولا يمكن ذكر ذلك بصريح البيان **(وابن عليه)** أي اجعله أساسا لاعتقادك فإنه الأصل الذي تدور عليه الأصول والنور الذي تقتبس منه الأنوار .

ولما أن عمران تفطن إلى ما قال له ذلك الإمام العالي الشأن عليه الصلاة والسلام من أن الحركة والسير للمخلوق لا يقع إلا في المخلوق كما نبه ﷺ عليه بقوله **(وليس يقال له أكثر من صنع وفعل)** وقد قال أمير المؤمنين ﷺ **(رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله)** انعطف عن السؤال عن الخالق فأخذ يسأل عن المخلوق، **فقال عمران: ياسيدي ألا تخبرني عن حدود خلقه كيف هي وما معانيها وعلى كم نوع تكون؟.**

قال ﷺ: **قد سألت فافهم إن حدود خلقه على ستة أنواع ملموس وموزون**

ومنظور إليه وما لاذوق له وهو الروح ومنها منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولاحس ولا لون ولا ذوق والتقدير والأعراض والصور والعرض والطول ومنها العمل والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها فأما الأعمال والحركات فإنها تنطلق لأنه لا وقت لها أكثر من قدر ما تحتاج إليه فإذا فرغ من الشئ انطلق بالحركة وبقي الأثر ويجري مجرى الكلام الذي يذهب ويبقى أثره .

أقول: سأل عن حدود الخلق وكيفيتها وكميتها ومعانيها أما الحدود فهي جمع حد وهو التعين الذي به يمتاز الشئ عن غيره أو قل برودة بها ينجمد الماء الذائب وبيانه بالإجمال أن الله سبحانه واحد يقيناً فالوحدة هي الكمال المطلق فضدها الذي هي الكثرة نقصان مطلق لضرورة التضاد وتطابقهما من جهة العناد فوجب أن يكون أول ما صدر واحداً وحدة انبساطية حقيقية شمولية وهو الماء الذي به كل شئ حي وهي نار الشجرة الزيتونة التي بها نضج ثمار الجنة ثم لما كان تلك الوحدة اقتضت ظهور الكوني والتفضيلي في الوجود ليكون محلا لأسمائه الحسنى وحاملا لصفاته العليا فخلق الله سبحانه وتعالى مابه يحصل الامتياز و التعدد وذلك هي الصورة وهي الهيئة التأليفية من أركان ستة الزمان والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف ولما كانت هذه الستة أمور متجددة سيالية تقبل الاختلاف ويقطع به الإيتلاف فكل جزء من أجزاء الزمان يقتضي بظهور ذلك الأمر الواحد فيه بغير الحكم الذي في الجزء الآخر منه وهكذا يختلف الحكم بترامي الأجزاء إلى ما لا نهاية له فكذلك الكيف يحدد ذلك الأمر الواحد بطور ويقتضي حكما غير مقتضى الطور الآخر وأطوار الكيف لا نهاية لها و هكذا حكم الكم والجهة والرتبة ثم نسبة هذه الحدود بعضها ببعض تقتضي أحكاما مختلفة وأوضاعا

غير متناهية فتختلف الأشياء بحدودها والحدود لا نهاية لها إلا أن كلياتها لما كانت ستة كما عرفت ظهر بها العدد التام ولما كان كل شيء لا يتحقق إلا برتبتين رتبة الإجمال ورتبة التفصيل ورتبة الغيب ورتبة الشهادة وجب أن تثنى الستة فتحققت بذلك الاثنا عشر وهو العدد الزايد لكون كسورها التي هي فروع ذاتها ولطيفة إينيتها زايدة على ذاتها بخلاف السنة فإن كسورها مساوية غير زائدة لأن الأول مقام تمام الشيء في نفسه والثاني مقام ظهوره مشروح العلل مبين الأسباب جامع المراتب حاوي المقامات ولذا سمي باسم الحد لأن أعداد حروفه مطابقة لحقيقة ذاته وإنما سمي بهذا الاسم لما قلنا لك من أنها محل الكثرة والاثنا عشر أول كثرة وقعت في الوجود بمقتضى الشهود عند تمام الشيء بنفسه وبظهور أسبابه وعلله.

ولما كان أصل الوجود هو ذلك الشيء الواحد وهو حامل مرتبة التوحيد ولما تكثر تكثرت أطوار التوحيد ومراتبه ولما كانت الكثرة في أول ظهورها انتهت إلى الاثني عشر لما قلنا ظهرت كلمة التوحيد في اثني عشر حرفا في التكوين والتدوين أما التكوين فلأن الكلمة حامله لظهور المعنى وشارحة له على حسب ما ظهر فيه ولما كانت الحقيقة المحمدية ﷺ الظاهر في اثني عشر حداً ظهرت فيها جميع مراتب التوحيد لقوله تعالى (**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**)[1] والمؤمن هو تلك الحقيقة المحمدية ﷺ بالوضع الأولي الإلهي فكانت تلك الحقيقة أصل الكلمة والاثنا عشر حروفها المقومة لها المتممة لظهورات آثارها ظهر التوحيد بتلك الكلمة بحروفها الإثني عشر في كل مراتب الوجود فكانت هي الكلمة التامة كلمة التوحيد وحدا تاما مشتملا على الجنس القريب والفصل وأما التدوين فكما

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٣٩.

ترى من ظهور كلمة التوحيد في اثني عشر حرفاً وهي قول لا اله إلا الله وقد تحددت بذلك الطبق حدود الأيام والليالي والبروج والشهور وساير الكليات الحقيقية التفصيلية وإليه يشير قول مولانا الجواد ﷺ في زيارة أبيه ﷺ **(السلام على شهور الحول وعدد الساعات وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات)**[1] ولما جرت الدورة الأولى على هذه الحدود جرت مراتب الوجودات كلها على طبقها لأنها هيئة ظهورها وصفة استدلالها فطابق الأسم والمسمى والصورة والمعنى فهو حد واحد وهو حدان وهو حدود كثيرة من قوله تعالى **﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾**[2] . و**﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾**[3] وقوله تعالى **﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾**[4] وقوله تعالى و**﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾**[5] إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة من تلويح الروايات وهذا الذي ذكرنا مجمل بيان الحدود والإشارة إلى حقيقة المحدود .

وأما أنواعها فاعلم أنها كثيرة جدا لا تتناهى ولا تحصى ولكن هذه الجهات الكثيرة كلها يجمعها شيء واحد لما قلنا أن الأشياء حقيقتها واحدة قد تشعبت جهاتها وتطورت آثارها فمنها تعدد وتشعب كتشعب النور من المنير والشعاع من الشمس ومنها تشعب كتشعب التفصيل من الإجمال والمشتق من المبدأ فالأول كلياتها ثمانية أنواع :

النوع الأول: الحقيقة المحمدية ﷺ بذاتها وحاملها ومحمولها وهي قد تشعبت إلى سبعة شعب.

الأولى: الحقيقة المقدسة النبوية الظاهرة بالنبوة المطلقة والولاية المطلقة

---

(١) بحار الأنوار ٩٩/ ٥٤.
(٢) سورة الزمر ٧٦.
(٣) سورة الفتح ١٠.
(٤) سورة المائدة ٦٤.
(٥) سورة الذاريات ٤٧.

الإجمالية نقطة الكلمة التكوينية ومبدء الوجودات التشريعية وسر الوجودات الشرعية في بسم الله الرحمن الرحيم أي تكوينيتها وتشريعيتها وتدوينيتها وسرها وغيبها وباطنها ونورها وظاهرها فافهم إن كنت تفهم.

الثانية: الحقيقة المقدسة العلوية حامل الولاية التفصيلية الباء في البسملة الحقيقية والمجازية من الغيبية والشهودية والألف في الكلمة الإلهية وحامل اللواء وساقي الحوض قسيم الجنة والنار عليه وآله صلوات الملك الغفار إلى يوم القرار.

الثالثة: الحقيقة المقدسة لمولانا الحسن حامل الإجمال عن التفصيل وسر التفصيل عن التوصيل ورتبة الإجمال ومقام الاتصال.

الرابعة: الحقيقة المقدسة لمولانا الحسين صاحب التفضيل والقمر السائر في منازل التقدير صاحب العشرة الكاملة والليالي المتتالية والصبح الصادق والحكم المطابق المهيج للحرارة الغريزية دافع الأبخرة والطبائع الغريبية فافهم.

الخامسة: القائم المنتظر والسيف المشتهر الواقف على الطتنجين والألف بين الواوين.

السادسة: الأئمة الثمانية حملة العرش وحفظة الفرش متمموا القابليات مقوموا الشرعيات ومظهروا الخيرات وناشروا الحسنات ودافعوا السيئات.

السابعة: الحقيقة المقدسة لفاطمة الصديقة تمام الكلمة الإلهية والبسملة المعنوية وليلة القدر في الأسرار الشهودية سر طه والطواسين والأمر بين الكاف والنون حاملة العلويات حافظة لها عن التفرق و الشتات.

وهذه السبعة قد تشعبت من تلك الحقيقة تشعب الأغصان من الشجرة والمشتق من المبدء والأفعال الستة أو السبعة من الفعل الماضي وهي المستقبل والأمر والنهي والجحد والنفي و الاستفهام فافهم.

وتشعبت منها باعتبار محمولها أربع شعب.

الأولى: النقطة الحقيقية التي لم تقبل القسمة لا وهما ولا فرضا ولا اعتبارا وهنا ثلاث مقامات، مقام الباطن ومقام باطن الباطن ومقام الظاهر وشرح هذه الكلمات الثلاثة مما يطول به الكلام مع أن هذا من مزال الأقدام فالإعراض عن بيانها أولى وأسلم بالنسبة إلى مدارك الأفهام مع أنا في صدد القسمة لا تحقيق مراتب الأقسام.

الثانية: مقام الألف بمراتبها الأربع من اللينية والمتحركة القائمة والمبسوطة المنتشرة والراكدة المنجمدة وهو قولة تعالى ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1]. ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2]. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[3] ولها مراتب في البواطن في مقامات الأسماء ومراتب المسميات يضيق صدري بإظهارها ولا يضيق بكتمانها .

الثالثة: الحروف العاليات المنشعبة من الألف المنقطعة منها وهي السحاب المزجى والحل الأول بل العقد الأول .

والرابعة: الكلمة التامة والرحمة الواسعة العامة والسر المقنع بالسر.

وهذه هي مجمل مراتب المحمول وهي سبعة وحاملها واحد أو سبعة أو ثمانية أو أربعة عشر أو اثنى عشر .

النوع الثاني: حقيقة الأنبياء قد تشعبت إلى مأة ألف وأربعة وعشرين ألف شعبة إلا أن المتشعب من الأصل واحد قد تعين بهذه الحدود و هذه هي الستة المذكورة من الكم والكيف وأخواتها والأصل فيهم خمسة وهي نسبة القلب في الأرواح الثلاثة الروح الحيواني المستقر فيه والروح النباتي المستقر

(١) سورة البقرة ٢٥٥.

(٢) سورة الزخرف ٤.

(٣) سورة الفرقان ٥٤.

منه في الكبد والروح النفساني المستقر منه في الدماغ والصدر وهؤلاء هم أولوا العزم وساير الأنبياء بمنزلة ساير الجوارح والأعضاء.

فالأول من هذه الخمسة هو محمد ﷺ الظاهر لهم فيهم بهم والإشارة إلى سر ذلك في حديث خلق نور محمد ﷺ في قوله ﷺ **(فلما أتم السباحة في الأبحر الاثني عشر قطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة خلق من كل قطرة روح نبي من الأنبياء)** ولا شك أن هذا العدد إنما يتم به ﷺ فظاهريته من تلك القطرة لأن القطب في كل رتبة من سنخها وهو حامل اسم الأصل فافهم.

النوع الثالث: مرتبة الرعية من بني آدم على القول المطلق الشامل لأهل هذه الدنيا ولما وراء جبل قاف من أهل جابلقا وجابرصا وهذه الرتبة من ذلك النور الواحد قبل تشعبه إلى تلك الشعب وإن كان بعده ولذا ليس كل واحد منهم علة مستقلة بدليل عدم بعثة الكل على الكل وإن عمت الشرايع في بعضهم وهذه الرتبة تتشعب شعبتين إحداهما شعبة النور والثانية شعبة الظلمة، فالأولى انشعبت من موافقة الأصل من حيث حكايته لفعل المبدء والثانية انشعبت من نفس الأولى من حيث نفسها على حد قوله تعالى **﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾**[1] وكلاهما متقومان بذلك الأصل إلا أن الأولى منه وإليه وبه والثانية به ليست منه ولا إليه وكل من هاتين الشعبتين تشعبت إلى حدود وأنواع كثيرة باعتبار مزج هاتين الشعبتين وتداخلهما وتفارقهما وغلبة كل واحد منهما وتساويهما وكلياتها تنحصر في خمسة مقامات لخمسة أشخاص.

الأول: مقام المتبوعين من الأنوار عند التمايز والتمحض في النورية وقولي عند التمحض لا أعني به البساطة وجهة الوحدة فإن الوحدة مخصوصة بالله الواحد القهار وكل ممكن زوج تركيبي حتى الواحد الذي هو أول الأعداد

---

(١) سورة النمل ٢٤.

فإنا قد ذكرنا أنه مركب من ثلاثة أجزاء بل المراد بالتمحض في الوحدة غلبة حكمها واضمحلال حكم الكثرة في كل شيء بحسبه فالمتبوعون حيث قابلوا فوارة النور بحكم الغيور تلاشت ظلماتهم واضمحلت إنياتهم فلا يظهر منهم آثار الظلمة أبدا فهم إذن المتمحضون في طاعة الله فهم المتمحضون في النورية وهؤلاء أول المجيبين والمقرين لما سألهم الله تعالى وقال لهم ألست بربكم و محمد نبيكم وعلي أميرالمؤمنين والأئمة الأحد عشر من ولده وفاطمة الصديقة صلوات الله عليهم أولياؤكم فكانوا لسان السائل وحقيقة المسئول قد سألهم بهم فسألوا وأجابوا وهو قول مولانا الصادق ﷺ **(نحن السائلون ونحن المجيبون)** في الكافي ما معناه أن النبي ﷺ سئل لم فضلت على الأنبياء وقد بعثت آخرهم فقال ﷺ لأني كنت أول من آمن وأجاب لما سأل الله تعالى ألست بربكم[1] وكان سؤال علي أمير المؤمنين وجوابه مشتقين من سؤاله وجوابه ﷺ اشتقاق الضوء من الضوء واشتقاق الصدر والدماغ والكبد وساير الجوارح والأعضاء من القلب .

وإنما ذكرت هؤلاء من هذا القسم أي النوع الثالث مع أنهم من النوع الأول كما سمعت قبل لأن لهم سلام الله عليهم مقامان مقام افتراق عن الخلق في رتبة ذواتهم المشار إليه بقوله تعالى **﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾**[2] ومقام اجتماع واتصال مع الخلق المشار إليه بقوله تعالى **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾**[3] وذلك مقام ظهورهم مع الأنبياء ﷺ بالحصة العرضية ومع الرعية

(١) في الكافي ١ / ٤٤١ عن أبي عبدالله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، فكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله.

(٢) سورة الحج ٤٥.

(٣) سورة الكهف ١١٠.

(٤) بحار الأنوار ٢٦/ ١.

بالحصتين العرضيتين فافهم قال أمير المؤمنين ﷺ (أنا الذي أتقلب في الصور كيف شاء الله)[٤] .

الثاني: مقام التابعين بالإحسان وهم الذين أجابوا السؤال عن بصيرة ويقين وحقيقة إلا أن إجابتهم كانت تابعة ومتأخرة عن إجابة الأولين وهؤلاء غلبت فيهم جهة النور وإن كان للظلمة أثر ظاهر إلا أن ظهور آثار النور غالب وهم الذين ﴿خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم﴾[١] قال الصادق ﷺ (عسى في هذا المقام موجبة) أي يجب على الله في الحكمة أن يتوب عليهم .

الثالث: المتبوعون من الظلمات فقد أشار الله تعالى إليهم مفصلا بقوله ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[٢] فالظلمات في البحر اللجى هو الأول والموج الذي يغشاه هو الثاني لأنه سيئة من سيئاته والموج الذي فوقه هو الثالث لأنه سيئة من سيئات الثاني والسحاب معاوية لعنه الله . ظلمات بعضها فوق بعض فتن بني أمية أو بني العباس فوق بني أمية وهؤلاء هم المتبوعون والأئمة الدعاة إلى النار والواقفون على قاعدة مخروط الظلمة في المخروطين المتداخلين وهم الذين أنكروا أولا وما رسخ في حقايقهم إقرار بوجه من الوجوه.

الرابع: التابعون بالإساءة وهم رعايا هؤلاء الذين تبعوهم على علم وبصيرة كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٣] وهم الذين قال تعالى فيهم ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[٤]

(١) سورة التوبة ١٠٢.
(٢) سورة النور ٤٠ .
(٣) سورة الشعراء ٩٨ - ١٠١.
(٤) سورة التوبة ١٠١.

والنفاق هو الأول وعدده يطابق كنيته وهؤلاء قد غلبت فيهم جهة الظلمة بعكس القسم الثاني.

الخامس: المستضعفون الذين قد تساوت فيهم الجهتان ولم يترجح واحد منهما فبقي في عالم الإمكان ولم يخرج إلى عالم الأكوان فظاهرهم تابع لإحدى الفريقين وباطنهم لم يخلق بعد وهم المرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والترديد بعد وضوح الحال وكشف الأحوال ولكل من هذه الخمسة ثمانية وعشرون مرتبة حاصلة من إقبال العقل وإدباره ففي مقام العقل واحد في طور ظهور وتفرقت المراتب في المراتب النازلة وهي العقل والروح والنفس والطبيعة والمادة والمثال والجسم والعرش والكرسي وفك البروج وفلك المنازل وفلك زحل وفلك المشتري وفلك المريخ وفلك الشمس وفلك الزهرة وفلك عطارد وفلك القمر وكرة النار وكرة الهواء وكرة الماء وكرة التراب ومرتبة الجماد ومرتبة النبات ومرتبة الحيوان ومرتبة الملك ومرتبة الجن ومرتبة الإنسان ومرتبة الجامع وإن أردت أن تضيف إليها الإمكان والكون ومراتب المشية الأربعة بل الثمانية فتكون عشرة كاملة ليكون المجموع واحداً وأربعين مرتبة فعلت .

ولما كان كل مرتبة يربيها اسم من الأسماء الخاصة بها عن الله عز وجل وهي هو الله الواحد الأحد الفرد المتفرد المتوحد القيوم الرحمن الملك البديع الباعث الباطن الآخر الظاهر الغني المحيط السلطان إلى آخر الأسماء المذكورة في محلها فإذا أضفت الأصول إلى الفروع يكون المجموع اثنين وثمانين ولكل من هذه المراتب المذكورة ثلاث مراتب فيكون المجموع مائة وستة وستين مرتبة فإذا لاحظت هذا المجموع في الخمسة المذكورة يكون الحاصل ثمانمائة وثلاثين مرتبة وهذه هي كليات إضافية لهذه المرتبة وهنا مراتب وكليات قد

ضبطناها أكثر من هذا وتبلغ تلك الكليات تسعة عشر ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعمائة وتسعون وليس لي الآن إقبال وجه حصر هذه المراتب .

وأما الجزيئات فلا إحاطة لأحد عليها ولا يبلغ بها إلا علم الواحد الفرد جل وعلا لأن هذه المرتبة من جهة بعدها عن الوحدة ظهرت فيها آثار الظلمة فتحققت الكثرة الغير المتناهية بآثارها وأحوالها واقتضاءاتها بخلاف النوع الأول والثاني فإن ظهور الكثرة هناك قل لقلة ظهور آثار الظلمة بل عدمها في الأول وقلتها في الثاني ولذا يعاتبون بل يعاقبون عليها ترى أهل النوع الأول لايعصون أبدا ولو بترك الأولى وأهل النوع الثاني يتركون الأولى ولذا ثم إن الذي ذكرنا من المراتب المذكورة أولاً وهي ثمانمائة وثلاثون إنما هي المراتب النورانية وكل مرتبة تقابلها جهة ظلمانية إلا الفعل ومراتبه إذا ليس لها مقابله ومضاده مع شئ من الأشياء لأنها كلها بها تحققت وبظهور آثارها تقومت وعليها دلت وإليها أشارت وبها انتهت ولا يصح ماذكرنا في مقام التضاد فإذا نقصت من المجموع مائة وخمسين فيبقى ستمائة وثمانين في المراتب الظلمانية فتضيفها إلى المجموع فيكون الحاصل ألفا وخمسمائة وستة وأربعين مرتبة وهنا مراتب أخر تركناها خوفاً للتطويل وصوناً عن أهل القال والقيل .

النوع الرابع من السلسلة الطولية مرتبة الجن المخلوقين من مارج من نار وهي نار الشجرة الخضراء وهي الشجرة الزيتونة الثابتة التي ليست شرقية ولا غربية ولهم حقيقة واحدة بسيطة وهي نار الشجرة قد تعلقت بقوابل وحدود فكثرت جهاتها وقراناتها وأحكامها الحاصلة من تلك القرانات إلا أن كلياتها أحد عسر فمنهم من هو ساكن في الكرة الأثيرية وهؤلاء أفضلهم وأشرفهم في مقام البساطة ومنهم من هو ساكن في الهواء ومنهم ساكنون في الماء ومنهم ساكنون في التراب ومنهم ساكنون في الأرض الأولى ومنهم

ساكنون في الأرض الثانية وهكذا إلى السابعة ولكل من أهل هذه المراتب هيئات وأوضاع وأحكام تضيق بها الدفاتر وكلهم مكلفون مختارون بعث إليهم الأنبياء والرسل وجعل فيهم الأمر والنهي والطاعة والمعصية والنور والظلمة وتجري فيهم المقامات الخمسة المذكورة في النوع الثالث ومراتب تلك المقامات على ماذكرنا آنفا فكل تلك المراتب موجودة فيهم بطريق الظل والنور والشعاع وكلها فيهم الجهة العليا وتضاف إليها جهاتهم السفلى أي جهات إنياتهم وحدود ماهياتهم التي هي منشأ الكثرة وعلة الاختلاف فانظر ماذا ترى فإن الجهات والمراتب المذكورة للإنس كلها عندهم جهة وحدة واتفاق وكثرتهم إنما هي بحدود أنفسهم وتلك الحدود ليست بموجودة في مرتبة الإنس كما أن حدودهم لم تكن موجودة عند الأنبياء كما أن حدود الأنبياء لم تكن عند الحقيقة المحمدية ﷺ كما أن حدودها لم تكن عند الفعل والفعل ومتعلقه كله عند الله سبحانه فانٍ باطل مضمحل فإذن تفطن في كثرة الجن بالنسبة إلى الإنس فإنها لاتقاس وقد روى عنهم ﷺ (**إن الإنس عشر الجن**) وهذا ليس تحديداً تفصيلياً لكنه إجمالي حيث القياس أن نسبة الجن إلى الإنس نسبة العشرات إى الآحاد وحقيقته على مايزيد نسبة الجن الأعداد الكثيرة الغير المتناهية إلى الواحد الحقيقي ﴿**ومايعلم جنود ربك إلا هو**﴾[1] .

النوع الخامس: مرتبة الملائكة سوى العالين فإنهم داخلون في النوع الأول وسوى الكروبيين الذين قال الصادق ﷺ (**إنهم قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ولما سأل موسى ربه ماسأل أمر رجلاً منهم فتجلى له بقدر سم الإبرة فدك الجبل وخر موسى**

(١) سورة المدثر ٣١.

(٢) في بصائر الدرجات ٦٩ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ثم قال إن موسى لما سأل ربه ما سأل أمر واحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا).

صعقا)[2] وهؤلاء هم من النوع الأول في النوع الثاني أو بالعكس أي من النوع الثاني في النوع الأول وأما ماسواهم فهم متحدوا المراتب واختلافهم باعتبار القوابل والحدود في هذه المرتبة امتازت جهة النور عن جهة الظلمة فصارت جهة النور مبدء خلق مستقل وإن كان ضعيف التركيب ولذا صار لهم مقام معلوم لا يترقون عن ذلك كما أخبر الله سبحانه حكاية عنهم ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[1] وروي عنهم ﷺ أن الناقص الذي لا يحتمل الكمال هو الملائكة، ولهم مقام خاص واسم خاص يسبحون الله تعالى بذلك الاسم ومراتبهم لا تحصى ومقاماتهم وأنواعهم لا تستقصى فجميع ما في الإنس والجن من المراتب والمقامات والإضافات والقرانات فيهم أضعاف أضعاف ذلك وعددهم بعدد أسماء الله تعالى وكل ملك يختص باسم لا يسع للاسم الآخر بخلاف الجن والإنس فإن كل واحد يدعو الله بأسماء كثيرة على حسب سيره في مقامات صعوده ونزوله وهذا مختصر القول فيهم إذ قصدنا بيان الأنواع والأقسام لا ذكر حقايقها وشرح دقايقها.

وأنواعهم بعدد أنواع الموجودات لأن من الملائكة موكلين بتدبير السحاب ومنهم موكون بتدبير المطر ومنهم موكلين بإنزال المطر ومنهم موكلون بتعيين وضع المطر في مكان مخصوص ومنهم موكلون بمزج المطر الواقع على الأرض مع التراب ومنهم موكلون بتقدير الماء والتراب عند المزج ومنهم موكلون بالتعفين ومنهم موكلون بالتقطير والعقد ومنهم موكلون بتدبيره إلى أن يصير نباتا من النباتات ومنهم موكلون بتدبير أصل النبات ومنهم موكلون بتدبير أغصانها ومنهم موكلون بتدبير أوراقها ومنهم موكلون

---

(١) سورة الصافات ١٦٤- ١٦٦.

بنضج ثمارها ومنهم موكلون بإسقاط أثمارها ومنهم موكلون بتدبيرها إذا اغتذى بها الإنسان مثلا في فمه ومهم موكلون بتدبير الغذاء في المعدة إلى أن يصير كيلوساً ومنهم موكلون بتصفيتها ومنهم موكلون بنقلها إلى عروق ماساريقا ومنهم موكلون بنقلها إلى الكبد ومنهم موكلون بتقسيمها إلى الأخلاط الأربعة ومنهم موكلون بدفع الفضلات والأخلاط الغريبة ومنهم موكلون بإجراء الأخلاط من الكبد في العروق والأوردة ومنهم موكلون بإجراء الروح البخاري من القلب في العروق الضوارب والشريانات ومنهم موكلون بضبط الأخلاط ليصح تقديرها ونضجها لقوام البدن وهكذا إلى ما لا نهاية له من تنقلات الأطوار غير ما هو موكل بتدبير كل جزء وكل عضو وكل شخص وكل سماء وكل مكوكب (كوكب) وكل جزء من أجزاء الكواكب وكل جزء من أجزاء الفلك وهكذا في الوجودات الكونية غير ماهو موكل بالتسبيح والتقديس في الوجودات الشرعية غير ما هو شغله التسبيح والتنزيه والعبادة والركوع والسجود والقيام والقعود وغير ذلك وكلهم على هيئات مختلفة وأوضاع عجيبة غريبة لوتصدينا لشرحها لطال بنا الكلام وبالجملة هم روابط الفيض في الوجودات الكونية والشرعية ونسبتهم إلى الموجودات نسبة الحروف إلى الأسماء والأفعال.

وأما الظلمة فقد صارت مبدء خلق مستقل وإن ضعف التركيب بمعنى أن حكم الظلمة غالب وحكم النور قدر الإمساك خاصة وهم الشياطين وهم في طرف الضد مع الملائكة كالماهية مع الوجود فالشياطين بعدد الملائكة موكلون بضد ما وكلت به الملائكة وعكسه حرفا بحرف لا يزيدون عليهم ولا ينقصون ولهم أحكام وأوضاع وهيئات غريبة ولأنواعها وكلياتها أسماء وأحوال لا يناسب المقام لذكرها فالإعراض عنه أولى .

النوع السادس: الحيوانات من البهائم وهي حقيقة واحدة تشعشعت من نور الملائكة بتوسط الأفلاك فاختلفت بالحدود والقوابل فصارت أنواعا مختلفة باعتبار غلبة الطبايع في الأيام الستة فصارت طيورا عند غلبة الماء وسباعا عند غلبة النار والتراب ووحوشا عند غلبة التراب أو النار إذا ألفت الأجزاء على خلاف الاعتدال الطبيعي وأهلية عند غلبة الهواء وهكذا نمط ساير الأحكام وساير الأنواع ومراتبها وأنواعها أضعاف أضعاف أضعاف الجن والإنس كما ذكرنا في الجن حرفا بحرف لأن المأخذ فيهما واحد.

النوع السابع: النباتات خلقها الله تعالى من شعاع الحيوانات وأصلها صفو العناصر ومادتها من لطايف الأغذية فإذا عادت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة وحقيقتها واحدة اختلفت بالحدود والقوابل ولكن لضعف نوريتها وبعدها عن المبدء وقفت في حد خاص تجذب الغذاء وتتحرك في الكم والكيف والوضع وأما الأين فلا تتحرك فيه ظاهرا وأما في الحقيقة فكما قال عزوجل ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾(١) وأنواعها كثيرة لا تحصى وأقسامها عديدة لا تستقصى.

النوع الثامن: الجمادات قد خلقت من فاضل النباتات وأصلها العناصر وضم بعضها ببعض وهي كثيرة أنواعها عجيبة أقسامها شرحها يؤدي إلى التطويل إلا أن مجمل القول في ذلك مامر في الجن وكثرته بالنسبة إلى الإنس فإن المراتب المندرجة في الإنس والجن والملائكة والحيوانات والنباتات كلها في الجمادات ونسبتها إليها نسبة الواحد إلى الأعداد الغير المتناهية ولو مدني الله سبحانه بمعونته كتبت في العلم الطبيعي في أحوال المعادن وخواصها وساير أحوالها رسالة مبسوطة مفصلة وذكرت فيها إنشاء الله تعالى أشياء لم تكتب في كتاب ولم يجر ذكرها في خطاب المأخوذة من دليل الحكمة من أهل فصل الخطاب

(١) سورة النمل ٨٨.

سلام الله عليهم في كل باب وهذا الذي ذكرنا هو مجمل أنواع الخلق الحاصلة باختلاف حدودها وذاتياتها وعرضياتها في السلسلتين أي الطولية والعرضية .

واعلم أن الاختلاف الحاصل في الأشياء إنما هو بتعدد الجهات والإضافات ولك أن تحكم بكل نظر حكما في العالم من الوحدة والاختلاف ولك أن تقول أن العالم واحد ولك أن تقول اثنان ولك أن تقول ثلاثة ولك أن تقول تقول أربعة ولك أن تقول خمسة ولك أن تقول ستة ولك أن تقول سبعة وهكذا إلى الألف وألف الألف وألف الألف الألف وهكذا وكل عدد يكون بأنظار مختلفة عديدة ولا يلزم أن يكون ذلك من جهة واحدة والإمام عليه السلام اختار في الجواب عن حدود خلقه وأنواعه الستة دون غيرها لأن الستة هي العدد التام وهي أصل الكثرات وعلة الاختلاف بأسرها أما سمعت الله سبحانه يقول ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[1] وقد ذكرنا سابقا أن ذلك النور الواحد الإلهي لما تعين بالحدود الستة ألتي هي المشخصات الحقيقية الأصلية لا غيرها وهي الزمان والمكان والجهة والرتبة ظهرت الاختلافات الواقعة في العالم ولما كانت الستة أصلا لهذه الاختلافات اختارها عليه السلام في الجواب دون غيرها ولأن الستة أول تفصيل المبدء وانبساطه فإن مبدء العدد هو الثلاثة وتكرارها في العالمين هي الستة ولأن الستة إذا ثنيت يظهر العدد الزايد الذي هو الاثنا عشر وهي حد الله لخلقه فأشار عليه السلام بباطن التلويح أن الاختلافات كلها إنما نشأت من حدود الولاية مع أن أصحاب الولاية والإمامه أسماؤهم الغير المكررة ستة وهي علي والحسن والحسين ومحمد وجعفر وموسى صلى الله عليهم وباقي الأسماء تكرار هذه الستة وقد قال الله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ

---

(١) سورة الأعراف ٥٤.
(٢) سورة النبأ ١-٣.
(٣) الكافي ١ / ٢٠٧.

عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[٢] وقال أمير المؤمنين عليه السلام (مَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي وَ لَا للهِ مِنْ نَبَإٍ أَعْظَمُ مِنِّي)[٣] وقال النبي صلى الله عليه وآله (يا علي ما اختلف في الله ولا في وإنما الاختلاف فيك يا علي) وهو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١] قال صلى الله عليه وآله (أنا المنذر وعلي الهادي)[٢] والهداية هي الإيصال إلى المطلوب وإعطاء كل ذي حق حقه والسوق إلى كل مخلوق رزقه من أحكام الإجابة والإنكار فلما كانت الولاية هي فصل الخطاب وهي منشأ الاختلاف وأصلها الستة المكررة اختار عليه السلام من الأعداد الستة.

وفيه لطيفة دقيقة فإن الستة إشارة إلى السر الذي بين الكاف النون فإن كلمة(كن)أصلها (كون) حذفت الواو للإعلال وهي الأيام الستة وهي قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[٣] ولما كان الوسط له جهتان باعتبار الطرفين تثنى الواو وتكون اثنى عشر وتلك حدود الله ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٤] .

ولطيفة أخرى أن الستة إشارة إلى الواو المنكس التي في آخر الاسم الأعظم وهو إشارة إلى رجوع الدولة إلى أهلها وعود السلطنة إلى مستقرها وكل كذلك مما أراده الإمام عليه السلام وروحي له الفداء وإلى هذه الدقايق أشار عليه السلام بقوله (**سألت فافهم**) فإن فيه دقة وغموض لا يسع المقام ذكرها فاكتفينا بالإشارة بلطيف العبارة.

(**إن حدود خلقه على أنواع : ملموس**) قال بعض العلماء : أي النوع الأول من حدود الخلق أي الأعراض التي بها يمتاز الشيء عن غيره الملموسات أي الأعراض التي تلمس وتماس جلد الحيوان أو عضوا مخصوصا من

---

(١) سورة الرعد ٧.

(٢) بحار الأنوار ٩ / ١٠٦.

(٣) سورة إبراهيم ٥.

(٤) سورة الطلاق ١.

أعضائه كالخطوط والسطوح وكالخشونة والملاسة ونحو ذلك وكالأصوات والكيفيات العارضة لها بالتقطيع وهي الحروف التي تماس وتصل إلى العصب المفروش في مقعر الصماخ وهذا نوع واحد من الحدود يمتاز عن غيره بالمماسة والوصول.

وقال ﷺ **(وموزون)** أي والقسم الثاني من الحدود الذي يوزن ويقدر الأشياء باعتباره وهو الخفة والثقل الإضافيان وهما لا يماسان شيئا وإن كان محلها باعتبار الأعراض الملموسة ملموسا وهذا لا ينافي كونهما ملموسين بمعنى كونهما مدركين بالقوة اللامسة إذ هذا المعنى مصطلح أهل العقل وليس معناه اللغوي فتفطن.

ثم قال ﷺ **(ومنظور إليه)** أي والقسم الثالث من الحدود المبصرات التي لا تلمس ولا توزن كالأضواء والألوان.

والقسم الرابع **(ما لاذوق له وهو الروح)** أي لا يكون ملموسا ولا موزونا ولا منظورا إليه بقرينة المقابلة ولما لم يذكرﷺ المذوقات سابقا فنفى الذوق صريحا وقال وهو الروح بالضم والفتح أي الروايح المشمومة ولما كان الضوء الذي هو مبصر أولا وبالذات مما ينكروجوده بعض العقلاء ويقول ليس الضوء إلا ظهور اللون وليس كذلك على ما عليه المحققون بشهادة الحس و المشاهدة لأنا نرى الضوء واللون شيئين نبه ﷺ بدخوله في المبصرات بقوله ومنها أي من جملة الحدود المذكورة منظور إليه وليس له وزن ولا لمس ولا حس أي ولا حركة لدفع توهم أن الضوء يتحرك في سطوح الأجسام كما يشاهد بحسب الظاهر إذ لا شك بأن الضوء عرض ولا يمكن انتقاله من محل إلى محل كما تقرر في محله ولا لون إذ الضوء ليس بملون ولا نفس اللون ولا ذوق له أي لا طعم له و كأنه أشار إلى هذا الذي ذكرنا من أن هذه الفقرة

الشريفة ليست لبيان نوع آخر من الحدود بل لبيان تحقق قسم من المنظور إليه بتغيير الأسلوب بقوله **(ومنها)** وتصريحه عليه السلام بكونه منظورا إليه إذ معلوم أن بعد جعل مطلق المنظور إليه نوعا لا يكون القسم الخاص من المنظور إليه نوعا آخر وأيضا في كلامه عليه السلام إشارة معنوية إلى هذا بأن المنظور إليه الذي لا يكون له لون ليس إلا الضوء لأن غيره مالم يكن ملونا ومضيئا لا يبصر البتة.

ثم قال عليه السلام والتقدير والأعراض أي القسم الخامس من الحدود التقدير أي الحكم على الأشياء والعلم بها وقياس بعضها على بعض وساير الأعراض جمع عرض بالكسر وهو الأمر الخفي الذي يستحق الموصوف به المدح أو الذم فيكون هذا القسم إشارة إلى مجموع الكيفيات النفسانية ولما كان العلم أشرفها بل أكثرها يترتب وجودا وعدما أفردها عليه السلام وذكرها مع الأعراض.

ثم قال عليه السلام **(والصور والطول والعرض)** أي القسم السادس من الحدود الصور أي الأوصاف التي لا تلمس ولا توزن ولا تبصر ولا تشم ولاتكون من الأعراض النفسانية سواء كانت أمورا عينية كالحرارة والبرودة ومطلق الطعوم أو أمورا اعتبارية كمطلق الإضافات والنسب ومن جملتها الطول والعرض وهما امتدادان متوهمان في الجسم فذكرهما بعد الصور من قبيل ذكر الخاص بعد العام ولا يبعد أن يكون إشارة إلى شمول الصور للأوصاف الاعتبارية انتهى.

أقول: إن ماذكره رحمه الله وإن كان مطابقا وموافقا لما يتراءى من ظاهر كلامه عليه السلام حسب متفاهم عامة الناس إلا أن ذلك ليس جاريا على الحقيقة الواقعية التي عليها يبتني كلام الإمام عليه السلام المحيط بجميع العوالم والأكوان مع أن هنا أعراض أخر ما ذكرها على حسب شمول هذا البيان فإن لوحظ شمول ما ذكر لما لم يذكر فيجب الاقتصار على أقل من ذلك.

والذي أفهم أن هذه الستة المذكورة إشارة إلى بيان جميع مراتب الموجودات في جميع السلسلة من الطولية والعرضية على جهة العموم على معنى الحقيقة بعد الحقيقة لا العموم المصطلح عند القوم وذلك أن الذات عند التأثير والإيجاد يحدث الفعل الذي هو الحركة الإيجادية أولا ثم يحدث بالفعل المفعول المطلق وهو حقيقة وحدانية معراة عن جميع القيود والحدود وهو المصدر الذي يقع تأكيدا للفعل ثم بالمفعول المطلق يحدث المفعول به وهو على قسمين غيبي وشهودي وكل ما كان كذلك فلا بد من برزخ متوسط بين الطرفين ليؤلف بينهما وهذه ستة حدود في كل موجود ومشهود ومفقود الأول الفعل وهو الحركة والعمل والصنع والإحداث والثاني المفعول المطلق وهو المصدر أثر الفعل منتهى إليه الحركة الغير المكيف بل صرف الأثرية والحدوث والثالث المفعول به القريب للمبدء المقتضي للغيبية لأجل المشابهة والرابع البرزخ المتوسط بين الغيب والشهادة والخامس المفعول به البعيد الشهودي الظاهر لأجل البعد عن المبدء والسادس ظهور المفعول به في الكون المختلط والواقعي الثانوي المتزج بالغرائب والأعراض التي لحقته في عالم الإدبار والبعد وكلام الإمام عليه السلام ينطبق على هذه الستة حتى يصلح أن يكون جوابا لكل سؤال من كل سائل.

ولما كان عالم الشهادة في القوس الصعودية أقرب إلينا فابتدء عليه السلام بذكره فأشار إلى العالم الظاهري والواقعي الثانوي القشر الحاجب للأصل بقوله عليه السلام **(ملموس)** فإن اللمس أقرب الحواس وأول ما يتعلق بظاهرية الشيء المجاورة لظاهر جلده أو قشره أو غير ذلك ولما كان الوزن أدق وأبعد من اللمس إذ قد نعرف ظاهر الشيء باللمس ولكن لم نطلع على مقداره ومعياره وفيه إشارة إلى أن المقدر الموزون المعين للشيء ذلك الجسم الأصلي الحقيقي

لا البشرية الظاهرة الحاملة للأوساخ والكثافات وهذه الكثافات أعراض لا وزن لها ولا مقدار وإنما الموزون المقدر حقيقة الجسم الذي لا يتبدل ولا يتغير فأشار ﷺ بالموزون إلى الذاتي من عالم الشهادة التي تقع في معرض التقدير والوزن والحكم بخلاف الملموس الأول العرضي وإن كان ذلك الأصلي أيضا ملموسا وأشار ﷺ إلى عالم البرزخ المتوسط بين عالم النفوس والأرواح وبين عالم الأجسام بقوله روحي فداه **(ومنظور إليه)** فإن النظر والإبصار كما هو الحق بالانطباع لا بخروج الشعاع ولا بغيره سوى الانطباع وهذه الصورة المنطبعة في الجليدية المنتزعة من الصورة المقترنة بالمادة الجسمية كالتي في المرآة هي من عالم البرزخ بين عالمي الغيب والشهادة فإن ما في المرآة دليل الصورة الخارجية والصورة هي عالم المثال لما اقترنت بالمادة الجسمانية وجد الجسم فالمنظور إليه أولا وبالذات هو المثال وهو البرزخ بين الغيب والشهادة لأنها ليست في اللطافة كالصور النفسية ولا في الكثافة كالحقيقة الجسمية وأشار ﷺ إلى العالم الغيبي الرابع بقوله الشريف **(وما لا ذوق له وهو الروح)** فإن الروح ليس بملموس ولا موزون ولا مذوق بالحواس الظاهرية بل هو مجرد عن المادة الجسمانية ومقتضياتها وأحوالها فلا يدرك بالحواس الظاهرة والروح في هذا المقام أعم من العقل المعنوي والروح الرقايقي والنفس والطبيعة والمادة لأن الروح قد يطلق على هذا المجموع ولهذا يقولون خرجت روح فلان والخارج هو هذه الأمور مع المثال كما هو المعلوم.

ثم أراد ﷺ أن يشير إلى المفعول المطلق بعدما فرغ عن بيان حقيقة المفعول به فقال **(ومنها منظور إليه وليس له وزن ولا حس ولا لمس ولا لون ولاذوق)** إنما أتى بالفاصل في هذا المقام منها دون الباقي بل اكتفى في الفصل بالواو لأن تلك الحدود والذوات وإن كانت أمورا مختلفة إلا أنها كلها حدود

وجهات لهذا الشيء الواحد بل الأصل في الاختلاف اثنان فعل ومفعول مطلق، ولذا أتى ﷺ عند ذكر كل واحد منهما **(منها)** وأما سواهما فشئونها وأحوالها فاكتفى بالواو للفصل فإن كثرة المباني تدل على كثرة المعاني كما أن قلة الباني تدل على قلة المعاني فافهم.

ثم إن المفعول المطلق المسمى بالمصدر والأثر والوجود هو المنظور إليه وقد ذكرنا أن المنظور إليه هو الصورة والصفة وهذا وإن لم يكن صورة مثالية أو نفسية أو عقلية إلا أنها صورة إلهية وصفة استدلالية وربوبية ظاهرة في المخلوقين ليعرفوا بها القديم تعالى، فهي صفة لفعله تعالى ودليل عليه، ولذا ترى المفعول المطلق يقع تأكيدا للفعل إذ في هذه الصورة يكون مثالا ودليلا للفعل لا فرق بينه وبين الفعل في التعريف والتعرف والمعرفة إلا أنه أثر الفعل وعبده وخلقه، فهو المنظور إليه حقيقة لأن النظر إلى المبدأ إنما هو في هذه الرتبة لأن الشيء لا يتجاوز حده ولا يتعدى ذاته، فجميع مداركه ومشاعره في أي شيء يكون إنما هو في مقام ذاته وهو قول علي عليه السلام **(إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)** فإذا أراد أن ينظر إلى مبدئه فإنما ينظر إلى ما تجلى له به، وما تجلى له به إنما هو حقيقة ذاته التي هي صفة فعله، فيعرف الموصوف بالصفة في الصفة ولذا قال عليه السلام أنه المنظور إليه إثباتا لقول جده أمير المؤمنين عليه السلام **(رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله، صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)**.

ولما كانت الألوان والأعراض والألوان الطعوم والإحساس الغيري وأمثالها من لوازم الماهية والصورة وهذا المقام مقام الوجود المحض المجرد عن ملاحظة الماهية نفى عليه السلام مقتضياتها وقال روحي فداه **(وليس له وزن ولا حس ولا لون ولا ذوق)** والإشارة إلى الجميع في قوله عليه السلام **(أبدان نورانية**

لا أرواح لها) وشرح حقيقة الحال لا يسعه المقال، وربما نشير إليه فيما بعد إنشاء الله تعالى.

واعلم أن الفعل في حد ذاته شيء واحد لا تكثر فيه ولا تعدد، وأما من جهة تعلقه بالمفعولات تحصل له حدود عرضية هي ذاتية في المفعول أي حقيقة ذات المفعول على هيئة ذلك الحد العرضي، ألا ترى أنك إذا أردت أن تكتب الألف تجعل حركة يدك مستقيمة وهذه الاستقامة وإن كانت عرضية بالنسبة إلى الحركة التي هي الفعل لكنها ذاتية بالنسبة إلى نفس الألف المكتوب، فجميع التقادير والصور والهيئات والأوضاع والإضافات كلها مذكورة في الفعل، وتلك الأذكار هي المعبر عنها بالإمكان الراجح الوجود، ولما كانت هذه الصور والهيئات والتقادير متأخرة عن رتبة ذات الفعل قدم عليه السلام ذكرها، ولما كانت مضمحلة فانية عند الفعل وليست لها آثار ظاهرة حتى صح إطلاق العدم عليها كما في قوله تعالى ﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا**﴾[1] ولم يعد عليه السلام تلك الأعراض والتقادير والهيئات قسما آخر برأسه وإنما أدرجها عليه السلام في طي الكلام فقال عليه السلام إشارة إلى هذا المقام **(والتقدير والأعراض والصور والطول والعرض)** وهذه كلها وجوه الفعل والمشية عند التعلق وإليه الإشارة بقوله عليه السلام (مَلَكٍ لَهُ رُءُوسٌ بِعَدَدِ الْخَلَائِقِ مَنْ خُلِقَ وَ مَنْ لَمْ يُخْلَقْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[2].

ثم أراد عليه السلام أن يشير إلى الحد السادس والعالم السادس فقال روحي فداه وعليه السلام **(ومنها العمل والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها)** وهذا هو الحد السادس، والعمل والحركة إشارة إلى الفعل كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **(الفعل ما أنبأ عن**

---

(١) سورة مريم ٦٧.
(٢) مستدرك الوسائل ٨/ ٢٠٢.
(٣) بحار الأنوار ٤٠/ ١٦٢.

حركة المسمى)[3] وهو الأصل في إيجاد الآثار والمفعولات، ثم نسب هذه الحركة إلى الأشياء بعد فرضها ذاتا، ولا شك أن الفاعل إنما يفعل ويوجد الحركة ويغيرها من حال إلى حال ومن الزيادة إلى النقصان ومن النقصان إلى الزيادة لأنها عند ذات الفاعل مضمحلة فانية باطلة، والفعل وإن كان أصلا بالنسبة إلى الآثار والمفاعيل لكنها عند الذات مضمحلة باطلة زائلة متجددة وجمع الحركة، أما باعتبار تعدد الذوات الفاعلة كما هو الظاهر بقرينة قوله عليه السلام تصنع الأشياء..إلخ، أو باعتبار تعدد المتعلقات الموجبة لتعدد الأفاعيل أو توصيف الفعل بالتعدد ويحتمل في الباطن والتأويل أن يكون الضمير المستتر في تصنع راجعا إلى الحركات وهي التي تصنع الأشياء وتغيرها من حال إلى حال وتزيدها وتنقصها والحركة الإيجادية هي المشية التي تصنع الأشياء يعني أن الله تعالى يصنع الأشياء بها كما في قوله عليه السلام **(خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ)**.

ولما كان الفعل مضمحلا متلاشيا عند ظهور الذات جعل في حقيقته التصرم والتقضي والتجدد والسيالية فقيل في تعريفه الفعل ما دل على معنى في نفسه ومقترن بأحد الأزمنه الثلاثة كما قال عليه السلام وهذا الحديث الشريف كما يأتي **(المشية خلق ساكن يدرك بالسكون)** فالإستقلال دليل السكون والاقتران دليل الاضمحلال إذ لا شيء في التصرم والتقضي والسيالية بأظهر وأوضح من الزمان كما يأتي بيان هذا مشروحا إنشاء الله تعالى فأراد عليه السلام بيان عدم استقلالية الفعل والمفعول المطلق التي هي صارت علة الإستقلال كما قال صلى الله عليه وآله **(الفقر فخري وبه أفتخر)**[1] وقال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ

---

(١) بحار الأنوار ٦٩/ ٣٠.

(٢) سورة الأنفال ١٧.

(٣) سورة الإنسان ٣٠.

رَمَى﴾[2] ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ﴾[3] فأشار إلى ذلك بقوله الشريف **(فأما الأعمال والحركات فإنها تنطلق)** أي تذهب ولم يقل عليه السلام يعدم ويبطل لأن الأشياء لا تخرج عن ملك الله سبحانه بل كل شيء ثابت في مكانه وزمانه إلا أن من الأشياء ما هي سريعة السير ومنها ما هي بطيئة فإذا انطلقت الحركات لم تعدم ولم تبطل بل تخرج من الشهادة إلى الغيب بل تخفي نفسه عنك ولذا قال عليه السلام **(لأنها لا وقت لها أكثر من قدر ماتحتاج إليه فإذا فرغ من الشيء انطلق الحركة وبقي الأثر)** لأن الحركة هي الفعل وهو من العالم الأول الأعلى فإذا أراد الفاعل إحداث شيء ينزل الفعل من عالمه الأعلى إلى مقام التعلق لإيجاد ذلك الشيء فإذا تم الشيء رجعت الحركة إلى أصلها في عالم الغيب وبقي الأثر متعلقا بوجه منها إلا أن ذلك الوجه كأصله من عالم الغيب.

وقوله عليه السلام **(ويجري مجرى الكلام الذي يذهب ويبقى أثره)** لأن الكلام صوت متعلق بالهواء وهو جسم رقيق سيال فما دام أنت تؤلف الكلام بمدد جديد له وجود فإذا سكت بطل التأليف لكثرة الرطوبة المانعة عن الاستمساك والبقاء إلا أن دلالته التي هي أثره وشبحه ينتقش في صدر المخاطب وتبقى منتقشة فيه مادام الالتفات باقيا وإلا فلا، فالكلام أي الكلمة دليل الفعل والدلالة آية المفعول فالمفاعيل كلها دلالات كلمة كن وتلك الكلمة هي العلة التامة الحقيقة ولا شك أنها تخفى عند ظهور الدلالة وتظهر بها فيها فافهم فالخلق على هذا القياس لأن فعل الله تعالى كلمة والخلق دلالة، والدلالة ليست شيئاً إلا ظهور الكلمة ووصفها ورشحها لاتقوم لها إلا بها فإذا وقعت الدلالة على قلب المخاطب أي ظهور الأثر المطلق الذي هو الوجود إذا تعلق بالماهية تحقق المعنى فيثبت ويبقى باعتبار التعلق الغيري فذلك علة الانجماد فلو كانت الدلالة لم تتعلق بشئ والوجود لم يتعلق بالماهية كانت تنطلق أيضاً

بانطلاق الكلمة أي يغيب ويخفي لوجود مقتضى الغيبة وعدم المانع من التعلقات ولكن الدلالة لما تعلقت يقال بقي أثر الكلام وكذلك الوجود لما تعلق بالماهية يقال بقي أثر الفعل والمشية وخفيت المشية حتى قال بعضهم كما هو المشهور عند القوم إنها أمر عدمي لاوجود له إلا محض الربط وذلك من جهة عدم تفطنهم للسر الذي أشرنا إليه من أنها ظهور الكنز المخفي وصفته فالأصل فيها الغيبة في عين الظهور وهو معنى قوله ﷺ **(ويبقى الأثر)** فإن الأثر هو ظهور المؤثر في رتبة الأثر وخفاء المؤثر في رتبة الأثر فلا يزال المؤثر مخيفا عند الأثر في عين ظهوره له به وظاهرا لديه عند خفائه عنه به فخفاؤه لشدة الظهور واستتاره لعظم النور وهذا معنى قوله ﷺ **(ويبقى الأثر)** فبين روحي له الفداء في هذا الكلام الموجز المختصر جميع أطوار الوجود وأسراره وحقايقه وإشاراته ودقايقه وكم من عجائب جمة تركت ذكرها في هذا المقام ومن هذه الجهة تراه ﷺ اعتنى بهذا البيان كمال الاعتناء وقال لعمران سألت فافهم فأتى بالعبارة الظاهرة المناسبة لفهم العوام المطابقة لحقيقة الواقع في كل مقام فرض الفاعلية والتأثر ولما كان نظر الإمام ﷺ في الأشياء ليس نظر الانجماد والتعين نظر إلى الفعل والحركة والمنظور إليه بدون الكيف والحد وجهاته وشئونه فجعل الخلق ما سوى الله أمرين كما هو الواقع فعل ومفعول فأتى عند ذكرهما بقوله ﷺ منها وجعل المفعول خمسة لأنه كف الحكيم وسر الكليم فافهم هذا البيان المكرر بالفهم المسدد.

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيء غيره ولا شيء معه أليس قد تغير بخلقة الخلق؟

قال الرضا ﷺ: قديم لم يتغير عزوجل بخلقه الخلق ولكن الخلق يتغير بتغييره.

قال عمران: فبأي شيء عرفناه؟

قال عليه السلام : بغيره.

قال: فأي شيء غيره؟

قال الرضا عليه السلام : مشيته واسمه وصفته وما أشبه ذلك وكل ذلك محدث مخلوق مدبر.

قال عمران: يا سيدي فأي شيء هو ؟.

قال عليه السلام : هو نور بمعنى أنه هاد لخلقه من أهل السماء وأهل الأرض وليس لك على أكثر من توحيدي إياه.

أقول: وإن كان الإمام عليه السلام أجاب عن جميع هذه المسائل التي سألها عمران سابقا عند قوله عليه السلام **(وليس يقال أكثر من فعل وصنع وعمل)** وذلك جواب لكل سؤال ولكن عمران ما تفطن لدقائقه وما استشعر أسراره وحقايقه ولما سأل عن حدود خلقه وأجابه عليه السلام بما أجاب أورد إشكالا واعتراضا وهو أن الخالق لا شك في أنه هو الذات فهي العلة للحوادث الممكنات ولا شك أن بين العلة والمعلول والخالق (والمخلوق) لابد من مناسبة ومرابطة بها تصدر عنه المخلوقات المختلفة ويختص مخلوق بالخلق والجعل دون الآخر مع تساويهما في نفس المخلوقية والمجعولية.

والحاصل لابد بين الجاعل والمجعول من نسبة وموافقة فإن مباين الشيء لا يصدر عن الشيء وعند فقد النسبة مطلقا لا ذكر لأحدهما عند الآخر فكيف يتصور الجعل والإيجاد الذي هو الاتصال ونسبة المجعول إلى الجاعل وهذا لا شك فيه فإذا تحققت النسبة وذكرت قبل أن الواحد سبحانه لاشيء سواه ولا شيء غيره فإذا أوجد حدود خلقه المختلفة تتحقق النسب المختلفة ولا أقل من نسبة الخالقية والمخلوقية وذلك يستلزم التغيير إذ حدث فيه ما لم يكن

عنده سابقا .

وإن قلت هذه النسب كانت قديمة غير مجعولة وهي الأعيان الثابتة في الأزل المستجنة في غيب الذات لم تزل كما زعمه جماعة فرارا من هذا الإشكال ؛ فلا يجدي نفعا لأن تلك الأعيان إن لم تكن شيئا لم تتحقق النسبة وإن كانت شيئا إن كانت معدومة بطلت الشيئية والنسبة والاختصاص إذ لا تمايز في الأعدام اتفاقا، وإن كانت موجودة فإن كانت عين ذاته تركبت ذاته لأن حالة التركيب متأخرة عن حالة الأجزاء البسيطة فإن التركيب عارض للأجزاء والعارض مؤخر عن المعروض وذلك أيضا يستلزم التغيير وإن كانت خارجة عن الذات فهي قدماء مستقلون كل واحد منهم مستقل بفعله وتأثيره وذلك خارج عما نحن فيه مع أن أدلة التوحيد تبطل تعدد القدماء وأيضا نقول أن الخالق إن كان هو ذات الله عز وجل فقبل الخلق هل كان خالقا أم لا ، فإن قلت نعم يلزم صدق المشتق قبل وجود المبدء وذلك في البطلان بمكان فإن الخالق من له الخلق فقبل الخلق إطلاق هذا الاسم يكون كذبا أو تسمى الذات خالقا من باب الاصطلاح والتسمية وذلك غير ما كنا نبغ فإنا نريد الخالق بمعنى الإحداث والإيجاد فحسب فإذا لم يجز وجود هذا الاسم قبل الخلق فبعد الخلق يسمى بهذا الاسم فحصل له اسم وصفة في ذاته تعالى لم يكن قبل وذلك هو التغيير ، وهذا تقرير سؤال عمران في قوله (**أليس قد تغير بخلقه**) فأجابه عليه السلام بكلمة واحدة وقال عليه السلام (**إنه قديم لم يتغير عزوجل بخلقه**) لأن القديم هو الذي وجوده ذاته لذاته بذاته وهذا المعنى والحقيقة يستلزم التوحيد الخالص كما أثبتنا في رسالة منفردة لبعض الأحباء المخلصين فإن الاقتران والاتصال والكثرة والنسب كلها تستلزم صفة وجودية لم تكن وذلك ينافي كون الوجود ذاته لأن ذاتي الشيء لا يتخلف فوجب أن يكون

واحدا بالغا في الوحدة حد الكمال ولا يتحقق الكمال إلا إذا لم يذكر عنده شيء أصلا فانقطعت حينئذ النسب والإضافات والروابط والتعلقات لأنها كلها نقصان في الوحدة الكاملة إذ فيها شوب الكثرة فإذن أين النسبة وأين الربط وقد ذكرنا سابقا أن الربط والنسبة يستلزمان التركيب والكثرة .

وأما قولهم بوجوب النسبة بين الجاعل والمجعول فإن كانت النسبة بين المجعول وبين فعل الجاعل وصفته واسمه فنعم وإن كانت بين الذات وبين المجعول فلا .

ألا ترى الكتابة فإنها مطابقة ومناسبة لحركة يد الكتابة لا لذات الكاتب ولذا حسن الخط لا يدل على حسن ذات الكاتب ولا قبحه على قبحها نعم يدلان على استقامة حركة يده واعوجاجها لا غير ذلك فلو كانت النسبة المخصصة في الذات لدلت الكتابة على الذات دلالة تكشف له ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام **(إن قلت الهواء صفته فالهواء من صنعه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف عنه)** فالنسبة بين الذات وبين المجعول منقطعة رأسا وبين الفعل وبين المجعول ثابتة قطعا .

فإن قلت: إذا انتفت النسبة فكيف الإيجاد والإحداث المنبئان عن الاتصال.

قلت: الإيجاد بالفعل لا بالذات والفعل لا استقلال له إلا بالذات أحدثه الله بلا كيف والنسبة من الكيفيات وجدت بالفعل فلا يجري عليه ما هو أجراه والفعل ليس بمكيف ولا محدود ولا متصل ولا منفصل فكيف تسأل في خلقه وصدوره عن الكيف وهو الذي كيّف الكيف وأيّن الأين وقد صرح بذلك مولانا الرضا عليه السلام على ما في الكافي إلى أن قال عليه السلام **(وأما إرادة الله فإحداثه لاغير لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون بغير**

(١) في الكافي ١/ ١١٠ أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق ؟ قال: فقال : الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك ، يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له.

لفظ ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له)[1] فإذا كان الكيف هناك منتفيا وتريد أن تعرفه بالكيف فلا تصل إليه أبدا لأن الشيء لا يعرف إلا بما هو عليه، لو عرفت الأحمر بالبياض والأبيض بالسواد وذا الهيئة بغيرها وغير الهيئة بها لن تعرفها، انظر الآن إلى ذاتك وحقيقتك بعد كشف السبحات وإزالة الإنيات من غير إشارة تجدها شيئا غير محدود ولا مكيف منزه عن الاتصال والانفصال والافتراق والاجتماع والنسب كلها وهي دليل معرفتك لله تعالى وآية توحيده فيك، فيجب أن تكون مجردة عن جميع القرانات والروابط وهو قول مولانا الصادق عليه السلام في العبد أن **(الدال دنوه من الله بلا كيف ولا إشارة)**[1] فإذا انقطع الكيف في ذاتك وهي مخلوقة بالمشية في الوجه الأسفل المحدود بالنسبة إليها بعد وسائط عديدة فما ظنك بالفعل والمشية في الوجه الأعلى عند صدورها عن العلي الأعلى فلا تسأل عن الكيف وعن الربط هناك إذ لا ربط ولا كيف فقف على هذا الحد الذي أوقفتك عليه ولا تتجاوز فتهلك فتكون من الخاسرين، فعند صدور المعلول عن العلة ينعدم الفصل والوصل مطلقا لأن الفصل يستدعي فاصلة غيرهما وليست، والوصل يستدعي تشابه المتصلين في الملتقى وذلك يستدعي كون المعلول علة والعلة معلولا، مع أن الوصل والنسبة لا تعقل لأن الوصل لا يكون إلا بكون أحدهما في رتبة الآخر ولا شك أن الأثر معدوم في رتبة المؤثر فكيف الوصول نعم، يكون الوصول إلى جهة ظهور المؤثر الذي هو نفس الأثر، وعلى هذا المعنى يحمل قول مولانا الصادق عليه السلام **(إنا لأشد اتصالا بالله من شعاع الشمس بالشمس وشيعتنا أشد اتصالا بنا من شعاع الشمس بالشمس)** ولا شك أن شعاع الشمس ليس متصلا بذاتها لأنه أثرها وهو معدوم عندها فالاتصال في جانب الظهور لا الذات وللإشارة إلى هذه الدقيقة قال مولانا الصادق عليه السلام **(من عرف الفصل**

---

(١) في مصباح الشريعة ص ٨ عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال (وحروف العبد ثلاثة (ع ب د) فالعين علمه بالله والباء بونه عمن سواه والدال دنوه من الله تعالى بلا كيف ولا حجاب).

من الوصل والحركة من السكون فقد بلغ القرار في التوحيد).

وأما الجواب عن السؤال الثاني هو أن الخالق والفاعل ليسا أسماء الذات فإن الأدلة القطعية من العقلية والنقلية دلت على أن الذات البحت ليس لها اسم ولا رسم ولا إشارة إليها ولا عبارة عنها وهو المجهول المطلق لا سيما الخالق فإن الإمامية مطبقون على أنه من صفات الأفعال لا من صفات الذات فإن الصفات الذاتية لا يجوز نفيها وإثباتها وتوصيف الذات بضدها بخلاف صفة الفعل فلا يجوز أن تقول قدر ولم يقدر وعلم ولم يعلم أو قدر وعجز وعلم وجهل بخلاف قولك خلق ولم يخلق وفعل ولم يفعل فإن هذا النفي صحيح فإذا صح السلب دل على عدم الحقيقة وأنه ليس اسما للذات وإنما هو من أسماء الأفعال فإذن وجود هذا الاسم كعدمه لا يستلزم تغييرا إذ لا يقع الاسم على الذات، ألا ترى النحاة متفقين على أن اسم الفاعل مشتق من الفعل، ألا تراهم متفقين على أن المشتق فرع للمبدء فتكون الأسماء فروعا للأفعال فافهم ولا تكثر المقال فإن العلم نقطة كثرها الجهال، فظهر أن قدمه عز وجل يقتضي أن لا يتغير بخلقه، كيف والتغيير انفعال وهو لابد له من فاعل كيف يصح القول بأن الأثر يؤثر في مؤثره، بل يجب القول بأن الخلق يتغيرون بتغييره سبحانه.

وفي كلامه صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه إبطال وتزييف لكلام الحكماء القائلين بأن الماهيات ليست بمجعولة وأن الاختلافات الواقعة منسوبة إلى الماهيات ليس لله فيها صنع وأن الله تعالى ماجعل المشمش مشمشا بل جعله موجودا وأمثاله من الكلمات، بل بيان وتوضيح وشرح لقول جده الصادق عليه السلام **(لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة بمشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب فمن زعم أنه يقدر على نقص**

---

(١) المحاسن ١ / ٢٤٤.

(نقض) واحدة منهن فقد كفر)[1] وفي رواية (فقد أشرك) هـ فلا يكون تغيير في الوجود كائنا ماكان وبالغا ما بلغ إلا بجعله سبحانه وبتغييره سبحان من يغير ولا يتغير .

ولما عرف الجواب وعلم أن الروابط منفصمة والنسب منقطعة وأن الأسماء لا تقع على الذات أشكل عليه الأمر في المعرفة لأن الشيء إما أن يكون يعرف من جهة ذاته أو بآثاره، وأما طريق الذات مسدود في هذا المقام والآثار إذا لم تكن بينه وبينها نسبة وارتباط فكيف الدلالة وكيف المعرفة، ولذا سأل ﷺ وقال : **فبأي شيء عرفناه قال** ﷺ **(بغيره)** ولا ينافي عدم الربط لأنا إذا رجعنا إلى أنفسنا رأيناها فقيرة محتاجه لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فعرفنا أنا لم نخلق أنفسنا بالضرورة ولم يخلقنا من هو مثلنا، فإذن ننفي عن خالقنا جميع أوصافناوأخلاقنا وأحوالنا مما هي لنا فنعرفه بالجهل به ونصفه بأن لا يوصف ونقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون، إذ كل ما ندرك صفاتنا وكل ما نعلم حالاتنا فلا يوصف بها خالقنا وسادّ فقرنا ومقوي ضعفنا وقد قال سيد الساجدين ﷺ **(ولم تجعل للخلق طريقا إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك)**[1] .

ولكن عمران لم يتفطن لحقيقة الجواب وسأل عن ذلك الغير قال ﷺ **(مشيته واسمه وصفته)** يعني أن وجود الغير والسوى إنما تحقق بالمشية فظهر فقر الأشياء وعجزها وجهلها واضطرت إلى التوجه إلى غني عالم، وعالم مطلق، ثم إنه سبحانه وتعالى وصف نفسه لهم وبين لهم أسماءه وصفاته ليعرفوه بها، وتلك الصفات والأسماء بيّنها لهم بالبيان الحالي، وجعل حقايقهم وذواتهم ذلك البيان، فهم الاسم والصفة بما جعله تعالى لهم فكل شيء اسم لأن الاسم

(١) الصحيفة السجادية ٤١٧ .

ما دل على المسمى وكل فقير بفقره يدل على الغني وبعجزه يدل على القادر وبجهله يدل على العالم، ولما أن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم الله وصف نفسه لهم بهم كما في الدعاء **(يامن دل على ذاته بذاته)**[1]. **(بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت)**[2] لم أدر ما أنت وهذه الصفة صفة رسم لا صفة حقيقية كما أن النملة تزعم أن لله زبانيتين وأما الحقيقة الواقعية فقد سد الغني المطلق باب الوصول إليها فبفعله وبمشيته واسمه وصفته عرفناه معرفة رسم، وهذه المعرفة لا تستدعي الارتباط والنسبة إذ لم تقع على الحقيقة فتكشف عن الواقع ولذا قال عليه السلام **(صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)** ولو كانت هذه المعرفة لأجل المناسبة الذاتية كانت معرفة واقعيةولما كانت المعرفة تزيد إذ ليس وراء الذات رتبة مع أن العباد لا يزالون يترقون في المعرفة أبد الأبد ودهر السرمد بلا نهاية ولا انقطاع ولا تقصرالمسافة بينهم وبين الذات عز وجل سبحانه وتعالى عمايصفهالواصفون علوا كبيرا.

ثم أكد عليه السلام ما أسسه وشيد ما بناه وقال **(كل ذلك محدث مخلوق مدبر)** حتى لا يتوهم أحد أن المشية عين الذات أو أن الاسم والصفة ذاتيتان كما هو المشهور بين العلماء الذين ما وردوا حوضهم وما شربوا من كأسهم صلى الله عليه وعليهم.

ولما أن عمران عرف طريق المعرفة سأل عن المعروف بهذه المعرفة يعني الذي عرفتموه باسمه وصفته أي شيء هو فأجاب عليه السلام بأنه نور اقتداء له تعالى في كتابه ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] العدم ظلمة والوجود نور وكل ما سواه لم يخل عن ظلمة العدم والفقر والحاجة فتمحضت النورية

---

(١) دعاء الصباح لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٣) سورة النور ٣٥.

للغني المطلق وحده لا شريك له . ولما كان الإمام ﷺ بين أنّا عرفناه بغيره فلا نعرف إلا جهة قيوميته لا حقيقة ذاته ويتراءى من قوله ﷺ **(نور)** أنه بيان للحقيقة فسر مراده بمعنى القيومية بمعنى **(أنه هاد لخلقه)** وخارج لهم من ظلمة العدم إلى نور الوجود ومن ظلمة الإمكان إلى فسحة الأكوان ومن ظلمة الابهام إلى نور التعيين والتشخيص ومن ظلمة الجهل إلى نور العلم ومن ظلمة النقصان إلى فضاء التمام والكمال الإضافيين وهو قوله تعالى ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[1] لا ما ذكره بعض المتكلفين من الصوفية وممن يميل إليهم ويحذو حذوهم أن المراد بالنور هو الوجود وأثبتوا بذلك على زعمهم مسألة وحدة الوجود بأن الله سبحانه هو وجود السموات والأرض فإن هذا القول باطل عاطل بينا فساده بالعقل والنقل في كثير من مباحثاتنا وأجوبتنا للمسائل .

ثم أراد ﷺ أن يوضح ويشرح أن الخلق لا يصلون إلى مقام الذات ولا يعرفون وإنما هم مكلفون بتوحيده وتنزيهه عن الشوائب الإمكانية والحدود الخلقية لا على البحث والفحص عن حقيقة ذاته المقدسة فقال ﷺ **(ليس لك علي)** أي بعد ما تبين لك من المراتب السابقة ليس بمعقول لك سؤال **(أكثر من توحيدي)** إياه من الشوائب العدمية والعلايق الظلمانية الإمكانية بأنه نور محض موجد لجميع الأشياء بالتفاته ونظره وإحداثه وإيجاده وأما أن حقيقته ماذا فلا لأنه لا يمكن أن يكون معلوما لشيء سوى ذاته . ويحتمل أن تكون هذه الفقرة إشارة إلى قول أمير المؤمنين ﷺ في الحديث **(نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)**[2] وفي الزيارة **(من أراد الله بدء بكم ومن وحده**

(١) سورة البقرة ٢٥٧.
(٢) بصائر الدرجات ٥١٧.
(٣) الزيارة الجامعة الكبيرة.

قبل عنكم ومن قصده توجه بكم)[3] إلى غير ذلك من الروايات فمراده عليه السلام ليس لك أن تتعدى عما أحده لك من توحيد الله سبحانه فإنه هو الحق الذي لا شك فيه والثابت الذي لا ريب يعتريه صدق ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه فوالله من شذ عنهم شذ إلى النار.

قال عمران: يا سيدي أليس قد كان ساكتا قبل الخلق لا ينطق ثم نطق.

قال الرضا عليه السلام: لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله والمثل في ذلك أنه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق ولا يقال أن السراج ليضيء فيما يريد أن يفعل بنا لأن الضوء من السراج ليس بفعل منه ولا كون وإنما هو ليس شيء غيره فلما استضاء لنا قلنا قد أضاء لنا حتى استضأنا به فبهذا تستبصر أمرك.

أقول: لما أن الإمام عليه السلام أثبت بالبرهان القطعي أن الله سبحانه لم يتغير بتغير خلقه وإنما هو أحدث المشية وأحدث الأشياء بها ونشأ منها الأسماء والصفات والأفعال فحصلت الأشياء منه تعالى بقوله كن قال يلزم على ذلك أن يكون الله تعالى قبل خلقه الخلق ساكتا ثم نطق ومعنى السكوت أي معطلا عن الفيض لا يفيض وهذا نقص وأيضا يلزم التغيير إذ حالة السكوت غير حالة النطق ويؤيده قوله تعالى (**كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**).

فأجاب عليه السلام أولا بأن هذا التعبير لا يصح لأن السكوت لا يجوز أن يكون في الوجود قبل النطق لأن النطق حركة والسكوت سكون ولا شك أن الحركة أشرف من السكون والنطق وجود والسكوت عدم والوجود أشرف من العدم والنطق حياة والسكوت موت والحياة أشرف من الموت فإذا تحققت الأشرفية فلا يتقدم الأخس عليها لا لذاتها ولا بجعل جاعل والضرورة قضت ببطلان الطفرة فإذا كان كذلك فلا يصح قولك أكان ساكتا فنطق لأن

السكوت دائما مسبوق بالنطق فعبارتك باطلة وهذا مايتعلق بالأمر اللفظي .

وأما الحقيقة فاعلم أن الضدين كل واحد منهما مذكور عند الآخر فإذا انتفى أحدهما مطلقا ذكرا وعينا وكونا انتفى الآخر يقينا فإذا كان كذلك فالله سبحانه لا يذكر في ذاته المقدسة شيء من المخلوقات أبدا لا نفيا ولا إثباتا ولا وجودا ولا عدما والفعل لا ذكر له في رتبة الذات حتى يلزم تغيير النسبة بل هو سبحانه على حالة واحدة قبل الخلق وبعد الخلق ومع الخلق قال أمير المؤمنين عليه السلام (**لم يسبق له حال حالا ليكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا**) وفي قول سيد الساجدين عليه السلام (**كذلك أنت الله في أوليتك وعلى ذلك أنت دائم لاتزول**)[1] وإذا كان كذلك فالخلق ليس مقترنا به ولا متصلا معه حتى يلزم التغيير وتفاوت الحالتين اللتين عبرت عنهما بالسكوت والنطق بل الخلق مقترن بالفعل والمشية ومنتهٍ إليه والفعل اسم استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره أي في ذاته لا في ذات الله تعالى كما قال الصادق عليه السلام (**خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ**) فالأشياء تنتهي إلى المشية وهي لا تنتهي إلى الذات قال أمير المؤمنين عليه السلام (**انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله**) فإذا كان كذلك انقطع الكلام عن الذات بالنفي والإثبات فحينئذ لا يلزم التغيير ولا السكوت والنطق إذ لا يقال هناك سكوت ولا نطق أصلا وما يروون أن الله كان متكئا فاستوى جالسا تلك من اختراعات بعض الصوفية لا كلام الإمام عليه السلام وإن كان يجوز تأويله لو صح بظهور من الظهورات الفعلية.

ثم أراد الإمام عليه السلام أن يشرح له حقيقة الأمر بالمثال الذي ضربه الله تعالى للناس في الآفاق وفي أنفسهم كما قال تعالى ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ**

---

(١) الصحيفة السجادية ١٦٩ .

(٢)سورة فصلت ٥٣ .

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2] ومن تلك الآيات والأمثال السراج فإن السراج له ضوء ذاتي هو ذاته ومعه بل ليس ذاته إلا ذلك لا ينفك عنه وهذا الضوء ليس بفعل منه ولا كون وإيجاد له لأنه ذاته لا شيء غيره فهو في رتبة ذاته وكينونة قيوميته على ما هو عليه من الضياء والنورانية فلما حصلت الأجسام الكثيفة وحصل إشراق من السراج علينا لا يقال أن السراج تغير عما هو عليه كان ساكتا ثم نطق إذ ما زاد عليه شيء وما نقص وهذه الإستضاءة التي فينا ليست من ذاته وإنما هي من آثار تجليه لا دخل لها في حد ذاته فذاته على ما هو عليه قبل الإشراق وبعد الإشراق في جميع النسب والإضافات و الأشعة الواقعة علينا ليست شيئا عند السراج حتى يوصف بها ولذا إذا قيل لك أي شيء في الدار تقول سراج ولا تقول سراج وشعاع فإن الشعاع الذي في الغير ليس شيئا عنده حتى يذكر معه فنسبة السراج في الحالين واحد ولذا قال عليه السلام **(والمثل في ذلك أنه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق)** لأن الضوء الموجود في السراج هو ذاته في كل حال فإن كان ساكتا فلا ينطق أبدا بل هذه الأحوال لا تجري عليه لأنها آثار صنعه وإحداثه **(ولا يقال أن السراج ليضيء فيما يريد أن يفعل بنا)** أي يتجدد فعل الإضاءة فيه واقتضاؤها فيما يقتضي أن يفعل بنا من الإضاءة **(لأن الضوء من السراج ليس بفعل و لا كون)** وهو الضوء الذاتي الذي هو عين ذات السراج لا الضوء الواقع علينا فإنه لا شك أنه أثر لضوء السراج لكنه لا ينسب إلى أصل الضوء الذي في ذاته فلو كان ينسب إلى ذلك الضوء يلزم زيادة ونقصان وتغيير وتفاوت حال بالنسبة إلى قبل الاستضاءة وبعدها فوجود ذلك الضوء وعدمه عند السراج سواء يقينا.

وقوله عليه السلام **(وانما هو ليس شيء غيره)** أي الضوء الذاتي أو الواقع على الجدار إذا نسبناه إلى السراج فإنه ليس شيئا مذكورا معه ولا مقترنا ولا متصلا به ويحتمل أن يريد عليه السلام بقوله أن الضوء لما كان دليلا وآية فلا يتوجه إلا إلى

السراج ولا يرى شيئا غيره كما في الدعاء **(لا يرى فيه نور إلا نورك ولا يسمع فيه صوت إلا صوتك)**[1] والكل وجه السراج ومثاله أو يكون المراد أن ليس للضوء وجود مستقل مباين غير السراج فإن وجوده تابع وظل لا تحقق ولا تذوت في الخارج إلا للسراج فلا شيء مستقلا سواه.

قوله عليه السلام **(فلما استضاء لنا قلنا قد أضاء لنا حتى استضأنا به)** أي فلما أظهر ضوءه لنا بإشراقه وتجليه قلنا قد أضاء لنا بفعله فإن **(أضاء)** فعل يوجد عند الحدوث لا قبله فقبل الإضاءة لا يقال أن السراج يريد أن يضيء لنا إذ ليس شيء قبل الإضاءة غيره حتى تتعلق به الإرادة ولا تكون الإرادة إلا والمراد معه فلما أظهر ضوءه بفعله قلنا قد أظهر فعله لنا حين إحداث الضوء الواقع علينا فنحن استضأنا بذلك الضوء فذات السراج آية الله ولله المثل الأعلى والضوء الواقع علينا من السراج آية المشية وهذا الضوء لم يكن له ذكر قبل وجوده عند السراج حتى يقال أنه ساكت عنه إذ لا تصح السكوت إلا في محل صلوح النطق ولا يصح هذه الصلاحية إلا بذكر هذا الضوء في السراج مع أنه ليس كذلك فلا يصح أن يقال أن الله سبحانه كان ساكتا قبل خلق المشيئة فنطق بالمشية لأن المشية لا ذكر لها في الذات حتى يصح النطق بها والسكوت عنها ولا يقال أن الله يريد أن يوجد المشية لأن المشية والإرادة ليستا إلا نفس الفعل فلا ذكر لها إلا حين وجودها لا قبلها ولا بعدها وذكر كل شيء في رتبة شيء وجوده ولا يصح أن تكون الذات ذكر المشية وإلا لكان القديم حادثا والحادث قديما نعم الأشياء تذكر في الوجه الأسفل من المشية أي الإمكان الراجح ولا ذكرلشيء قبلها أبدا وإلا لزم تكثر الذات والقول بالأعيان الثابتة وأنها لا موجودة ولا معدومة ولا شيء ولا لا شيء شطط من الكلام ولا يليق بأولي الأفهام مع أنا قد أشبعنا الكلام في إبطاله في

---

(١) مصباح المتهجد ٤٨١.

كثير من مباحثاتنا وأجوبتنا للمسائل .

قال عمران: يا سيدي فإن الذي كان عندي أن الكائن قد تغير في فعله عن حاله بخلقه الخلق.

قال الرضا ﷺ :أحلت ياعمران في قولك أن الكائن يتغير في وجه من الوجوه حتى يصيب الذات منه ما يغيره، يا عمران هل تجد النار يغيرها تغير نفسها أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها أو هل رأيت بصرا قط رأى بصره.

قال عمران: لم أر هذا .

أقول: على أصل القوم من أن المشتق هو الذات الثابت لها المبدء وأن الفاعل والخالق ذات الله سبحانه بذاته أو بفعله وأن النسبة حاصلة بين القديم والحادث وأن صدق مفاهيم المشتقات على الواجب والممكن بالاشتراك المعنوي لا مناص عما ذكره عمران ﷺ من لزوم التغيير بخلقه الخلق بالضرورة ولما كان عمران معتقدا لهذة الأصول الفاسدة والعقايد الباطلة والقواعد الباردة الكاسدة كان يلزمه القول بالتغير فالذين لا يتدينون بدين محمد ﷺ لا يستشكلون في التزام التغير وأما الذين يتدينون بدينه ﷺ حيث عرفوا من مذهبه ﷺ امتناع التغير عليه تعالى لا يتفوهون ولا يقولون بالتغير وأما ألسنة حالهم فشاهدة بذلك ومنادية بأعلى الصوت على ذلك كما قلنا لك من استلزام تلك الأصول والقواعد إياه، وأما عمران فلما كان من الصابئة كان لا يتحاشى عن إظهار ما يتفرع على قواعده من لزوم التغير، فقال مولانا الرضا ﷺ : (**أحلت ياعمران**) أي أتيت بشيء محال في قولك أن الكائن يتغير في وجه من الوجوه لأن التغيير تصيير الشيء من حال إلى حال ولا شك أن هذا التصيير ليس من ذات الشيء لأنها كانت مقتضية الحالة الأولى بنفسها فلا بد أن يكون من علة خارجية بالضرورة وتلك العلة إما

أثرها أو مؤثرها والأول باطل لأن الأثر لا يصل إلى رتبة المؤثر فضلا عن أن يؤثر فيه والثاني خلاف المفروض فلا يصح تغيير الذات حتى تصيب الذات منه أي من فعلها أو من نفسها ما يغيرها سيما في مقام يفرض كون الوجود عين الذات من غير مغايرة ولو اعتبارا .

ثم مثل لهذا المطلب وبيان الإحالة بتمثيلات في الممكنات من الآيات التي أراها الله سبحانه الخلق في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لعمران الحق فإن العالم مثل حالي والكلام مثل مقالي ولا شك أن الحالي أجلى من المقالي فقال عليه السلام **(يا عمران هل تجد النار يغيرها تغير نفسها)** وهو استفهام إنكاري أي لا يمكن أن تكون النار بفعلها في غيرها تغير نفسها هذا على تقدير أن يكون بغيرها بالباء الموحدة ويحتمل أن يكون مضارع غيّر من باب التفعيل ومعناه على هذا أنه لا يمكن أن يغير النار تغير نفسها أي التغير الناشيء من نفسها وعلى الاحتمالين أنه لا يمكن أن يتحقق في ذات النار حالة الإحالة مثلا بعد ما لم يكن متحققا فيها بإحالتها غيرها لتكون ذاتها متأثرة عنها ويلزم المحال بل ذات النار بذاتها بحيث لو وصل إليها شيء تحيلها إلى نفسها لكن بعد وصول شيء إليها تتحقق الإحالة بالفعل واستحالته بالنسبة إليه لا في ذات النار.

ثم مثل عليه السلام مثالا آخر وقال روحي فداه **(هل تجد الحرارة تحرق نفسها)** وإنما اختار في المثال النار والحرارة لأنهما صفتا الفاعل و حكايتان له النار صفة والحرارة صفة بعد صفة كقوله تعالى في بسم الله الرحمن الرحيم فإن الله هو الموصوف والرحمن صفة لله والرحيم صفة بعد صفة فافهم ضرب المثل.

ثم مثل عليه السلام مثالا آخر في هذا المعنى وقال روحي فداة **(وهل رأيت بصرا قط رأى بصره)** فإن البصر فيها قوة تجذب الصورة وتنزعها من المقابل ولا يمكن أن تنزع من نفسها صورة نفسها فأوضح الأمر بأمثلة ثلاثة ليكون

البيان تاما شاملا بجميع الأحوال الثلاثة التي في الإنسان.

واعلم أن ما ذكرنا هو شرح لظاهر عبارة الإمام عليه السلام وأما بيان حقيقة الأمر في ذلك على ما أراد عليه السلام فمما يجب كتمانه وسرّه إذ ما كل ما يعلم العالم يقدر أن يفسره فإن من العلوم ما يحتمل و منها ما لا يحتمل ومن الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فقال عمران: ألا تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه.

قال الرضا عليه السلام: جل ياعمران عن ذلك ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك وسأعلمك ما تعرفه به ولا قوة إلا بالله، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدللت بها على نفسك ياعمران.

قال عمران: بضوء بيني وبينها.

قال الرضا عليه السلام: هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينيك.

قال نعم.

قال عليه السلام: فأرناه، فلم يحر جوابا.

قال الرضا عليه السلام فلا أرى النور إلا وقد دلك ودل المرآة على نفسكما من غير أن يكون في واحد منكما ولهذا أمثال كثيرة غيرهذا لا يجد الجاهل فيها مقالا ولله المثل الأعلى.

ثم التفت عليه السلام إلى المأمون فقال الصلوة قد حضرت.

فقال عمران: يا سيدي لا تقطع علي مسألتي فقد رق قلبي.

قال الرضا عليه السلام: نصلي ونعود، فنهض عليه السلام ونهض المأمون فصلى الرضا عليه السلام داخلا وصلى الناس خارجا خلف محمد بن جعفر ثم خرجا فعاد الرضا عليه السلام إلى مجلسه ودعا بعمران فقال سل ياعمران .

أقول: لما أسس القوم أصلا وهو أن مباين الشيء لا يصدرعنه وأن العلة هي ذات الله تعالى فاختلفوا في وجه المناسبة فمنهم من قال أن الخلق أعيان ثابتة كامنة في ذات القديم ومستجنة فيه استجنان الشجرة في النواة وتلك الأعيان صالحة للوجود وقابلة لخطاب قول ((كن)) وتلك الأعيان مختلفة في ذاتها وغير مجعولة وكل واحدة تطلب نحوا خاصا من الوجود فاختلفت الذوات والموجودات ولهم على ذلك أدلة ذكرتها في أجوبة المسائل الرشيدية وقال آخرون أن الوجود هو شيء واحد وهو واجب الوجود وحقايق الخلق حدود الوجود وإنياته وماهياته فعلى القول الأول يكون الخلق فيه وعلى القول الثاني يكون هو في الخلق وقال آخرون في وجه المناسبة أن الوجود حقيقة مشتركة بين الواجب والممكن وعلى هذا القول ليس الواجب في الممكن ولا الممكن في الواجب إلا أن كل واحد منهما عين الآخر فإن المشتركين في الحقيقة الجامعة متساويان فيها كالإنسان الجامع لزيد وعمرو وبكر ولا يعقل أن يكون أحد الأفراد علة والآخر معلولا ولذا حكموا في النوع بأنه كلي مقول على كثيرين متفقين بالحقيقة في جواب ماهو وقال آخرون أن الاشتراك في المفهوم وليس في المصداق وهذا القول يرجع إلى القول الثالث إن كان المفهوم صدقا وإن كان كذبا يرجع إلى القول بنفي المناسبة وهو خلاف مراد القائل.

والحاصل لما كان القول الرابع والثالث في البطلان بمكان أعرض عمران عن التعرض للسؤال فيهما وسأل عن القسمين الأولين اللذين ذهب إليهما الفحول من أهل المعقول من الصوفية وغيرهم من أهل الفضول.

فقال عمران: ياسيدي ألا تخبرني أهو في الخلق كما هو مذهب أصحاب القول بوحدة الوجود وكما هو مذهب أصحاب الاتحاد والحلول وليس قول

ذوق المتألهين منهم ببعيد أم الخلق فيه كما هو مذهب أهل القول بالأعيان الثابتة وأصحاب القول بأن المعلومات صور علمية في الأزل وأن معطي الشيء ليس فاقدا له وأن بسيط الحقيقة كل الأشياء وأن كل ما في الخلق فيه سبحانه بنحو أشرف أعلى وأمثال ذلك من المذاهب وجامع المذاهب هو الذي سأله عمرا ن فإنها كلها ترجع إلى القسمين بعد القول بوجود الربط والمناسبة .

فقال عليه السلام : **(جل يا عمران عن ذلك)** وبداهة العقل المستنير يشهد بخلاف ذلك فإنه تعالى لو كان في الخلق أي مظروفا كان محاطا وكان قد سبقه وأحاط به آخر ويلزم منه الاقتران أيضا وكلاهما علامة الحدوث وإن كان كما يقولون من القول بوحدة الوجود يلزم الاقتران والانفعال والتكثر والتركيب وكل ذلك علامة الحدوث بالاتفاق والملازمة بينة واضحة في الجميع وذكر تفاصيل الأحوال وما يلزم هذه الأقوال يطول به المقال إلا أنا قدذكرنا وفصلنا في كثير من أجوبتنا للمسائل خصوصا في شرح آية الكرسي وأجوبة المسائل الهندية ومن أرادها فليرجع إليها وكذلك إذا كان الخلق فيه فإن ذلك أقبح وأشنع فيكون محلا منفعلا مقترنا متكثرا متصلا منفصلا متغيرا والدا وغيرها من القبايح فالحق القديم الأزلي سبحانه وتعالى أجل وأعظم من أن يحل في شيء أو يحل فيه شيء أو يتصل بشيء أو يتصل به شيء أو ينفصل عن شيء أو يقترن بشيء أو يتحد بشيء أو ينفعل عن شيء أو يكون مثله شيء فـ **(كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم)**[1] وأما ما ورد في بعض الأخبار مثل **(داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عنها لا كخروج شيء عن شيء)**[2] وقوله تعالى **﴿بِكُلِّ شَيْءٍ**

(١) بحار الأنوار ٦٦ / ٢٩٣.

(٢) شرح أصول الكافي ٤ / ٨٣.

(٣) سورة فصلت ٥٤.

مِحِيطٌ﴾[3] فالمراد بالإحاطة الإحاطة القيومية كإحاطة السراج بالأشعة ولله المثلَ الأعلى والمراد بالدخول دخول الظهور بالصفة الفعلية لا بحقيقة الذات سبحانه وتعالى عن ذلك وقد قالوا ﷺ كما في الكافي **(إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه)**[1] انتهى . يعني أن الخلق لايذكر عند الذات وحكمه حكم الامتناع هناك فإذن أين الإحاطة وأين الدخول وأين الخروج فإن الإحاطة لاتكون إلا بعد فرض الشيء المحاط وكذلك الدخول والخروج فإذ لا شيء فلا حكم هذا بالنسبة إلى الذات وأما بالنسبة إلى الفعل والأسماء والصفات فهو داخل في كل شيء ولذا لا ترى شيئاً إلا وتراه سبحانه قبله و بعده و معه وخارج عن كل شيء ومحيط بكل شيء وذلك معلوم ظاهر إنشاء الله تعالى .

ولما كان أصل هذه الشبهة نشأت من مشاهدتهم أن الخلق يدل على الخالق بالإن والخالق يدل على المخلوق باللّم ولا يكون ذلك إلا بالربط والمناسبة ولما لم يسلكوا في هذه المسالك بهداية أهل البيت ﷺ وقعوا فيما وقعوا من الاضطرابات وقالوا ما قالوا من الخرافات أراد الإمام ﷺ أن يزيل هذه الشبهة ويقمعها من أصلها ويبين طريق الاستدلال من غير أن يلزم أن يكون أحدهما في الآخر ولما كان الوصف الحالي والبيان المثالي أجلى وأوضح وأبعد من تطرق الشبهات والاحتمالات عن البيان المقالي والإمام ﷺ هو الحجة البالغة أتى ببيان من البيانات الحالية لترتفع الشبهة عن أصلها ولذا قال ﷺ **(وسأعلمك ما تعرفه به)** فإن المعرفة التامة لا تكون إلا فيما لا تقوم معه الاحتمالات والشبهات ولما نسب الإعلام إلى نفسه الشريفة والمعرفة إلى عمران استشعر قدرة الله سبحانه تبرء من حوله وقوته واعتصم بقوة الله تبارك وتعالى لنفسه ولما نسب إلى عمران من أنه يعرف ببياني فإن الله هو

---

(١) الكافي ١ / ٨٢.

القادر الفعال لما يشاء ولو شاء أن يحول بيني وبين بياني فعل ولو شاء أن يحول بين بياني وبين معرفة عمران فعل فيجب الاعتصام بحوله وقوته لئلا تخيب الظنون وهو سبحانه وتعالى عند ظن كل أمرئ ولذا قال ﷺ ولا قوة إلا بالله أي لاقوة لي للبيان و لا لعمران في المعرفة ولا لشئ من الأشياء في مقتضياتها وحالاتها إلا بالله ولما تقوى ﷺ بقوة الله سبحانه واعتصم بحبله أخذ فيما وعده عمران من البيان.

فقال ﷺ : **(أخبرني عن المرآة هل أنت فيها أم هي فيك)** فالمراد بالمرآة قديكون الزجاجة في ظاهر الاستعمال حسب متفاهم عامة الناس وقد يكون نفس الصورة المنطبعة فيها فإنها هي التي ترى المقابل فيها وهي آلة الرؤية ومحلها لا الزجاجة والمراد بها هنا كلا الإطلاقين فإنك إذا نظرت في المرآة ترى وجهك فيها وتعرفه بها بما تجليت لها بها إذ قد انفصل منك نور وشعاع قد تعين بالحدود الستة فظهر ذلك النور فيها حسب تلك الحدود من الإستقامه والأعوجاج فإذا قطعت النظ عن الحدود عرفت المقابل وإذا توجهت إلى الحدود احتجبت عنه وبالجملة عند التقابل بالمرآة تشاهد نفسك فيها مع أنك لست فيها حتى ظهرت هناك وليست هي فيك حتى تدل عليك ولما كان هذا المعنى مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه ترك ﷺ أحد شقي الترديد وقال ﷺ **(فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدللت بها على نفسك)** ومراده ﷺ أن يبين لعمران كيفية التأثير والحكاية التي في المرآة والتوصيف والتعريف والقيومية والإحاطة والانبساط والشمول والإحداث والإيجاد والفعل والمصدر والمفعول المطلق والمفعول به وكيفية الاستدلال وبيان حقيقة الخطاب في كن فيكون والخطاب الشفاهي والنقش الفحواني والمثال والتجلي والقيام الصدوري والقيام العضدي والركني والقيام الظهوري ودخول

المبدء في الأثر وخروجه عنه وتجليه له به واحتجابه عنه وحقيقة الربط وحكم البرزخ ونهاية الحوادث وعلة الممكنات وحقيقة الحدوث وكون الذات خلوا من الأسماء والصفات وأطوار الإمكان والممكنات وأن بينه وبين خلقه بينونه صفة لا بينونة عزلة وأمثالها من المطالب الجليلة والمراتب العظيمة التي تاهت عندها عقول الحكماء وأحلام العلماء كل ذلك بمقابلة المرآة للشاخص ومعرفة جهة الاستدلال من المرآة على الشاخص ومن الشاخص على المرآة بظهور أحكام الاشتقاق والإعلال وتصريف الأصل الواحد الذي هو الفعل على التحقيق إلى الأمثلة المختلفة من الأفعال السبعة والصيغ الأربعة عشر وظهور تلك الأمثلة والصيغ بصفة الرفع والنصب والجر والجزم والضمة والفتحة والكسرة والسكون وتطورها إلى أطوار الحقيقية والمجاز والنقل والاشتراك والتواطؤ والتشكيك وظهورها بالأشكال المستديرة والمثلثة والمربعة والمخمسة وهكذا إلى نهايات الأشكال بالأوضاع وانغماسها في ظلمات الأوساخ والأعراض والغرائب وتطهيرها بآلات التعفين والتقطير واستخراج الأرض السائلة والنار الحائلة والماء الجامد والهواء الراكد وجعل بعضها أرضا وبعضها ماء وفلاحة الأرض بالماء وهكذا من العلوم والأحوال والأطوار والأكوار والأدوار وحقيقة الليل والنهار.

فمراد الإمام عليه السلام من السؤال عن نمط الاستدلال توقيف عمران إلى هذه الدقائق وإطلاعه على جملة من تلك الحقائق لكنه رضي الله عنه لم يتفطن إلى مراده عليه السلام وظن أنه عليه السلام يسأله عن كيفية الاستدلال بحسب الإبصار أي كيفية الإبصار فقال (**إنما أستدل عليها بضوء بيني وبينها**) والظاهر من هذا الجواب أنه يقول في الإبصار بخروج الشعاع كما هو أحد الأقوال الأربعة في المسألة بمعنى أنه يخرج شعاع من العين على هيئة المخروط رأسه عند مركز العين

وقاعدته عند سطح المبصر حتى يكون وصول الشعاع إلى المبصر سببا لرؤيته ويكون باعتبار كونه صقيلا وانعكاس الشعاع منه إلى الرائي سببا لرؤيته نفسه ويكون جواب عمران بقوله بضوء بيني وبينها منطبقا عليه ويكون مراده من الضوء هذا الشعاع وأما على القول بالانطباع فسببه ارتسام صورة الرائي في الصقيل ثم منه إلى العين ولا يمكن أن يراد بالضوء الشعاع إذ لا شعاع على هذا فلا بد أن يراد بالضوء معناه الظاهر وهو من شرائط الإبصار مطلقا ولا معنى للتقييد حينئذ بقوله بيني وبينها ولما أن عمران غفل عن مراد الإمام عليه السلام وأجاب بخلاف المقصود من السؤال والجواب أيضا على فرض تطابقه مع السؤال الذي توهمه لم يكن صحيحا إذ المعروف من طريقة أهل البيت عليهم السلام أن الإبصار بالانطباع لا بخروج الشعاع أراد الإمام عليه السلام أن ينبهه على فساد معتقده في الإبصار ثم يوقفه على ما أراد عليه السلام في هذا المثال من نمط الاستدلال.

فقال عليه السلام بناء على مذهبه على القول بخروج الشعاع **(هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينيك فقال عمران نعم)** لأن قاعدة المخروط في سطح المرآة ورأسه الذي هو النقطة في العين قال الرضا عليه السلام **(فأرناه)** أي إذا كان الضوء في المرآة أكثر مما في العين ولا يمكن الاعتذار من عدم الإبصار لكونه صغيرا كما في العين والضوء من المبصرات بالذات إذا لم يكن مانع من إبصاره ومعلوم أنه يرى ضوء الشمس وغيرها في سطح المرآة ولا مانع من رؤيته فيها فأرنا ذلك الضوء الذي تقول به في سطح المرآة إما حسا أو عقلا فلم يحر جوابا أي فلم يرد جوابا لائقا لأنه تفطن بأن القول بتحقق أمر محسوس في شيء لا يحكم الحس بتحققه ولا دليل عقلي تدل عليه سفسطة لا يقول به عاقل وتصحيح الرؤية بهذا النحو مع قطع النظر عن المفاسد الواردة على هذا القول لا يفيد القطع بتحقق هذا المخالف للحس فعجز عن الجواب

وسكت .

ثم أراد الإمام ﷺ أن يبين له الأمر في الواقع وهو أنك إذا قابلت المرآة يظهر منك تجلي وظهور هو نورك مثل نور الشمس المسمى عندنا بالشبح المنفصل من الشبح المتصل وذلك نور واحد من شأنك الواحد والمرآة تقابل ذلك الشبح الذي هو نورك فيظهر فيها ذلك النور وهو الشبح الثاني المنفصل من ذلك الشبح المنفصل ويتكيف ويتحدد بكيفية الزجاجة وحدودها من الصقالة والكدورة والحمرة والصفرة والاعوجاج والاستقامة فيظهر ذلك الشبح دالا عليك على حسب الحدود فالمرآة نور منك قد ظهر وتشعشع من نورك أو قل هو الشبح المنفصل من الشبح المنفصل من الشبح المتصل والدليل على أن ما في المرآة شبح ذاتك لا أصل ذاتك هو أنك واحد والمرآة ربما تكون ألفا وفي كل مرآة ترى نفسك فلو كان ما في المرايا هي ذاتك يجب أن تتكثر حين كونها واحدة وتكون واحدة حين كونها كثيرة والضرورة تقضي ببطلانه فيكون مافي المرآة شبح الذات والدليل على أن ما فيها هو الشبح المنفصل من الشبح المنفصل هو أنك إذا ظهرت ينفصل عنك شبح ينتقش في مكان ظهورك وزمان بروزك وساير حدوده الستة المشخصة فإذا غبت عن ذلك المكان كلما تلتفت إلى ذلك المكان وذلك الوقت تجد مثالك وشبحك الواحد على هيئة كونك الأول في ذلك المكان وذلك الوقت وتجد في خيالك المرايا مقابلة لذلك الشبح الواحد فهو واحد وما في المرآة ألف فثبت أن نسبة ما في المرآة إلى ذلك الشبح نسبة ذلك الشبح إلى نفسك المقابلة ولما كانت المرآة إنما تحكي الصورة والجسم التعليمي خاصة قلنا أنه المنفصل من الشبح المتصل بك وهو الصورة الجسمية التي هي الصورة المثالية ولما كانت الأشباح كلها شئوناتك وأطوارك وظهوراتك وصفاتك والذات قدغيبت الصفات

فإذا نظرت إلى المرآة لا تلتفت إلا إلى نفسك ماحيا بظهورها الآثار والأسماء والدليل على ذلك أنك إذا رأيت وجهك في المرآة الحمراء تراه أحمر مع أن وجهك ليس فيه حمرة وإنما هو أبيض مثلا فإذا عرفت الذي ذكرنا لك عرفت أن مافي المرآة نورك وشعاعك لا ذاتك وحقيقتك ولما كان الإبصار كما هو الحق بالانطباع لا بخروج الشعاع كما زعمه عمران فإذا وقعت عينك على المرآة انتزعت صورة المرآة وانطبعت في صقالة إنسان العين ومنها انتقل الانطباع إلى محل التقاطع ومنها إلى الحس المشرك أي بنطاسيا المستقر في البطن الأول من التجويف الأول من الدماغ ومنه تنطبع الصورة في الخيال وهو في البطن الثاني من التجويف الأول من الدماغ ومنه إلى النفس التي في الصدر ومنه انخلعت الصورة الشخصية ولبست الصورة النوعية فارتسمت في العقل وهكذا فظهر لك أن العين مرآة أخرى لتلك المرآة فنورك هو الذي في المرآة ونور المرآة هو الذي في العين فالنور الذي في العين من المرآة هو الذي دلك على المرآة فدلك على نفسك بتوسط العين بتوسط المرآة والنور الذي منك في المرآة هوالذي دل المرآة على نفسك فعرفتك بما فيها من نورك ثم دل المرآة على نفسها لأن حقيقتها هي ذلك النور المحدود فبذلك النور عرفتك وعرفت نفسك وأنت بالنور الذي في العين عرفت المرآة وعرفت نفسك فأنت عرفت المرآة وهي عرفتك من دون أن تكون أنت بذاتك في المرآة أم المرآة بذاتها فيك والدال في هذا المقام ليس إلا النور الذي هو ظهورك وإشراقك فيها لا عين ذاتك وحقيقة وجودك لا الضوء الذي بينك وبينها على زعم عمران وإن جعلنا الضوء هو الفعل والمرآة أثر الفعل لا يصح أيضا لأن المراد بالدال هو عين المدلول على ما برهنا في مباحثاتنا في الأصول فإذا كان المدلول عليه هو نفس الأثر والناظر هو العالي لا يجوز أن يكون آلة الملاحظة والنظر هو الفعل

لأن الفعل لا يجوز أن يكون عين الأثر وإن كان العكس يصح في مقام من المقامات بنظر من الأنظار ولذا ذكرﷺ في النفس الملكوتية الإلهية إنما هي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يشق أبدا ومن جهلها ضل وغوى ولا يصح العكس فافهم:

وإيـاك واسـم العامرية إنني أخـاف عليها من فم المتكلم

وقولي باتحاد الدليل والمدلول ليس على ماتعرفه العوام بل على طور آخر من البيان يطول به الكلام وليس المتحد مع الدلالة المقصود من الدلالة بل الواقع عليه الدلالة وليس الدال إلا الدلالة فافهم إن كنت تفهم وإلا فأسلم تسلم وإلى هذا الذي ذكرنا أشار الإمام ﷺ سابقا بقوله ﷺ **(هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينيك)** يعني طريق الاستدلال وجهته هو النور الذي في العين من المرآة وهو شعاعها وشبحها به عرفت المرآة التي فيها نور نفسك فعرفتها بنورها الذي هو من نورك وقوله ﷺ **(فلا أرى النور إلا وقد دلك ودل المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما)** فالنور الذي دلك على المرآة وعلى نفسك هو شبح المرآة في العين والنور الذي دل المرآة على نفسها هو تجليك وظهورك المطلق مع قطع النظر عن خصوصية الحد فهي عرفتك بذلك النور الذي هو المثال الذي ألقيته في هويتها وعرفت نفسها أيضا بتعريفك إياها فالمراد بالنور في هذا المقام هو المثال والشبح والشعاع والخطاب وأمثالها من العبارات والإشارات.

وقوله ﷺ **(من غير أن يكون في واحد منكما)** الضمير المستتر المرفوع يرجع إلى قوله واحد منكما المذكور بالكناية لدلالة المقام عليه فيكون تقدير الكلام هكذا من غير أن يكون واحد منكما في واحد منكما لأن المقصود في هذا المقام كيفية الاستدلال على الخالق ومعرفة المخلوق إياه من غير أن يكون واحد

منهما في الآخر وليس بين الخالق والخلق واسطة كما قال ﷺ في هذا الحديث الشريف (**حق وخلق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما**) فإذن أي شيء غيرهما يدلهما على أنفسهما من غير أن يكون في واحد منهما مع أن المقصود إثبات الاستدلال من غير أن يكون الخالق في المخلوق والمخلوق في الخالق مع عدم الواسطة فعلى هذا وجب أن يجعل النور هو شعاع العالي أي ظهوره الذي هو نفس السافل وليس ذلك عين العالي ولا العالي في السافل نعم هو فيه بظهوره وإشراقه وتجليه فإذن يكون المراد أن النور الذي هو المثال دلك ودل المرآة على أنفسهما من غير أن يكون واحد منهما في الآخر أي في واحد منهما فإذا نظر الله سبحانه إلى عبيده ينظر إليهم بنفسهم لا بذاته تعالى ليكونوا في ذاته تعالى وإذا نظر العبد إلى الله تعالى ينظر إليه بنفسه تعالى أي بصفة فعله الظاهرة له به لا بذاته تعالى لتكون عنده أي عند العبد فالنور يدلك على المرآة أي الصورة ويدل المرآة والصورة عليك.

وتوضيح المقال في هذا المقام الذي هو من مزال الأقدام وكم زلت للأعلام فيه أقدام هو أنه قال أمير المؤمنين ﷺ (**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**) وقال تعالى ﴿**وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ**﴾[1] وقد دلت الأدلة العقلية القطعية بأن الشيء لا يتعدى ما وراء مبدئه أي فوق حقيقة ذاته وجوهره فكل ما يدركه يصل إليه وكل ما لا يدركه لا يصل إليه إذ لو جاز أن يدرك ما لا يصل إليه لجاز أن يدرك ذات الواجب أو ذوات الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم بالنسبة إلى من دونهم وفي الزيارة (**فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين**) إلى أن قال ﷺ (**ولا يطمع في إدراكه طامع**)[2] مع أن الإدراك معناه الوصول فكيف الإدراك مع عدم الوصول إن هو إلا تناقض ظاهر وتهافت باهر فإذا

---

(١) الصافات ١٦٤.

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة.

عرفت ذلك عرفت أن الدال لو لم يكن في مرتبة المدلول والمستدل لم يكن دالا له وعليه ولكان يلزم ما ذكرنا من صعود الشيء عن مرتبة ذاته فيلزم اجتماع النقيضين وهو باطل فإذا كان كذلك فما معنى قول الإمام عليه السلام في هذه الفقرة المباركة (**فلا أرى إلا النور قد دلك عليه من غير أن يكون في واحد منكما**) فكيف يستدل الشيء بما ليس عنده وكيف يكون الدال خارجا عن حقيقة رتبة المستدل في جهة الاستدلال ومقامه لا مطلقا وإنما قيدت جهة الاستدلال لئلا يتوهم أن السافل في رتبة العالي إذا استدل بالسافل على نفسه بنفسه فإن نظر العالي إلى السافل في رتبة السافل لا في رتبة العالي حتى يلزم ذلك والمستدل هو الظاهر بالدليل وهذه الظاهرية في العالي شبحه ومثاله وفي السافل بالنسبة إلى العالي ذاته وحقيقته التي هي التفات العالي ونظره وعينه التي أعارها إياه وإلى ذلك المعنى يشير قول الشاعر:

كلانا ناظر قمرا ولكن　　رأيت بعينها ورأت بعيني

والجواب أن لكلام الإمام عليه السلام وجوها من البيان أحدها ماذكرنا قبل أن الضمير المرفوع في يكون راجع إلى قوله واحد منكما المذكور بقرينة المقام من قبيل قوله تعالى ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ على المَلائِكَةِ**﴾ فإن ضمير الجمع المذكر العاقل لا يرجع إلى الأسماء وإنما مرجعه المسميات المدلول عليها قرينة المقام وهي ذكر الأسماء فإنها لا بد لها من المسميات وبقرينة ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ**﴾[1] وغيرها من القرائن وهكذا هنا فإنا بعد ما عرفنا من مذهب أئمتنا سلام الله عليهم أن الشيء لا يعرف إلا ما في ذاته أو في ملكه كما في إدراك العالي للسافل فإنه يدركه بذاته في ملكه وفي قيوميته لا في ذاته فيكون السافل في ذات العالي وكما في إدراك السافل للعالي فإنه يدرك

(١) البقرة ٣١.

وجه العالي في ذاته لا في ملكه إذ المفروض أنه ملكه فكيف يتقدم الشيء على نفسه في التحقق والوجود ويكون موجودا قبل أن يكون موجودا حين كونه معدوما وبداهة العقل تأبى ذلك وعرفنا منهم سلام الله عليهم أيضا أن ليس في الوجود إلا الخلق والحق لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما حتى يكون ذلك الثالث رابطة بينهما ودالا عليهما من غير أن يكون في واحد منهما وعرفنا منهم سلام الله عليهم أيضا أن ليس بين الحق والخلق جهة جامعة وقدر مشترك وهو أيضا صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه في صدد بيان أن الحق ليس في الخلق والعكس فكيف يسوغ أن يأتي عليه السلام بثالث لا هذا ولا ذاك ويجعله آلة الدلالة فأين إذن ما أثبتنا من قول أمير المؤمنين عليه السلام (**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**) وساير الأدلة القطعية المذكورة في محله وفي المرآة التي أتى بها عليه السلام مثلا للاستدلال على أن استدلال الأثر على المؤثر لا يلزم أن يكون المؤثر في الأثر ولا الأثر في المؤثر ولا مدخلية في المثال لأمر ثالث مع أن الذي دل الشخص على نفسه من جهة النظر في المرآة هو نفس شعاع الشخص المنطبع في المرآة المنفصل منها إلى العين والذي دل المرآة على الشخص وعلى نفسها هو نفس ذلك الشعاع والشبح المنفصل من الشخص فيها إذ لولا ذلك الشبح لما عرفت المرآة التي هي نفس الصورة الشاخص المقابل ولولاه من حيث التعين بالحدود الستة لما عرفت الصورة التي هي المرآة نفسها وتحققها وإنيتها (**بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت**)[1] وذلك النور والشبح هو عين المرآة وملك الشاخص فافهم هذا الكلام المكرر المردد بالفهم المسدد والله الموفق.

فإذن لامناص عن القول بأن الضمير لا يرجع إلى النور وإنما مرجعه

---

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي.

واحد منكما فيكون المعنى فلا أرى النور وهو الذي شرحناه وفصلناه إلا وقد دلك يا أيها الشاخص الناظر في المرآة بعينك لترى وجهك الظاهر في المرآة بالمرآة فيها على نفسك وهي الظاهرة في المرآة لا الذاتية الحقيقية والظاهرة هي الذات المعتبرة في المشتقات فافهم.

وثانيها أن النور الواقع في المرآة له اعتبارات اعتبار في نفسه من حيث أنه نور واعتبار من حيث أنه في المرآة واعتبار من حيث أنه الصورة المعينة في المرآة واعتبارمن جهة المقابل بحيث يفقد بتلك الجهة جميع جهات والمرآة بنفسها فالدال على المقابل وعلى الكينونة هو النور بالاعتبار الأخير مع قطع النظر عن ملاحظة كونه في المرآة فهو الدال من غير أن يكون في الشاخص ومن غير أن يكون في المرآة من حيث هي كذلك والإشارة إلى هذا المعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام **(كشف سبحات الجلال من غير إشارة)** **(ومحو الموهوم وصحو المعلوم)** والمراد من دلالة النور على المرآة نفسها هو النفس التي في قول أمير المؤمنين عليه السلام **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**[1] فيجب اعتبار النور لا من جهة المرآة في نفسها وإن كان فيها كما في قول الحسين عليه السلام في الدعاء **(إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير)**[2] وفي الحديث على ما نقل لي بعض العلماء عن أمير المؤمنين عليه السلام **(لو عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وآله لحددت ولو عرفت محمدا صلى الله عليه وآله بالله لكفرت)** مع أنه عليه السلام قال **(نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل**

---

(١) بحار الأنوار ١ / ٢٣.

(٢) دعاء عرفة لمولانا سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار ٨/ ٣٣٨.

(٤) بحار الأنوار ٢٦/ ٢٦٠.

معرفتنا)[٣] وقالوا عليهم السلام (بنا عرف الله وبنا عبد الله)[٤] وهكذا فالجمع بين الحديث الأول وباقي الروايات هو ماذكرنا وهو المراد من هذه الفقرة المباركة بناء على أن تجعل الضمير المرفوع المستتر راجعا إلى النور ولكن هذا المعنى بعيد عن الأفهام خصوصا عن فهم عمران في ذلك الزمان اللهم إلا أن يكون ذلك بعناية الإمام والتفاته صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين.

وثالثها أن المراد بالنور هو الفعل أي الوجود المطلق الرابط صاحب البرزخية الكبرى لا على ما يعرفون من معنى الربط والبرزخية بل على ما عندنا مما شرحنا في كثير من مباحثاتنا ورسائلنا وأجوبتنا والفعل وجه الفاعل للمفعول ووجه المفعول إلى الفاعل ولما كان حقيقة المفعول هي العرضية للفعل وتلك الهيئة علة الدلالة وموجودها وهي الكلمة نسب إليها الدلالة توسعا وملاحظة لحكم الاقتران فإن الفعل كلما قرب من نفسه العليا والسرمد والإمكان لطف ورق بحيث يكاد يخفى عن نفسه ويظهر في كل شيء وكلما بعد عن نفسه المذكورة والإمكان الراجح والسرمد ونظر إلى جهة المتعلق كثف وغلظ حتى يكاد يخفى عن كل شيء ويكون من جملة المفعولات فبذلك النظر يكون الفعل دليلا على المفعول و بالنظر الأعلى يكون وجها للفاعل فينظر الفاعل إلى المفعول بذلك الوجه والمفعول أيضا ينظر إلى الفاعل بذلك الوجه إلا أنه في الأسفل وهذا الفعل وإن كان علة للمفعول وليس جزء ولا داخلا في حقيقته على ماهو الحق من المذهب خصوصا قد نص عليه الرضا عليه السلام عند رده لقول ضرار (**لكنه ظاهر في المفعول وفيه حكاية له**) ولذا قلنا في توجيه قول البصريين من أن المصدر أصل ومبدء اشتق منه الفعل كما قلنا أن الفاعل مشتق من المصدر ومن الفعل وإن كان لا يقال ذلك على التحقيق لأمور كثيرة ليس الآن موضع شرحها وبيانها فإذن

يكون الفعل هو النور الذي يدل الشاخص الذي هو الذات والمرآة التي هي الأثر من غير أن يكون في واحد منهما لأن الفعل ليس عين ذات الفاعل ولا عين ذات المفعول خلافا لجماعة كثيرة من الملاحدة.

فإن قلت قول عمران بضوء بيني وبينها يمكن أن يراد به الفعل لأنه بين الفاعل والمفعول فلم نفى الإمام ﷺ وردع عمران عن ذلك.

قلت أما أولا فلأن عمران ما أراد بقوله ذلك إلا أنه فهم ماذكرنا سابقا أن الإمام ﷺ يسأله عن كيفية الإبصار هل هو بالانطباع أو بخروج الشعاع أو بغير ذلك فقال أنه بخروج الشعاع وهو الضوء المتوسط بين مركز العين وبين المرئي كما ذكرنا سابقا ولم يعرف عمران هذه الدقايق وقراءة كتاب الآفاق والأنفس لأن هذا الكتاب ما فتحه إلا الأئمة الهداة سلام الله عليهم ودلوا عليه شيعتهم كما فعله الأنبياء سلام الله عليهم من قبل وعمران لم يكن إلا من أهل الجدال وما كان يتفطن إلى هذه الأشياء ولو أراد عمران ذلك مانفاه ﷺ .

وأما ثانيا فلأن هذا القول بظاهره لا يصح إذ لا يقال أن الفعل بين الله وبين خلقه ليكون الله سبحانه محدودا بين الحدين وهذا المعنى هو الذي يتراءى من ظاهر قوله بضوء بيني وبينه ولما كان الناس شأنهم الاقتصار على مفاهيم الألفاظ والعبارات وهذه العبارة بمفهومها ماتدل على حقيقة المراد من هذه المسألة فلذا نفاه ﷺ لئلا يلزم التحديد والتشخيص.

ورابعها أن المراد من المرآة نفس الزجاجة لا نفس الصورة والنور الذي هو الدليل نفس الشبح والشعاع ولا شك أن النور ليس في واحد منهما لا من المرآة ولا من الشاخص.

فإن قلت: إذن فما معنى قوله ﷺ **(ودل المرآة على أنفسكما)** فإن الزجاجة لا تشعر حتى يدل عليها غيرها على مبدئها ومقابلها.

قلت: على هذا يكون المراد دل المرآة على نفسها أي جعلها بحيث يكون

دليلا على غيرها فافهم.

وهذه الوجوه الثلاثة كلها على تقدير رجوع الضمير إلى النور والوجه الأول هو المعتمد القوي والرابع بعيد بحسب الظاهر والثاني أقوى من الثالث والكل مراد لأنهم ﷺ يتكلمون بكلمة ويريدون بها سبعين وجها هذا من جهة التقريب والمثال وإلا فيزيد مدلول كلامهم ﷺ عن ألف ألف وجه لأنهم وجه الله الباقي وقدرة الله الواسعة والكلام على مقدار عقل المتكلم صلى الله عليهم أجمعين.

وقوله ﷺ (**ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالا ولله المثل الأعلى**) واعلم أن كل شيء يدل على هذا المطلب لأن الله تعالى خلق الخلق وبين لهم صفة قيوميته وظهور قدرته وأنه بائن عن خلقه بينونة صفة لا بينونة عزلة ولما وجب أن يبين بين سبحانه و تعالى وله الحمد وله الشكر أجلى البيانات وأحسنها وأعلاها وهو البيان الحالي الواضح الجلي، وكلما كان البيان أقرب إلى المبين له كان أكمل وأوضح وأحسن وهو سبحانه لا يعدل عن الراجح إلى المرجوح فهو سبحانه جعل مثال هذه المسألة في كل شيء من الأشياء إلا أنه لما كانت هذه المسألة مما يجب الاعتناء بها فمن هذه الجهة أظهر مثال هذه المسألة أكثر وأجلى بالنسبة إلى غيرها من المسائل ولهذا قال عليه السلام (**ولهذا أمثال كثيرة غير هذا**) يعني ما ظهر منها وإلا ففي كل شيء هذه المسألة موجودة، ولو أردنا شرح الأمثال المضروبة لطال بنا الكلام ونشير إلى بعضها إشارة إجمالية.

منها السراج والأشعة كما تقدم من كلامه ﷺ بأوضح بيان فإن كلا منهما يدلان على الآخر وليس واحد منهما في واحد منهما وفي ظهور السراج في الأشعة لا من حيث هي شرح جميع أحوال الخلق في أطواره وطبايعه

وألوانه واقتضاءاته وساير أحواله وفي ظهور السراج في الأشعة العلوم الارتباطية مثل علم الطريقة وعلم الشريعة ومسألة الأمر بين الأمرين وتحقق الاختيار في العالمين ومسألة البداء وعلل الأشياء ومسألة علم الله بالمخلوقات قبل وجودها ومع وجودها وبعد وجودها وحكم العلية والمبدئية وسائر الأحكام التي فيها ارتباط بين الفاعل والمفعول والآمر والمأمور وهكذا.

ومنها المتكلم والكلام فإن بينهما شرح أحوال الوجود بأسرها لا سيما هذه المسألة التي مبناها بينونة الصفة لا بينونة العزلة فإن الكلام يدل على المتكلم من غير أن يكون الكلام في المتكلم وبالعكس ويشرح جميع أحواله وما يريد من تأليف الكلام وورد في القرآن والأخبار إطلاق الكلمة والقول والكلام على الذوات المتأصلة كقوله تعالى ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ [1] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [2] أي الإمام وقوله عليه السلام **(نحن الكلمات التي لا يستقصى فضلنا ولا يستحصى)** [3] وغير ذلك من الأخبار والآثار.

ومنها المؤثر والأثر على جهة العموم مثل القائم والقاعد والآكل والشارب بالنسبة إلى القيام والقعود والأكل والشرب وغير ذلك.

ومنها حكم أهل النحو في الفعل أنه العامل والمؤثر في الفاعل وأن الأصل في العمل هو الفعل ولا شك أن العامل المؤثر أقوى وأشد تأصلا من المعمول المتأثر بل لا نسبة بينهما في القوة والضعف مع اتفاق كلمة الكل على أن الفعل متقوم بالفاعل وصادر عنه، فكيف يكون المؤثر صادرا

---

(١) سورة آل عمران ٤٥.

(٢) القصص ٥١.

(٣) بحار الأنوار ٤/ ١٥١.

عن الأثر والقول بأنه حكم لفظي لا يجب تطابقه مع المعنى غلط فاحش لما أثبتنا من المناسبة والمطابقة في رسالة على حدة موضوعة لذلك، وفي غيرها من أجوبة المسائل فلا نطيل الكلام بذكره لأن ذلك من المعلوم من مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ومنها قولهم أن اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وساير المشتقات كلها مشتقة من الفعل كما هو الحق أو من المصدر كما هو الحق أيضا، فإن المصدر مشتق من الفعل وهذه المذكورات مشتقة من المصدر وقد اتفق القوم على أن المشتق فرع للمبدأ وهو الأصل، فكيف يكون الفاعل فرعا للمفعول المطلق وسر ذلك كله في بينونة الصفة، فلو كان الفاعل هو الذات لما كان معمولا للفعل أو المصدر الذي هو الأثر، ولو لم يكن المقصود من الفاعل هو الذات لاستقل الفعل ولا الأثر، عليها كالشبح في المرآة الدالة على الشاخص المقابل من غير أن يكون أحدهما في الآخر، وشرح هذا الكلام مما يطول به الكلام ومن عرف سر المشتقات وحقق معناها وعرف أحكام تصاريف الأصل الواحد إلى الأمثلة المختلفة فقد بلغ القرار في التوحيد.

ومنها حكم الحديدة المحماة بالنار فإنها حاكية للنار ودليلة عليها من غير أن يكون النار في الحديدة ولا هي فيها، والنار الظاهرة فيها هي أثر النار الأصلية لا ذاتها، ولذا إذا قابلت الحديدة بالنار من غير اتصال تحمر الحديدة وتحرق من غير أن تتغير النار المقابلة بوجه بحيث يخرج منها شيء أو يدخل فيها شيء فيحصل فيها الزيادة والنقصان بإحداث الحرارة في الحديدة وذلك معلوم واضح.

ومنها النفس التي من عرفها فقد عرف الله ومعرفتها كما في حديث

كميل في قول أمير المؤمنين عليه السلام (كشف سبحات الجلال من غير إشارة، ومحو الموهوم وصحو المعلوم، وهتك الستر لغلبة السر، نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره، وجذب الأحدية لصفة التوحيد، وأطفئ السراج فقد طلع الصبح) والحاصل أمثلة هذا المعنى كثيرة لا يجد الجاهل فيها مقالا لأنه لا يعرفها إلا العالمون كما قال عز وجل (وضربنا الأمثال للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقال عز وجل ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضونَ﴾[1] فالجاهل بالأمر لا يجد في معرفة تلك الأمثال والصفات مقالا يؤول إليه، أو الجاهل المعاند لا يجد مقالا للدفع لوضوح تلك الأمثال والآيات، لأن حجة الله بالغة فلا تدحض ولا يمكن لأحد الاعتراض عليها ويقابلها بالرد والدفع إلا أن ينكروا بعد وضوح الحق وظهور الأمر كما قال تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ﴾[3] وإلا فأمر الله تبارك وتعالى بالغ الحجة واضح المحجة لا يجد الجاهل بالأمر الساذج طبيعته والصافي طويته عن صور الأوهام الفاسدة والشكوك الباطلة ليكون الجهل جهلا بسيطا فيه مقالا يؤدي إلى الاحتمال المنافي للوضوح والظهور، والجاهل بالجهل المركب لا يجد مقالا لدفعه لما عنده من الصور الباطلة وتنتقش مكانها الصور الحقة، أو الجاهل المعاند المكابر للحق بعد وضوحه وظهوره فلا يجد سبيلا إلى الإنكار من جانب (جهات) التمويه والتلبيس لكمال ظهور الحق بحيث لا يسع معه التلبيس، كيف وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ الْيَوْمَ

---

(١) سورة يوسف ١٠٥.
(٢) سورة النحل ٨٣.
(٣) سورة النمل ١٤.
(٤) المائدة ٣.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٤] .

وقوله ﷺ **(ولله المثل الأعلى)** في بيانه وجوه كثيرة تضيق بها الدفاتر إلا أنا نذكر في هذا المقام بعضا من تلك الوجوه تنبيها لنوع المراد.

أحدها أن المراد بالمثل هو الصفة، والمراد أن لله سبحانه وتعالى الصفة العليا، يعني كلما تذكر له صفة وتبين له اسما فإنه تعالى أعلى من ذلك لا يحيط به الواصفون كما قال ﷺ **(ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك النعوت وحارت في كبريائك لطائف الأوهام)**[١] وهو قوله عز وجل **﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[٢] وقوله تعالى **﴿فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**[٣] فإن الصفة المطابقة لا تمكن إلا بعد الإحاطة، فإذا امتنعت الإحاطة امتنع التوصيف، فكل مل نصف ونقول ونبين فإنه عندنا أو ذاتنا وهو سبحانه وتعالى صفته أعلى من ذلك، ولما مثل الإمامﷺ لتقريب الأفهام ولبيان ما كتب الله سبحانه وتعالى لخلقه من وصفه في الألواح الآفاقية والأنفسية وكان قد يتوهم متوهم أن هذا المثال هو المثال الحقيقي، والتوصيف هو التوصيف الواقعي، رفع ﷺ هذه الواهمة بقوله عليه السلام **(ولله المثل الأعلى)** اقتداء بكتاب الله العزيز.

وثانيها أنه لما امتنعت معرفة الذات الأقدس وهو سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق ليعرفوه لقوله عز وجل (**كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**) وكانت المعرفة بغير الإحاطة أو الاتحاد ممتنعة، وامتنع نزول القديم إلى الحدوث وصعود الحدوث إلى القدم، وجب عليه سبحانه في الحكمة أن يعرف الخلق نفسه تعريف رسم ويعرف

---

(١) الصحيفة السجادية ١٤٦.

(٢) سورة الصافات ١٨٠.

(٣) سورة النحل ٧٤.

الخلق أنفسهم ليميز العابد من المعبود والطالب من المطلوب، فجعل سبحانه وتعالى وله الحمد والشكر الخلق مجمع العالمين وملتقى البحرين، بحر الوحدة وبحر الكثرة بحر الكمال وبحر النقصان، وجعل سبحانه الوحدة لها مراتب والكمال أيضا له مراتب كالنقصان والكثرة ليعرف الخلق بالكمال الظاهر فيهم بهم ربهم، وبالنقصان أنفسهم، ولما كان الرب سبحانه وتعالى فوق رتبتهم فوجب أن يثبتوا له أعلى ما يجدون في أنفسهم أي في رتبة الإمكان من الكمال التام الذي لا يجدون أعلى منه، وهذا الكمال وإن لم يكن لايقا لحضرة الجمال والجلال إلا أن هذا الذي عندهم وهو سبحانه قال ﴿مَعاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ﴾[1] فمهما أثبت له سبحانه وتعالى كمالا يجد في تصوره وفرضه ما هو أكمل منه فهو الكافر الخارج عن الدين، ومهما أثبت له سبحانه كمالا يجد وراءه حدا انتهى إليه المعرفة وأثبته لا بالنهج الذي يدركه وبالطور الذي يعرفه ويعرف من هو مثله ممن هو في عالم الإمكان فذلك هو الدين الخالص، فالمثل الأعلى له سبحانه وإن كان هو منزها عن الجميع وإلى هذا الذي أشرنا يشير قوله تعالى ﴿سُبْحانَ اللهِّ عَمَّا يَصِفُونَ إلاَّ عِبادَ اللهِّ الْمُخْلَصِينَ ﴾[2] فاستثنى وصف المخلصين وأثبتها له ونفى وصف غيرهم، ولما كان هذا الاستثناء يوهم أن وصفهم لايق بجلال قدسه أزال سبحانه هذه الواهمة بقوله ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3] ولما كان في هذا التنزيه توهم أن المخلصين خارجون عن حد الديانة والإيمان أظهر سبحانه وتعالى عنهم الرضا

(١)سورة يوسف ٧٩.

(٢) سورة الصافات ١٥٩-١٦٠.

(٣) سورة الصافات ١٨٠.

(٤) سورة الصافات ١٨١.

بقوله ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[٤] فبين سبحانه أن وصفهم وإن لم يكن لايقا للحضرة الأحدية إلا أنهم أتوا بأقصى ما عندهم من الكمال وهو قول مولانا الباقر عليه السلام **(ولعل النمل الصغار تزعم أن لله زبانيتين)**[١] لما رأتهما كمالا لما اتصف بهما، ويلوح إلى جميع ما ذكرنا قوله تعالى ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[٢] وقوله تعالى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[٤]، وأمثالها من الآيات كثيرة، فإذن فالمثل الأعلى لله سبحانه هو الذي يثبته وذلك المثل خلق من مخلوقاته وملك من مماليكه واللام للتمليك كما في قوله عليه السلام في الصحيفة **(لك يا إلهي وحدانية العدد)**[٥] فبين عليه السلام لعمران أن هذا المثل الذي ضربت لك والصفة التي بينتها لأجل تفهيمك خلق من مخلوقاته وهو غاية وسعنا ومبلغ علمنا كما قال الصادق عليه السلام **(كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)** وهو الكمال المطلق الذي نحن ندركه.

وثالثها أن المراد بالمثل الأعلى هو نفس الإمام عليه السلام كما في الزيارة الجامعة (والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى) فالإمام عليه السلام هو المثل بكل المعاني والوجوه من معاني المثل فإن السراج الوهاج الذي قال عز وجل **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ**

(١) بحار الأنوار ٦٦/ ٢٩٢.
(٢) سورة النجم ٢١ - ٢٢.
(٣) سورة النحل ٦٢.
(٤) سورة النحل ٨٥ - ٩٥.
(٥) الصحيفة السجادية ١٣٤.
(٦) سورة الأحزاب ٤٥ - ٤٦.

شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٦] ، وقال تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] ، فإذا كان هو السراج الوهاج كان جميع ما سواه أشعته والنسبة كما ذكره عليه السلام قبل هذا فلا نعيده لما في قلبي وأما المرآة والشاخص المقابل فهو السراج الظاهر بالأشعة فإن المقابل من حيث هو كذلك غير الذات البحت البات الخالص فكل ما سوى الذات مما ينسب إليها صفة لها فعلية لا ذاتية وأعلى الصفات وأكملها هو المثل الأعلى وهو المذكور في الزيارة فلنقبض العنان فللحيطان آذان.

فعاد الرضا عليه السلام إلى مجلسه ودعا بعمران فقال عليه السلام سل ياعمران.

قال: ياسيدي ألا تخبرني عن الله تعالى هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف.

قال الرضا عليه السلام : إن المبدء الواحد الكائن الأول لم يزل واحدا لا شيء معه فردا لا ثاني معه لا معلوما ولا مجهولا ولا محكما ولا متشابها ولا مذكورا ولا منسيا ولا شيء يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون ولا بشيء قام ولا إلى شيء يقوم ولا إلى شيء استند ولا في شيء استكن وذلك كله قبل الخلق إذ لا شيء غيره وما أوقع عليه من الكل فهي صفات محدثة.

أقول: إن فيما ذكره الإمام عليه السلام وروحي له الفداء سابقا من نفي النسبة والارتباط بينه وبين خلقه وأن الخلق حوادث انقطع ذكرهم في القديم فهم

---

(١) سورة النور ٣٥.

هناك في حكم الامتناع فإذن ليس ظهور المؤثر في الأثر إلا بالصفة التي هي نفس الأثر لا بالذات والحقيقة لأن الذات إذا ظهرت بطلت الآثار وانعدمت كما قال ﷺ **(إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف واحد منها لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من الخلق)**[1] فإذا كان هذا حال الحجب فما ظنك بالذات فإذن كيف يوحد بحقيقة، ولكنه لما قد رسخت في ذهن عمران تلك القواعد الباطلة والعقايد الفاسدة لم يلتفت إلى الإشارات والدقايق بل التصريحات في أول النظر وأول البحث ولذا سأل عن الله سبحانه هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف، وهذا السؤال له معنيان بقراءة يوحد بالحاء المهملة أحدهما أن حقيقة الخلق والحق واحدة مشتركة وإنما التوحيد والتفريد بالوصف بأنه سبحانه موصوف بالوحدانية وغيره موصوف بالكثرة فتوحيده سبحانه ليس بحقيقة ذاته بحيث لا ذكر لما سواه عنده ولو فرضا وصلوحا كما هو مقتضى القول بوحدة الوجود وعليه حملوا قول أمير المؤمنين ﷺ **(ليس بينه وبين سائر خلقه بينونة عزلة بل بينونة صفة)** يعني أن ذاته تعالى ليست مباينة لذات الحوادث وإنما المباينة في صفة الوجوب والإمكان وأما الذات من حيث هي هي ليست إلا هي تصلح لعروض الوجوب والإمكان ولذا جعلوا الوجوب والإمكان من المفاهيم الاعتباريه وهذا هو مقتضى القول بالاشتراك المعنوي في الوجود وساير الصفات بين الواجب والممكن.

وهذا أيضا مقتضى القول بأن الواجب كلي منحصر في الفرد فإن مفهوم الواجب لا يأبى عن الصدق على الكثيرين وأن الأعيان الثابتة مستجنة

---

(١) بحار الأنوار ٥٥/ ٤٥ قريب منه.

(٢) لم نجد هذا الخبر بهذا اللفظ بعينه ووجدنا ما يقاربه معنى ففي الاحتجاج ١ / ١٩٨ قال عليه السلام من خطبة له (دليله آياته ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة).

في غيب الذات الأحدية وأن المفهوم ينقسم إلى الواجب والممكن والممتنع وأن الخلق من سنخ الحق سبحانه وأن أشرف الموجودات وأعلاها واجب الوجود وأسفل الموجودات وأدناها الهيلولى وما بينهما متوسطات كل ما قرب إلى الأعلى كان أعلى وكل ما قرب إلى الأسفل كان أسفل وأن الأشياء في ذاته تعالى بوجه أشرف فإن موجد الشيء ليس فاقدا له وأن بسيط الحقيقة كل الأشياء وأمثالها من الأقوال الباطلة كلها يرجع إلى ما سأل عمران من أن الله تعالى يوحد بحقيقة أو بوصف فإن عند هؤلاء التوحيد بالوصف لا بالحقيقة إلا أن منهم يقول بذلك بلسان مقاله ومنهم من يقول بلسان حاله.

وثانيهما أن توحيد الخلق إياه سبحانه هل هو بحقيقة الذات بحيث أدركوها ونالوها ووجدوها على ماهو عليه من التوحيد و التفريد أم لا بل لا يمكنهم ذلك وإنما توحيدهم له سبحانه باعتبار ظهوره بصفة من الصفات وتجلي من التجليات كما هو شأن معرفة الأثر المنفصل عن ظهور فعل المؤثر فإن الأثر حامل صفة واسم للمؤثر يعرفه بها ولا يمكن أن يصل إلى ذات المؤثر فمنتهى توحيدهم الوصول إلى ذلك الاسم بسر الرسم لا حقيقة الذات كما قال أمير المؤمنين ﷺ **(صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)** فيكون توحيده الخلق حينئذ بالصفة لا بالحقيقة.

وفي بعض النسخ يوجد بالجيم المعجمة بالبناء على المجهول والمراد بالوجود الظهور بالوجود للغير إذ لا شك بأنه موجود بذاته في ذاته عند ذاته وأما عند الغير فهل هو كذلك أو يوجد بالصفة والاسم والرسم كما في الدعاء **(ليس بموجود)** أي عند الغير وإلا فليس غيره في الحقيقة موجود سواه **(لا يرى فيها نور إلا نورك ولا يسمع فيها إلا صوتك)**.

ولما كانت المسألة من أمهات المسائل ومهماتها إذ عليها يبتني جميع قواعد

الدين وفيها وقع الاشتباه العظيم والاختلاف الشديد بين المسلمين وما اكتفى عمران بالإشارة في الجواب وفهمه بلحن الخطاب كما فعل ﷺ غير مرة أراد ﷺ بسط المقال في هذه الأحوال وتوضيح الكلام في الجواب فقال ﷺ (**إن الكائن الأول لم يزل واحدا لا شيء معه**) في رتبة ذاته والأشياء كلها أي الممكنات والإمكانات بأسرها في مرتبة ذاته تعالى معدومة ممتنعة لا ذكر لها فيها أصلا فكان فردا لا ثاني له في الصفات ولا في الذات فهو الأول الذي ليس له ثاني فهو دائما أو كما في الصحيفة السجادية (**كذلك أنت الله الأول في أوليتك وعلى ذلك أنت دائم لا تزول**)[1] فإذا كان كذلك فآخريته هي أوليته وبالعكس لا بالإضافة إلى شيء من الأشياء وصفة من الصفات وقران من القرانات فإذن لا ثاني له مطلقا (**لامعلوما**) مدركا للمشاعر بجهة من الجهات واعتبار من الاعتبارات، (**ولا مجهولا**) أي شيئا ثابتا لا تدركه المشاعر ولا تحويه الضمائر إذ المفروض عدم الغيرية لاستدعاء الأزلية وذاتية الوجود إياه، (**ولا محكما**) أي أمرا لا شبهة فيه والمتقن المحكم الموجود على كمال الاعتدال والاستقامة الجاري على محض الحكمة من وضع كل شيء في موضعه، (**ولا متشابها**) بخلاف ما ذكرنا الجاري على خلاف الاعتدال بحقيقة ما هو أهله بالنسبة إلى الأول وإلا فالمتشابه أيضا من المحكم ولذا نقول اعوجاج الجيم من الاستقامة والله سبحانه جعل هذا الاختلاف وعدم الاعتدال من الاستقامة وأحكام الصنع كما في قوله تعالى ﴿**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ «وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾**[2] فإذن لا متشابه أصلا كما قال عز وجل ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ**

---

(١) الصحيفة السجادية ١٤٦.
(٢) سورة الأنعام ١٢٥ – ١٢٦.
(٣) سورة النمل ٨٨.

كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣] وهذا مقتضى المشية الحتمية وتقسيم الكتابين أي التدويني إلى المحكم والمتشابه كما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[١] الآية وقوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[٢] الآية من مقتضى المشية العزمية فالمحكم مأخوذ من القبضة المأخوذة باليمين و المتشابه مأخوذ من القبضة المأخوذة بالشمال وإن كان كلتا يديه يمين فافهم فإذ لاذكر للأشياء في الذات فلا محكم هناك ولا متشابه.

(ولامذكورا) بالإمكان أوالكون في رتبة العقول والأرواح والنفوس والطبايع والمواد والأمثال والأشباح والأجسام والأعراض والصور والهيئات والمقادير وهكذا متسافلا وكذلك متصاعدا إلى مقامات الفؤاد ونقطة الكلمة وألفها وحروفها وكلمتها نفسها ودلالتها وقرانات حروفها بعضها ببعض ووقوع الدلالة على قلب المخاطب والأطوار الحاصلة من تلك الإيقاعات و الإلزامات وظهورات الأسماء وحقيقتها و مواقعها ومحالها وهكذا ساير المراتب إذ كل ما هو مذكور في هذه المراتب والمقامات ممتنعه في مرتبة الذات فلا مذكور سواه إلا وهو مخلوق فلا يكون معه ولا يكون هو تعالى موصوفا به.

(ولا منسيا) أي متروكا معرضا عنه كما في قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا﴾[٣] وقوله تعالى ﴿نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٤]، أو منسيا غير مذكور بالإضافة إذ كثيراً من الأشياء يكون مذكوراً في مقام وعالم ومنسياً في عالم آخر مثل ما يوجد ذكره الإمكاني ولم يكوَّن في الكون مثل سعادة

(١) سورة آل عمران ٧.
(٢) سورة الزمر ٢٩.
(٣) سورة الأعراف ٥١.
(٤) سورة التوبة ٦٧.

الأشقياء وشقاوة الأنبياء ومحو القيامة وغيرها، وقد يكون أشياء مذكورة في عالم العقول ولم يتشخص ولم يتصور في عالم فهي هناك منسية وهكذا قس المراتب والمقامات، وأما المنسي بحيث لا ذكر له في مرتبة من المراتب حتى في الإمكان فلا وجود له أصلا بوجه من الوجوه لأن متعلق الجعل لا يكون عدما بحتا والحادث بنفسه لا يتكون ولو فرض التكون فهو مذكور في محل التكون ،والقديم لا يكون وجوده إلا ذاتيا متأصلا مذكورا عنده فلايكون سبحانه منسيا.

(ولا شيء يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره) بعد ما فصل عليه السلام بذكر بعض الأشياء ثم أجمل وذكر جامع القول وهو أنه تعالى ليس شيئا يقع عليه اسم شيء من ساير الأشياء غيره تعالى وكل ما وقع عليه اسم فهو حادث لأن الاسم يقتضي الارتباط بينه وبين المسمى وكل ما فيه ارتباط واقتران حادث فبقي القديم هو الذي لا اسم له ولا رسم مع أن الأشياء كلها أسماء له.

خفي لإفراط الظهور تعرضت — لإدراكه أبصار قوم أخافش
وحظ عيون النحل من نور وجهه — لإدراكه حظ العيون الأعامش

فكل شيء غيره مما يقع عليه اسم شيء من الأشياء الموجودة الممكنة أو المكونة فهو خلقه والخلق الحادث لا يصح أن يكون مقترنا بالقديم الأزلي ولا أن يكون موجودا معه فلما بين عليه السلام تنزيه سبحانه عن مطلق الاقتران وكون شيء معه في الأزل وهذا التنزيه هو الأصل والأس الأساس في التوحيد لكن بشرط أن يكون بلا إشارة أما إذا كان مع الإشارة فليس بتنزيه وإنما هو تحديد ولأجل عدم الفرق بين المقامين اشتبه الأمر على جماعة من الفحول فقالوا بالجمع بين التشبيه والتنزيه فرارا عن التحديد والتجسيم فوقعوا فيهما وضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء الطريق.

ولما ذكر ﷺ حكم التنزيه أراد ﷺ أن يبين تذوته سبحانه واستقلاله وأنه باين عن صفات المخلوقين متأصل ومتقوم بمحض ذاته لا بشيء سواها فقال ﷺ **(ولا من وقت كان ولا إلى وقت يكون)** أي يكون له أول وآخر قد تحدد بالوقت والزمان كالممكنات إذ لا بقاء لها إلا بالوقت وهو من أجزاء العلة الصورية والشيء لا يقوم إلا بالمادة والصورة **(ولا بشيء قام)** من القيامات الأربعة القيام الصدوري كقيام المعلول بالعلة والأثر بالمؤثر والكلام بالمتكلم والشعاع بالمنير، والقيام الركني العضدي كقيام الصورة بالمادة وقيام الشيء بالمادة والصورة، والقيام الظهوري كقيام المادة بالصورة وظهور الشمس بالأرض والجدار، والقيام العروضي كقيام الأعراض بالجواهر كالألوان والهيئات بالأجسام وقد بسطنا القول في هذه القيامات في تفسيرنا على آية الكرسي وكتابنا اللوامع الحسينية فإن فيهما في هذا البحث أسرار عجيبة وغريبة لا تتحملها العقول والأفهام إلا بعناية خاصة من الملك العلام .

(ولا إلى شيء يقوم) أي يكون تقومه وتحققه منتهية إلى شيء من الأشياء كالذوات السيالة المتجددة التي إذا انتهت إلى غاية كمالها وحفظت الصورة في اضمحلالها استقلت ككون الإنسان ترابا ثم دخانا ثم سحابا ثم مطرا ثم ثمرا ثم كيلوسا ثم كيموسا ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم اكتسائه لحما ثم إنشائه خلقا آخر، فلما انتهت فطرته وخلقته إلى هذه الصورة والهيكل استقلت وقامت بالروح فلا يزال كذلك لا تفقد هذه الصورة والهيئة والروح إن كان من أهل الإيمان المستقر، ولا كذلك ربنا عزوجل لا تعتريه الأحوال.

(ولا إلى شيء استند) كيف وهو سبحانه سند من لا سند له وذخر من لا ذخر له واستناده تعالى بذاته لا بشيء سواه وإلا لم يكن وجوده عين ذاته لذاته بذاته وهذا خلف . واستناد الأشياء كلها بفعله تعالى إذ لا اقتران لها بذاته

جل وعلا لأنها هناك معدومة والعدم البحت لا يقترن بالوجود الصرف.

(ولا في شيء استكن) وهذا واضح.

ولما كانت هذه الأمور التي نفاها ﷺ عنه تعالى بعضها مما يثبت له تعالى بضرورة الإسلام والإيمان بل بضرورة العقل مثل كونه تعالى معلوما ومجهولا ومذكورا وخالقا وفاعلا والخالقية تستند إلى الفعل والخلق ولولاهما لم يتحقق الاسمان وكونه تعالى علة للأشياء والعلة من حيث هي تستدعي المعلول فصح التضايف والتساوق وكونه تعالى عالما وهو يستدعي المعلوم وكونه تعالى مريدا وهو لا يكون إلا والمراد معه وأمثالها مما يوصف هو تعالى به وذلك ينافي مانفاه ﷺ كليا، بقول مطلق أراد ﷺ أن يذهب هذه الواهمة ويبطل هذا الإيراد ويوضح هذا الإشكال بقوله ﷺ وذلك كله قبل الخلق أي ماذكرنا من الأمور المنفية (الممتنعة) من كونه تعالى ليس بمعلوم ولا مجهول ولا مذكور ولا منسي ولا محكم ولا متشابه وغير ذلك إنما هو قبل الخلق **(إذ لا شيء غيره)** حتى يكون باعتبار ذلك الغير معلوما أو مجهولا أو مذكورا أو يجعل له اسما يدعوه بذلك هو هو ولا سواه فإذا كان كذلك تنفى عنه تعالى جميع الصفات والأسماء التي فيها نسبة وارتباط واقتران، وأما وصفه تعالى بتلك الأوصاف وإثبات بعض تلك الأمور فإنما هو بعد الخلق ونسبته إليه تعالى فيكون معلوما عندهم بالآثار مجهولا بالذات مذكورا عندهم يذكرونه تعالى عند الطلبات ودواعي القابليات فحصول هذه الأسماء إنما هو عند الخلق ومع الخلق وأما قبل الخلق فلا اسم ولا ذكر ولا مذكور، ولما كان في هذا الجواب توهم تغييره تعالى بخلقه وتجدد الحالات له تعالى وقد قامت الضرورة على بطلانه وقال أمير المؤمنين ﷺ **(لم يسبق له حال حالا ليكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا)** أراد ﷺ رفع هذه الواهمة

فقال روحي له الفداء:

(وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم).

أي ما أوقعت عليه تعالى من الصفات والأسماء بقول مطلق فهي ليست ذاتية توصف الذات بها حتى يلزم التغيير وتجدد حال له و تفاوته قبل الخلق وبعد الخلق وإنما هي صفات وأسماء حدثت عند تعلق فعله تعالى بمفعولاته فهي حادثة منتهية إلى الفعل لا إلى الذات فهي صفات الأفعال لا صفات الذات ولكن الفعل لما كان مضمحلا وفانيا عند الذات لا ذكر له معها ينتقل الذهن عند ملاحظة هذه الصفات إلى الذات ولذا قالوا إن الذات غيبت الصفات وهذه الذات الملحوظة المدركة بتلك الأوصاف ليست هي كنه الذات وإنما هي مثالها الذي نسميه بالذات الظاهرة وهي الذات المعبرة في المشتقات وتمام الكلام في هذا المقام في شرح الخطبة الطتنجية فإذن لا يلزم التغيير والاختلاف المتوهم ولما كان الممكن كما قال مولانا الصادق عليه السلام **(كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)** فلا يصل أحد إلى كنه الذات وصرف الحقيقة أين التراب ورب الأرباب أتى عليه السلام بلفظ الكل أي كل الأسماء والصفات مما فيه اقتران وارتباط كما في صفات الإضافة والخلق أم لا كما في صفات القدس مما تدركه وتعرفه وتتلفظ به وتلاحظه وتتوجه إليه كل ذلك صفات محدثة أحدثها الله تعالى لك لتعرفه بها وهي المثال الذي ألقاه في هويتك كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ولذا قال عليه السلام **(وترجمة)** أي بيان وتعليم للخلق **(يفهم بها من يفهم)** التوحيد والمعرفة وساير العقايد قال تعالى ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾[1] وقال أيضا تعالى ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[2] ولذا قال عليه السلام في خطبته في التوحيد في مجلس المأمون **(أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم**

---

(١) سورة النحل ٩.

(٢) سورة القيامة ١٦ - ١٩.

(٣) بحار الأنوار ٤ / ٢٢٧.

وذاته حقيقة وكنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه)[3].

قال ﷺ **(واعلم أن الإبداع والمشية والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة وكان أول إبداعه وإراداته ومشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء ودليلا على كل مدرك وفاصلا لكل مشكل وبتلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق أو باطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى وعليها اجتمعت الأمور كلها ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها يتناهى ولا وجود لها لأنها مبدعة بالإبداع والنور في هذا الموضع أول فعل الله تعالى الذي هو نور السموات والأرض والحروف هو المفعول بذلك الفعل وهي الحروف التي عليها الكلام)**.

أقول: لما وصف الحق سبحانه بما هو عليه مما وصف نفسه لنا بنا ما هو عليه قبل الخلق وبعد الخلق وأحكام الصفات الارتباطية والإضافية وأحكام صفات القدس الغير المنوطة بالإضافة والارتباط وبيان كيفية إطلاق الصفات والأسماء عليه تعالى ومعرفة المراد منها وأن المخلوق لا ينتهي إلا إلى المخلوق وأن الشيء لا يقرأ إلا حروف نفسه، وذكر ما لا يجوز وصفه سبحانه عليه أبدا وما يجوز وصف فعله عليه حين الفعل وما لا يجوز عليه وغير ذلك من أحوال التوحيد كلها أراد ﷺ أن يبين لعمران حقيقة الجعل والمجعول فقال ﷺ إشارة إلى الأول **(واعلم أن الابداع والمشيئة والارادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة)** وذكر أيضا ﷺ ليونس بن عبدالرحمن على ما رواه في الكافي بالفرق بين المشيئة والإرادة فإنه ﷺ قال **(يا يونس تدري ما المشية قلت: لا، قال ﷺ هي الذكر الأول، أتدري ما الإرادة، قلت: لا قال ﷺ هي العزيمة على ما يشاء، قال: أتدري ما القدر، قلت: لا، قال ﷺ هو الهندسة ووضع**

---

(١) الكافي ١ / ١٥٧.

الحدود)[1] وصرح مولانا الصادق ﷺ بالفرق حين قوله (لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة فقد كفر) فيجب أن يكون المشية غير الإرادة حتى تعد قسما آخر وفي قول علي بن الحسين ﷺ في الصحيفة (فهي بمشيتك دون قولك مؤتمرة وبإرادتك دون نهيك منزجرة)[1] إشارة إلى الفرق حيث نسب القول والأمر إلى المشية ونسب النفي والنهي والانزجار إلى الإرادة، وفي كلام مولانا الكاظم ﷺ صراحة بالفرق بما لا مزيد عليه كما في الكافي عن معلى بن محمد قال: (سئل العالم ﷺ كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشية وبمشيته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضائه كان الإمضاء، والعلم متقدم على المشية والمشية ثانية والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه والمشية في المشاء قبل عينه والإرادة في المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عيانا ووقتا، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل وما دب ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وإنشاءها قبل إظهارها، وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء

---

(١) الصحيفة السجادية ٥٤

(١) الكافي ١ / ١٤٨.

أبان للناس أماكنها ودلهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم)[٢] هـ.

ففي هذا الحديث الشريف وأمثاله من الأحاديث تصريح بأن المشية غير الإرادة وأما مغايرة الإبداع للإرادة فلم نقف في أخبارهم وآثارهم ما يدل على ذلك فالوجه في الجمع بين هذه الأخبار وبين قوله عليه السلام على ما في هذا الحديث الشريف بعدم الفرق أنهما إذا اجتمعتا افترقتا وإذا افترقتا اجتمعتا فإذا قلت شاء وأراد فالفرق بينهما أن المشيئة هي مبدأ الكون والفعل المتعلق بالوجود أي المادة الأولية والهيلولى الأولى ولذا قال عليه السلام **(هي الذكر الأول)** إذ لا يصح أن يكون الشيء مذكورا في ذاته تعالى وإنما يكون مذكورا في رتبة الحدوث و لما كانت الحوادث كلها لا تخلو من المادة والصورة وتنتهي في جميع أحوالها إليهما والمادة لا شك أنها ذات وأصل والصورة عرض طار عليها فيكون وجود المادة من تمام قابلية الصورة للتمكين من التكوين فتكون المادة في التكوين مقدمة على الصورة للتمكين، ولما كان الفعل إنما كان عند المفعول وهو قول مولانا الصادق عليه السلام **(لا تكون الإرادة إلا و المراد معه)**[١] كان أول الذكر التكويني الحدوثي للأشياء الفعل المتعلق بالمادة التي هي الوجود الإجمالي الأمر الواحد المنبسط الساري في أطوار الحدود والتعلقات الجاري فيها جريان البحر في الأمواج فهو الماء الأول الذي كان العرش أي المشية عليه أي ظاهرا فيه ومستويا عليه فافهم.

ولما كانت المادة أي الوجود لا تحقق ولا تأصل لها إلا بالماهية التي هي الصورة لتحقق التركيب الذي هو رسم كل الحوادث الممكنات وتحقق الضدين الذي به يباين القديم عن المخلوقات فتكون الماهية علة ثبات

---

(١) في تفسير الثقلين قال عليه السلام (إن المريد لا يكون إلا والمراد معه).

الوجود وتحققه وظهوره الكوني فيكون الفعل المتعلق بالصورة عبارة عن العزيمة التي تؤكد ذلك الذكر الأول و تثبته وقد قال ﷺ **(إن العزيمة هي الإرادة)** ولما كان الإجمال مقدما في الوجود على التفصيل والوحدة على الكثرة والوجود على الماهية كانت المشية أصلا تحققت بها الإرادة ولما كان ما هو أقرب إلى المبدء الحق أشد تأصلا وثباتا وما هو أبعد أشد اضمحلالا ودثورا وفناء كان الوجود والأمر والإثبات والقول منسوبة إلى المشية، والنهي والعدم والنفي والماهية منسوبة إلى الإرادة، ولما كان بهما تحقق الشيء لا يكفي أحدهما في إيجاد الشيء وتكوينه جعل لهما اسما ظاهرا واحدا وهو كلمة كن فالكاف لاستدارتها التامة ولكونها تمام الواحد الظاهر فيه الأحد اسم للمشية والنون لنقصان الاستدارة ولكونها تمام العشرة الظاهرة فيها مراتب التوحيد في عالم الكثرة والاختلاف اسم للإرادة وهما أصلان يدور عليهما الأكوان والأعيان ولكن لما كان بينهما كمال الاتصال بحيث لا يقوم أحدهما بدون الآخر ولا يتم الشيء إلا بهما بل هما اسمان لفعل واحد باعتبار متعلقين فإن الفعل باعتبار تعلقه بالوجود سمي مشية وباعتبار تعلقه بالماهية سمي إرادة والفعل واحد في المقامين والتعدد في التعلق صار أحدهما يطلق على الآخر عند الوحدة والافتراق فإذا قلت المشية وأطلقت صح إرادة الإرادة منها و إذا قلت الإرادة وأطلقت صح إرادة المشية منها والدليل على صحة الإطلاق هذا الحديث الشريف والأخبار الكثيرة الواردة لحدوث الإرادة فإنه في كثير منها لفظ الإرادة وحدها وفي الأخرى المشية وحدها مع أن المقصود هما معا كما في التوحيد عن مولانا الرضا ﷺ **(إن المشية والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل شائيا مريدا فليس بموحد)**[1] هـ، فصح

(١) بحار الأنوار ٥٤ / ٣٧..

الأمر كما ذكرنا بما ذكرنا لما ذكرنا.

وكذلك الحكم في الخالق الباريء المصور فإن هذه الأسماء الثلاثة إذا ذكرت متفرقة جازت إرادة كل واحد منها من الآخر فيكون أسماء ثلاثة لها معنى واحد، وأما إذا ذكرت مجتمعة فالخالق هو الفاعل بالمشية والبارئ هو الفاعل بالإرادة والمصور هو الفاعل بالتقدير، وكذلك الخالق والفاعل إذا اجتمعا افترقا فصح إطلاق كل منهما على الآخر، وأما إذا اجتمعا افترقا فالخالق هو محدث المادة والفاعل هو محدث المادة والصورة معا، ولذا يقال أن الله خالق الخير والشر كما في الحديث القدسي المذكور في الكافي وفي قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] الشامل بعمومه للكل ولا يقال أن الله تعالى فاعل الشر أو فاعل القبيح سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، وكذلك الحكم في الخالق والجاعل إذا افترقا كان لهما معنى واحدا و إذا اجتمعا كان الخالق بمعنى محدث المادة والجاعل بمعنى محدث الصفات واللوازم والهيئات والصور وملزم الصورة للمادة والجامع بين اللوازم وملزوماتها وهو قوله تعالى **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾**[2] وبمعنى المقلب والمصيّر كما في قولك جعلت الطين خزفا، وكذلك الحكم في الاسم والصفة فإذا افترقا أطلق كل منهما على الآخر ولما سئل مولانا الرضا عليه السلام عن الاسم قال عليه السلام **(الاسم صفة لموصوف)**[3] و إذا اجتمعا افترقا فالصفة هي صرف ظهور الموصوف ومشاهدته من غير التفات إلى جهة مخصوصة وهو قوله عليه السلام **(صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)** فالصفة هي الدليل والكاشف، وأما الاسم فهو ظهور المسمى في محل خاص كالقائم

(١) سورة الرعد ١٦.

(٢) سورة الأنعام ١.

(٣) شرح أصول الكافي ٣ / ٧١.

اسم للظاهر بالقيام والقاعد اسم للظاهر بالقعود فإذا أطلقت هذه الأسماء وتوجهت إلى صرف الذات ولم تلتفت إلى جهة من الخصوصيات فهي الصفة، فإذا لاحظت الظهور في تلك المحال والأماكن فهي اسم، وأما إطلاقهم الصفة على نفس المصادر التي هي المباديء للأسماء المشتقة والاسم على نفس تلك الأسماء والمشتقات فجهل بالواقع وحقيقة الأمر، فإن الصفة إذا أطلقت على تلك المباديء لا يريدون من هذا الإطلاق إلا جهة ظهور المؤثر الفاعل في تلك المباديء لا من حيث نفسها فإنها من حيث نفسها حجاب لاصفة فملاحظتها من تلك الجهة هو المشتق وهو الذي ذكرنا لك آنفا فافهم فإن هذا المقام ليس موضع استقصاء هذا المرام.

وأما الإبداع والاختراع فقالوا أنهما أيضا كذلك فإذا افترقا كان كل منهما يطلق على الآخر، و إذا اجتمعا فالاختراع هو الخلق لا من شيء أي لا من مادة أي إحداث المادة بنفسها، والابتداع هو الخلق والإيجاد لا لشيء أي لا لغاية ولا على احتذاء مثال أي خلق الصورة الأولى التي نسميها القابلية الأولى بلا صورة قبلها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **(ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب)**[1] وقال سيد الساجدين في الصحيفه **(وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء)**[2] فإذا كان متعلق الابتداع الصورة فيكون متعلق الاختراع المادة فيكون الاختراع قبل الابتداع والنسبة كالنسبة بين المشية والإرادة فبالاختراع كان الابتداع ومما يؤيد ما ذكرنا ويشيده ما في كلام سيد الساجدين في الصحيفة في دعاء عرفة **(أنت الذي ابتدء واخترع واستحدث وابتدع وأحسن صنع ما صنع)**[3] فجعل الاختراع عند الابتداء فهو الذكر الأول

(١) الكافي ١ / ١٣٤.
(٢) الصحيفة السجادية ٢١٠.
(٣) الصحيفة السجادية ٢١٠.

وظهور الحدوث والافتقار و الكثرة لمّا كان في الصورة والماهية نسب إظهار الحدوث والمكونات إلى الابتداع وذلك ما كنا نبغ فتم الصنع على أحسن النظام بهما أي بالاختراع والابتداع ولذا أردفهما عليه السلام بقوله **(وأحسن صنع ما صنع)** فالاختراع هو إحداث المادة والإبداع هو إحداث الصورة وقولي إحداث المادة والصورة مسامحة في التعبير وإلا فالاختراع هو الفعل المتعلق بالمادة والمحدث لها والإبداع هو الفعل المتعلق بالصورة والإحداث هو المصدر الحاصل من الفعل فافهم.

ثم إنه عليه السلام إنما قارن الإبداع بالمشية والإرادة وجعله معهما على معنى واحد لنكتة وهي إثبات وتوضيح حدوث المشية والإرادة من كلامه عليه السلام بما لا يخفى على أحد فإن الإبداع هو الإحداث لا من شيء اتفاقا، ولا أحد من العلماء بل ومن العقلاء قال بقدم الإبداع، فإذا كان الإبداع المتفق على حدوثها هو بمعنى الإرادة و المشية فكيف يتصور مع ذلك قدمهما، ولذا فسر عليه السلام الإرادة في موضع آخر على ما فى الكافى بالإحداث وقال عليه السلام **(وأما إرادة الله فإحداثه لاغير لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون)** الحديث.

قوله عليه السلام **(وكان أول إبداعه وارادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء)**.

اعلم أن الحروف على ما هو المعروف عند الناس كما حملوا عليه الحروف المذكورة في هذا المقام أربعة أقسام.

أحدها الحروف الرقمية ويسمونها بالنقشية وهي أمور حصلت من انبساط الألف اللينية بأطوار الحدود والقيود من أنحاء الاعوجاجات والاستقامة كما قالوا أن الاختراع اختراعان والإبداع إبداعان، الاختراع الأول المشية والثاني الألف من الحروف، والإبداع الأول الإرادة والإبداع الثاني الباء من

الحروف وقالوا معنى كون الألف اختراعا أنها نزلت بتكررها فكانت عنها الباء، والأصل في الألف أنها لا حركة لها فلما تنزلت بالحركة حدثت عنها الألف القائمة المتحركة التي طولها ألف ألف ذراع كما كانت الألف اللينية قبل تنزلها بالحركة طولها ألف ألف قامة ثم مالت الألف المتحركة على الباء فحدثت من ميلها الجيم، والباء نزلت بتكررها فكانت عنها الدال ومالت على الدال فحدثت الهاء وهكذا ساير الحروف إنما حصلت ووجدت من هذين الأصلين الذين هما الألف والباء.

وثانيها الحروف اللفظية فهي أمور حصلت من الهواء المأخوذ إلى الجوف المتحصص في مبدء الفم الذي هو الحلق إلى منتهاه الذي هو الشفة بالضغط والقرع والقلع والقمع فتحصل صور وأشكال محفوظة قائمة بالهواء يؤلف منها ما أراد اللافظ ويركبها بمناسبة المعنى الذي يريد أن يظهره بها فإذا ألفها وركبها كانت الهيئة المجموعة المؤلفة مرآة قابلت وجه قلب المتكلم وأشرق ذلك المعنى الموجود في القلب على تلك المرآة وانطبعت المرآة وانطبعت صورته في الحس المشترك ومنه إلى الخيال ومنه إلى النفس ومنه بانتزاع الصورة الشخصية إلى العقل فما في اللفظ من المعنى شبح للمعنى الأصلي وما في قلب المخاطِب من مفهوم اللفظ شبح الشبح وسيأتي لهذا الكلام زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

وثالثها الحروف العددية وهي تطلق على قوى الحروف من الأعداد التي هي لها بمنزلة الأرواح ومنها تستخرج الروحانيات والملائكة العلويات والخدام السفليات ويعمل بها أنحاء التصرفات، وتطلق أيضا على حروف القوى والأعداد مثلا الميم أربعون ويؤخذ حروفه وهي هكذا ا ر ب ع و ن ثم يؤخذ حروف قواه هكذا و اح د م ات ي ن ا ث ن ي ن س ب ع ي ن س

ت هـ خ م س ي ن وعلى هذا القياس ساير حروف القوى من حروف الثلث والربع والخمس إلى آخر الكسور التسعة.

ورابعها الحروف الفكرية وهي صور الحروف المتنزلة من عالم الغيب إلى المعاني العقلية وتسمى بالحروف العقلية والجبروتية، والمتنزلة منها إلى الرقايق الروحية ومنها إلى الصور الشخصية النفسية المجردة ومنها إلى الصور الشبحية المثالية البرزخية، وتطلق أيضا على معاني الألفاظ والحروف المتنزلة من تلك المراتب إلى عالم الشهود و الأجسام، وإطلاقات الحروف على ما هو المعروف عند علماء الفن وغيرهم لا تخلو من هذه الأربعة، وكل هذه الأربعة متأخرة عن خلق الذوات وحقايق الموجودات المتأخرة عن الاختراع والابتداع، لأن هذه الحروف في الحقيقة أمثال وصفات وحكايات للذوات وقوالب لظهورها بآثارها، فكيف تكون أصلا وأول مخترع كما صرح به الإمام ﷺ وذكر أنها أصل لكل شيء وعليها اجتمعت الأمور كلها ؟.

الجواب أن مراده ﷺ من الحروف هي الحروف الكونية والذوات المتأصلة الحقيقية وإنما عبر عنها بالحروف لأنه ﷺ أراد أن يجعل هذا الكلام مقدمة لجواب عمران عن السؤال عن الله تعالى هل يوحد بحقيقة أم يوحد بوصف فإنه ﷺ يريد أن يبين له أنه تعالى يوحد بالوصف الذي وصف به نفسه وبين لخلقه، والبيان لما كان بأداء الكلمات وهي إنما تكون بتأليف الحروف وهو سبحانه تجلى للأشياء بها ووصف نفسه لها بها فكان هو سبحانه وتعالى بمشيته وإرادته واختراعه المتكلم والخلق هي الكلمات وأجزاء الخلق هي الحروف ولا شك أن الأجزاء أصل للهيئة التأليفية التركيبية و قد نطق الله سبحانه في كتابه العزيز بذلك حيث قال ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

---

(١) سورة آل عمران ٤٥.

(٢) سورة البقرة ٣٧.

مَرْيَمَ﴾[1] وقال عز وجل ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2] والكلمات هم آل محمد صلى الله عليه وعليهم، وقال عز وجل ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[1] وقال عز وجل ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] قال عليه السلام **(نحن الكلمات التي لا يستقصى فضلنا و لا يستحصى)** وقال عزوجل ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾[3] أي الإمام عليه السلام وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال **(إن الله تبارك وتعالى تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق من ذلك النور محمدا وعليا وعترته ثم تكلم بكلمة فصارت روحا وأسكنه في ذلك النور وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلمته احتجب بنا عن خلقه فما زلنا في ظل العرش خضراء مسبحين نسبحه ونقدسه حيث لا شمس ولا قمر ولا عين تطرف ثم خلق شيعتنا وإنما سموا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع نورنا)**[4] هـ فافهم.

وإطلاق الكلمة على الذوات مما لا يستريبه عاقل متتبع في الأخبار والآثار وكلمات العلماء الأبرار.

فقوله عليه السلام **(وكان أول إبداعه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء)** وهي ثمانية وعشرون حرفا من الحروف الظاهرة الكونية وتسعة وعشرون بملاحظة ظهور الأصل الواحد في صيغ التصاريف وثلاثة وثلاثون بملاحظة تفاصيل الكلمة التي هي الأصل الواحد كما سيأتي إن شاء الله بيانها مشروحا ولكنا نجري الكلام في هذا المقام على الثمانية والعشرين التي نزلت عليها الكلام الكريم ولها وجوه كثيرة نقتصر على وجهين منها.

أحدهما أن الثمانية والعشرين جميعها على قسمين.

---

(١) سورة البقرة ١٢٤.
(٢) سورة لقمان٢٧.
(٣) سورة القصص ٥١.
(٤) بحار الأنوار ١٥ / ١.

أحدهما الحروف النورانية وهي أربعة عشر مظاهر يد الله ووجه الله واسمي الجواد والوهاب وهي هياكل التوحيد الأربعة عشر والذوات الطيبة التي عليها كل أمر مستقر والشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وثانيهما الحروف الظلمانية وهي الذوات الخبيثة الملعونة المسخوطة المنقوشة على صخرة سجين أسفل السافلين.

فمن القسم الأول تفيض الخيرات وتنفجر الحسنات وتظهر الخيرات، ومن القسم الثاني تنبعث الشرور والطغيان وتتراكم ظلمة العدوان وتتكثر جنود الشيطان، وبهما كان الطتنجان خليجان أحدهما ماء عذب فرات سائغ شرابه والآخر ماء أجاج، فهذه الحروف بدرجتيه في عليين وسجين أصل لكل شيء، لأن كل شيء خلق من قبضة من النور الذي هو من شعاع الحروف النورانية ومن قبضة من الظلمة التي هي فاضل ظلمة الحروف الظلمانية وخلق الأشياء بجميع أحوالها وأطوارها وأكوارها وأدوارها وأوطارها وجميع مالها ومنها وبها وعليها وعنها ولديها وفيها وعندها كلها من هذه الحروف تحققت وبها تأصلت وعنها نشأت وإليها عادت وعليها دلت، وهي دليل على كل مدرك بكسر الراء وفتحها، أما الأول فلأن القوى المدركة إما نورانية نزلت من عليين وإما ظلمانية صعدت من سجين على اختلاف مراتبها من النورانية والظلمانية في الصفاء والكدورة والبساطة والتركيب وغير ذلك كل هذه المراتب من هذه الحروف حصلت وهي دليلة عليها، فالحروف النورانية دليلة على جميع القوى النورانية من قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ والحروف الظلمانية بالعكس حرفا بحرف.

---

(١) سورة الفرقان ٤٥.

(وفاصلا لكل مشكل) لأن الإشكال إنما يقع عند الجهل بعلل الشيء وجهاته ومباديه وأسبابه فإذا كانت المباديء هي هذه الحروف الثمانية والعشرون فمن أحاط بها وعرفها ووقف عندها وجعل نسبة كل حرف في موقعها ارتفع عنده الإشكال وظهر الأمر ووضح.

(وبتلك الحروف تفريق كل اسم حق أو باطل أو فعل أو مفعول) فبالحروف النورانية التي هي مبدأ للأسماء الإلهية الطيبة وأسماء الأفعال من حيث تعلقها إلى النور والخير المعبر عنها باليد اليمنى وأسماء المفعولين من حيث أنفسهم من حيث نظرهم إلى باريهم، والحروف الظلمانية التي هي مبدأ للأسماء السوأى الخبيثة، وأسماء الأفعال من حيث تعلقها إلى الشرور والمعاصي والظلمات المعبر عنها بيد الشمال وإن كان كلتا يديه يمين، وأسماء المفعولين من حيث أنفسهم الباطلة وذواتهم الخبيثة تفريق كل اسم حق وباطل...إلخ.

ثم أجمل ﷺ الكلام وجمع الكل وقال روحي فداه **(وعليها اجتمعت الأمور كلها)** لأن الله عزوجل يقول ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾[1] وأصلها الخزانتان اللتان هما الحروف النورانية والظلمانية وكل شيء مركب من هذين الأصلين فافهم ولاتكثر المقال فإن العلم نقطة كثرها الجهال.

وثانيهما أن الثمانية والعشرين هي الحروف الكونية التي عليها مدار الشيء في القوسين الصعودية والنزولية وهي ثمانية وعشرون حرفا لثمانية وعشرين مرتبة.

الحرف الأول الألف وهي اسم للعقل والثاني الباء وهي اسم للنفس والثالث الجيم وهي حرف للطبيعة والرابع الدال وهي حرف للمادة الكلية والخامس الهاء وهي حرف المثال وشكل الكل والسادس الواو وهي حرف جسم الكل والسابع الزاي وهي حرف العرش والثامن الحاء وهي حرف

---

(١) سورة الحجر ٢١.

الكرسي والتاسع التاء وهي حرف فلك البروج والعاشر الياء وهي حرف فلك المنازل والحادي عشر الكاف وهي حرف فلك زحل والثاني عشر اللام وهي حرف فلك المشتري والثالث عشر الميم وهي حرف فلك المريخ والرابع عشر النون وهي حرف فلك الشمس والخامس عشر السين وهي حرف فلك الزهرة والسادس عشر العين وهي حرف فلك عطارد والسابع عشر الفاء وهي حرف فلك القمر والثامن عشر الصاد وهي حرف كرة النار والتاسع عشر القاف وهي حرف كرة الهواء والعشرون الراء وهي حرف كرة الماء والحادي والعشرون الشين وهي حرف كرة التراب والثاني والعشرون التاء وهي حرف الجماد والمعدن والثالث والعشرون الثاء وهي حرف النبات والرابع والعشرون الخاء وهي حرف الحيوان والخامس والعشرون الذال وهي حرف الملائكة والسادس والعشرون الضاد وهي حرف الجن والسابع والعشرون الظاء وهي حرف الإنسان والثامن والعشرون الغين وهي حرف الجامع الكلي عليه السلام.

وهذه الحروف هي أصول الموجودات وعليها اجتمعت الأمور كلها لأن جميع ذرات الكاينات مما هو في الوجود المقيد كلها لا تخلو من هذه الحروف إلا أن تركيب بعضها من بعضها أظهر وإلا فكل شيء فيه هذه الحروف كالإنسان فإنه مركب من القوى الأربع التي هي الصفراء والدم والبلغم والسوداء مع أنك تقول في بعض الأمزجة أنها صفراوية أو دموية أو بلغمية وهكذا وذلك لغلبة ظهور تلك القوة و خفاء القوى الأخر لا عدمها بالمرة، وكذلك إذا رأيت في بعض الموجودات لا ذكر لبعض هذه الحروف فيها وذلك واضح ظاهر إن شاء الله، فهذه الحروف هي الأصل لكل شيء والدليل على كل شيء لأن الأشياء تعرف بحدودها ومباديها وأسبابها وهي هذه الأحرف و بها تفريق كل اسم حق أو باطل...إلخ لأن الإدراك والعقل والتميز بها يحصل فيحصل الفرق بين الأمور التي ذكرها عليه السلام.

ثم لما كان الفعل هي الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وهذه الكلمة تتحقق بنقطة وألف وحروف وتأليف كانت الحروف إشارة إلى حروف الكلمة الإيجادية وهي المرتبة الثالثة منها والمشية إشارة إلى النقطة منها والإرادة إلى الألف ولما كانت النقطة والألف لا ظهور لهما إلا بالحروف جعلها أولا ويحتمل أن تكون الحروف إشارة إلى المرتبة الثالثة من مراتب الفعل عند التعلق بالمفعول فإن أول مراتبه عند التعلق هو المشية بمعنى الذكر الأول وثانيها الإرادة وهي العزيمة وثالثها القدر وهي الهندسة والحدود والأوضاع، والكلمة مجموع عالم الوجود المقيد فنقطتها هي الكون والوجود مبدء هذا العالم وألفها هي الماهية والصورة متعلق الإرادة وألفها هو القدر وهو الحدود والأوضاع والأشخاص والقرانات والعلل والأسباب والمبادئ وكل ما في الوجود المقيد منشؤه وأصله ودليله هذا المقام ويحتمل أن تكون الحروف إشارة إلى الحروف العاليات حروف الاسم الأعظم وهي أربعة في الدال وسبعة في الحمد وستة فيه بالتنزيل واثني عشر فيه بالضرب وأربعة عشر فيه بالجمع والتثنية وثمانية وعشرون في الدنيا و الآخرة وتسعة وعشرون فيهما والبرزخ وثلاثة وثلاثون عند السير في ميادين التوحيد في رتبتي الإجمال والتفصيل وهذه الحروف هي أول ما خلقه الله تعالى بالإبداع والمشية والإرادة وجعلها أصلا لكل شيء ودليلا على كل مدرك وفاصلا لكل مشكل ولذا قال إنه حلال المشاكل وبها تفريق كل اسم حق أو باطل لأنه فصل الخطاب وفي الزيارة **(وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم)**[1] فإذن اجتمعت الأمور كلها عليها وذلك واضح ظاهر.

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

ولما كان لكل حقيقة غيبية مظهر في عالم الحس والشهود صارت الحروف اللفظية والرقمية صفة حاكية لها في هذا العالم والحروف الفكرية والعددية حاكية لها وواصفة إياها حيث أن الأثر على هيئة مؤثره ويشابه صفة فعله فجرت الحروف اللفظية حاملة لظهورات آثار الحروف المعنوية الباطنية فحكت مثالها وظهرت على عددها وصفتها وهيئتها ودلالتها وترتبت عليها آثارها ولما كان كل شيء من حيث هو هو مع قطع النظر عن جميع الإضافات والقرانات والروابط و العلل والأسباب والمباديء والأحوال والأفعال والأطوار والأوطار والأكوار والأدوار وساير مقتضياتها لا يحكم عليه ولا به لأنه مجرد عن جميع النسب فأين الحكم والحمل وإنما النسب والإضافات والأحكام لأنحاء الروابط الغيرية قال عليه السلام كما هو الواقع (**ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها يتناهى**) في الجعل الأول إذ ليس لها معنى إلا نفسها وهي النفس التي من عرفها عرف ربه والمراد بالنفس هي الشيء من حيث هو هو لا بملاحظة الأمر المضاف أو المنسوب إليه ولذا قالوا أن اجتماع النقيضين وارتفاعهما في المرتبة يجوز ويريدون مرتبة الشيء من حيث نفسه مع قطع النظر عن النسب الخارجية من كونه مركبا أو بسيطا أو عاليا أو سافلا وجميع الأحوال التي تصير مناطا للحمل والحكم المستلزمين للنسبة والصفة وكذلك الحروف اللفظية من حيث نفسها لا تدل إلا على نفسها أما الدلالة على الأمور الغير المتناهية لا تكون إلا بالتركيب والتأليف والبسط والمزج وغير ذلك من الأحوال كما سيأتي بعض بيانه إن شاء الله تعالى فيكون حاصل معنى الكلام أنه تعالى لم يجعل إبداع الحروف لمعنى معين متناه غير أنفسها بل إنما معانيها المتناهية هي أنفسها لا غير وأما ما يعني بتراكيبها فهي غير متناهية وهي في الحقيقة معاني تراكيبها لا معاني أنفسها البسيطة، ثم إنه

عليه السلام أراد أن يبين أن الحقائق الكونية والذوات المتأصلة وإن كانت تتراءى في بادي النظر أنها أمور متحققة ساكنة ثابتة إلا أنها دائمة الحركة سريعة الذوبان والفناء بل لا بقاء لها إلا حين وجودها وقت وجودها كما قال عز وجل ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[1] قال عليه السلام **(ولا وجود لها لأنها مبدعة بالابداع)** أي لا بقاء لها ولا تحقق بل لا وجود لها إلا حين صدورها عن الفعل ولذا ترى أنك إذا سكت عن الكلام بطل واضمحل وإذا أردت أن تبقيه وتثبته لابد من أن تكرر الفعل والإبداع، ولذا شرط أهل النحو في الفعل الزمان والتجدد، ولما كانت الأشياء إنما كانت شيئا بالمشية فإذا كانت المشية متجددة غير قارة ولا ثابتة بالنسبة إلى مبدئها وباريها كذلك الأشياء التي هي الحروف للكلمة الأولى التي تكلم الله بها بالمشية فلا وجود للحروف قارة في زمان بل وجودها وعدمها ومجيؤها وذهابها مقترنان ممتزجان كالحركة والزمان لوجوب التشابه بين العلة والمعلول وقد دل الشرع كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام **(علة ما صنع فعله وهو لا علة له)** ودل العقل المسدد بالشرع أن المشية هي الإبداع وهي العلة بالله لفعل الأشياء وهي متجددة سريعة الفناء والزوال ولذا قال حاملها ومحلها وسرها صلى الله عليه وآله وسلم **(الفقر فخري وبه أفتخر)**[2] كانت المعلولات المصنوعات التي أولها الحروف كذلك فلذا ظهرت الحروف اللفظية على طبق الحروف الكونية وصارت بحيث لا بقاء لها ولا وجود إلا حين صدورها من اللافظ المتكلم.

واعلم أن هذا المقام وإن كان مقام إثبات الحركة الجوهرية وأن الحوادث في بقائها واستمرارها تحتاج إلى العلة كما تحتاج إليها في وجودها وتكونها وذكر

---

(١) سورة الحجر ٢١.

(٢) عدة الداعي ١١٣.

النقوض الواردة ورفعها وبيان أنه لا ينافي عينية الحشر والنشر واستحقاق الثواب والعقاب ولكني تركت ذكرها خوفا للتطويل وصونا من أصحاب القال والقيل ولما في قلبي من الكسل والملل عافانا الله وإياكم من العيب والزلل.

ثم أراد ﷺ تمثيلا لهذه الحقيقة الدقيقة واللطيفة الغامضة بأن الأشياء والذوات لا تأصل لها إلا حين صدورها ولا بقاء لها أكثر من ذلك إلا بعون ومدد جديد فأشار ﷺ بما مثل الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1] الآية ولا ريب أن الأشعة متقومة بالشعلة المرئية التي هي السراج الوهاج وهو على ما وصف الله سبحانه مركب من نار ومن دهن فما دام الدهن والنار موجودتان في السراج فالإضاءة موجودة والأشعة ثابتة فإذا عدما عدم السراج فعدمت الأشعة والدهن والنار المتعلقة به بإتيانه تدريجا لا دفعة فالسراج بتجدد الدهن والنار لم يزل طريا لا بقاء له إلا حين وجوده فالأشعة كذلك لأنها متحققة بالسراج ومعلولة له فإذا جرى التصرم والتقضي والتجدد في العلة ففي المعلول بالطريق الأولى ثم أراد ﷺ تطبيق المثال بالممثل بألطف الإشارة فقال روحي فداه (**والنور في هذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السموات والأرض والحروف هو المفعول بذلك الفعل وهي الحروف التي عليها الكلام**) والنور أي السراج في هذا المقام من الاستدلال وإلا ففي المقام الآخر إشارة إلى أمور أخر يطول الكلام بذكرها والسراج هو المركب من الدهن والنار المتجددين وهو الإشارة إلى الفعل والمشية فإذا جرى التجدد في المشية والفعل ففي المشاء والمفعول بالطريق الأولى فالفعل هو نور السموات والأرض

---

(١) سورة النور ٥٣.

والمفعول هو السموات والأرض اللذان هما الحروف الكونية المعنوية وهي التي عليها الكلام الإلهي فقوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾ إشارة إلى الاسم المكرم الحادث عند الفعل بالفعل لا غير وهو منور السموات والأرض أي الهادي لهما بالهداية الوجودية والتكوينية الظاهرة بالهداية التشريعية في الوجود الشرعي والشرع الوجودي هذا إذا جعلت المصدر بمعنى الاسم الفاعل أما إذا جعلته بمعناه فتكون الإشارة إلى العلة المادية فيكون الاسم المكرم الذي هو نور السموات والأرض تأكيدا وصفة للاسم الذي هو منور السموات والأرض كقولك ضربت ضربا في قوة قولك ضربت ضربت فالصورة واحدة والمعنى كما قال الحجة عليه السلام في دعاء رجب **(لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك و خلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك)**[1] الدعاء فافهم

أخاف عليك من غيري ومني ومنك ومن زمانك والمكان
فلو أني جعلتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

ولما كانت الحروف اللفظية على طبق الحروف الكونية عطف عليه السلام القول إليها وقال **(وهي الحروف التي عليها الكلام)** أي الحروف التي لا وجود لها إلا حين صدورها هي الحروف التي عليها الكلام والسموات حينئذ الألف اللينية والألف القائمة المتحركة والأرض الباء التي هي الألف المبسوطة والنور في هذا الموضع هو النقطة الجوهرية الغيبية الظاهرة في النقطة التي هي مبدأ الألف التي هي مبدأ الباء فالنقطة الأولى هي النفس الرحماني الأولي والثانية هي الثانوي وهي النقطة التي تحت الباء أي لبها وسرها وغيبها وهي الألف القائمة والنقطة التي سرها وغيبها وتحتها هي الألف اللينية والتي سر الألف اللينية وغيبها وتحتها هي النقطة الثانية المعبر عنها بالنفس الرحماني الثانوي وهي الأولى في المقام الثاني وسرها وغيبها وتحتها النقطة

---

(١) مصباح المتهجد ٣٠٨.

الأولى التي هي نور السموات والأرض وإلى الجميع الإشارة بقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (**وأنا النقطة تحت الباء**)[1] فافهم ولا تكثر المقال فإن العلم نقطة كثرها الجهال

قال عليه السلام (**والعبارات كلها من الله عز وجل علمها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حرفا فمنها ثمانية وعشرون حرفا تدل على لغات العربية ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون تدل على لغات العبرانية والسريانية ومنها خمسة أحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلها وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفا من اللغات فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفا فأما الخمسة المختلفة فتخجج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرنا**).

قوله عليه السلام (**والعبارات كلها من الله عزوجل علمها خلقه**) فيه دلالة صريحة على أن الواضع للألفاظ كلها هو الله سبحانه حيث أتى عليه السلام بالجمع المحلى باللام المفيد للعموم وأتى بلفظ العبارات لبيان أن المراد ليس نفس الحروف وإنما هي العبارات المؤلفة منها المعبر بها عن المقصود فإذن لا فرق بين لفظ ولفظ بل الحكم لكل الألفاظ من الحقايق والمجازات والمنقولات و المرتجلات والأعلام الشخصية كلها على النهج الذي شرحنا و فصلنا في مباحثاتنا في علم الأصول وأصل هذه العبارات كلها ثلاثة وثلاثون حرفا واعلم أن الروايات في عدد الحروف التي هي الأصل في العبارات مختلفة ففي بعضها أنها ثمانية وعشرون كما في جدول أمير المؤمنين عليه السلام وجدول إدريس على محمد وآله وعليه السلام في ترتيب طبايع الحروف وهذا العدد هو المشهور المعروف عند أهل الشرع والعرف والفن وكل أعمالهم ينطبق على هذا وفي بعضها كما عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله أنها تسعه وعشرون بعدِّ لا حرفا واحدا وفي بعضها

---

(١) نور البراهين ٢ / ٤.

كما في هذا الحديث الشريف أنها ثلاثة وثلاثون والذي لم يقف على حد الواقع يراها مختلفة ويحكم عليها بأحكام متضادة وأما في الواقع فليس فيها اختلاف أصلا.

أماالثمانية والعشرون فهي الأصل في الحروف الوجودية المتحققة التي يترتب عليها الأحكام المختلفة المتشخصة فهي بإزاء الوجودات المقيدة صعودا ونزولا كما أومأنا إليه وإنما كانت ثمانية وعشرين لوجوه كثيرة نقتصر على بعض منها وهو أن الأصل في الموجودات والعلة في إحداثها وإبرازها ظهور الاسم الأعظم الظاهر في الأركان الأربعة التي هي حدود بسم الله الرحمن الرحيم كما قال مولانا موسى بن جعفر عليه السلام **(إن الاسم الأعظم أربعة أحرف الحرف الأول لا إله إلا الله والحرف الثاني محمد رسول الله W والحرف الثالث نحن والحرف الرابع شيعتنا)** ولما كانت الأشياء بنيت على الكمال وحد الكمال في الأعداد سبعة لجمعها المبدئين الذين إليهما انتهت الكمالات العددية وهما مبدأ الفرد أي الثلاثة ومبدأ الزوج إي الأربعة فكانت مراتب الأشياء وسبعة ولكل من هذه الأربعة يجب أن يكون ظهور في كل من هذه السبعة فكان تمام الوجود كماله بثمانية وعشرين مرتبة وكل مرتبة حرف من حروف الكلمة التامة الكونية الوجودية التي تعلق بها الكلمة التامة الفعلية والحروف اللفظية صفة للحروف الكونية المعنوية فوجب أن تطابقها ولا تخالفها وهذا الوجه هو أعلى الوجوه.

والوجه الآخر هو أن الأصل في الموجودات كلها الطبايع الأربع كما سبق القول فيه مجملا وفصلنا القول في أجوبة المسائل التي فيها إثبات النبوة الخاصة والولاية الخاصة بدليل العقل ولما أن الله سبحانه خلق السموات والأرض على المعنى الأعم في ستة أيام وأكملها في اليوم السابع وأوجد في

كل يوم مرتبة من المراتب الكونية الوجودية و هذه المراتب مختلفة في العلو والسفل بحسب القرب والبعد لبطلان حكم الطفرة ظهرت هذه الطبائع في هذه المراتب على حسبها في الشدة والضعف فصارت لكل طبيعة سبع طبقات في قوتها وضعفها فكان تمام الأمرفي ثمانية وعشرين والحروف اللفظية ظهرت على طبقها ولذا قسمت الحروف على أربعة أقسام نارية وهوائية ومائية وترابية وقسم كل قسم على سبعة أقسام فسبعة نارية مترتبة في القوة والضعف فالأولى اسمها المرتبة والثانية الدرجة والثالثة الدقيقة والرابعة الثانية والخامسة الثالثة والسادسة الرابعة والسابعة الخامسة إليها انتهت مراتب القوة والضعف في النارية فاللأولى الألف وللثانية الهاء وللثالثة الطاء وللرابعه الميم وللخامسة الفاء وللسادسة الشين وللسابعة الذال في النارية وسبعة هوائية وهي ب و ي ن ص ت ض وسبعة مائية وهي ج ز ك س ق ث ظ وسبعة ترابية وهي د ح ل ع ر خ غ والترتيب كما في النارية وذلك على أحد الأقوال في ترتيب طبايع الحروف وفيه أقوال كثيرة مختلفة ويجمعها كلام واحد لا يسعني الآن ذكر الأقوال ورسم الجداول والاختلافات وتحقيق القول الجامع وهذه الثمانية والعشرون هي الحروف المحدودة المقيدة المقترنة بالمادة والصورة المتولدة من أب واحد وهو المادة و أمهات كثيرة وهي الصورة الشخصية وكل حرف لها أم غير الآخر والأب في الكل واحد فإذا لوحظت الأولاد فهي ثمانية وعشرون كما سمعت .

و إذا لوحظ الأب معها كانت تسعة وعشرون فإن المادة التي هي الألف اللينية هي الأصل في الحروف وكل هذه الحروف إنما حصلت بظهورها في الصور الكثيرة فلما ظهرت بالاستقامه كانت الهمزة ولما ظهرت بالانبساط كانت الباء وهكذا فالألف هي المادة في الحروف كلها و إذا جمعت بين الأصل

والفروع والوالد والأولاد فيكون ما ذكرنا فوجب أن تذكر مع اللام لأنها الحامله لظهوراتها والحاوية لآثارها فلا تظهر إلا باللام فاللام حاملة حافظة والألف هي الظاهرة بالسكون واللين وهي حرف العلة والأصل فيها وأما الواو والياء فهما حرفا علة إذا سلمتا من شرك المخرج فشابهتا الألف فأعطتهما اسمها ثم غاب فيهما وظهر عنهما ولذا كانت الألف المقلوبة من الواو والياء والعكس حرف علة وسر الجميع في الواو فإنها تستنطق من زبرها وبيناتها الأحد، والأحد هو عدد الألف اللينية التي هي حرف العلة و إذا أضيفت الواو على الأحد كان الواحد وهو عدد الألف القائمة المتحركة فافهم فما ورد في الحديث النبوي أن الحروف تسعه وعشرون يشير إلى ما ذكرنا من ملاحظة الأصل مع الفرع كما عد محمد ﷺ مع ساير الأئمة فيقال أربعة عشر مع أنه الأصل والباقي فروع ودرجات وأغصان لتلك الشجرة الطيبة كما في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام **(السلام على الأصل القديم والفرع الكريم)**[1].

وأما الثلاثة والثلاثون فبملاحظة الأصل أي العلة الفاعلية مع معلالاتها لأن النقطة التي كانت عنها الألف التي كانت بحدودها و قيودها الحروف وإن كانت واحدة لا تقبل القسمة بالإضافة إلى الأعداد والحروف إلا أنها أثر وصفة للكلمة الإيجادية كلمة كن التي بها تحققت الحروف الكونية الباطنية الظاهرية والنقطة أثرها وحاملها الحاكية لها فتكون فيها ظهور أطوار العلة وكلياتها أربعة النقطة الأولية التي هي الباطن، والألف التي هي انبساطها في الوجود المطلق التي هي الباطن من حيث هو باطن، والحروف التي تقطع الألف بتعدد الوجوه والالتفاتات التي هي الظاهر والكلمة التامة المقترنة المتصلة بالأثر الذي هو النقطة التي هي مبدأ انبساط الحروف التي هي

(١) كتاب المزار ٢٠٧.

الظاهرة من حيث هو ظاهر ونفس الأثر الذي هي النقطة الثانية التي هي الدلالة لتلك الكلمة المباركة الأصلية وهي الظهور وهذه الخمسة غيب وكامن في النقطة الظاهرة بالألف وهي مقامات ظهور المبدأ وعلاماته وآياته، فإذا لوحظت هذه الأصول التي ظهورات الأصل الواحد مع الثمانية والعشرين كانت كما قال سيدي ومولاي الرضا عليه السلام في هذا الحديث الشريف ثلاثة وثلاثين وهذا العدد جامع جميع مراتب الحروف والأعداد ومقاماتها على الإطلاق وإن كانت خمسة منها لا تظهر إلا متحرفة كما سيأتي وإنما أشار عليه السلام إلى تلك الخمسة لأنه عليه السلام في صدد بيان توصيف الله سبحانه نفسه لخلقه بخلقه أصل التوصيف والبيان إنما هي بتلك الحروف العاليات وأما الأسماء الإضافية والخلقية فهي لما كانت باعتبار التعلق بالحدود الخلقية والرسوم الإمكانية ذكر باقي الثمانية والعشرين تتميما للوصف وتكميلا للرسم.

قوله عليه السلام **(فمنها ثمانية وعشرون حرفا تدل على لغات العربية)** وذلك لأن اللغة لما كانت تبعة للذات والكينونة، والعربية هي الصورة الإنسانية التي خلقت من الجنة وتعود إليها واللغة العربية هي لغات أهل الجنة وهم يجب أن يكونوا بجميع مراتبها ومقاماتها في القوس الصعودية والنزولية مقبلة ومتوجهة إلى الله تعالى لتؤدي كل مرتبة حقها في مقام العبودية والتوجه إلى الحضرة الربوبية فكانت كل مرتبة منها معربة معلنة بالثناء على الله تعالى ومؤدية حقها من العبودية والإعراب بمعنى الإظهار والإفصاح فكانت أهل الجنة من العرب أي من أهل إظهار عظمة الله وقدرته وإظهار المعارف والعلوم والأسرار وكانت كل مرتبة منها عربية أي فصيحة ظاهرة معلنة لما أراد الله سبحانه ولذا قلنا في شرح الخطبه الطتنجية عند قوله عليه السلام **(وأرسله**

في **العرب العرباء)** العرب هو الفصيح الكامل البالغ في الفصاحة الواصل كمال درجة التوحيد المحدود بحدود الإيمان المصور بصورة الإنسان البعيد عن جهة الطغيان ومقتضيات الشيطان ولذا نزل القرآن بالعربية ولذا كانت لغة أهل الجنة العربية وقد قال الإمام الصادق عليه السلام **(إن شيعتنا العرب وأعداءنا العجم)** قال الله تعالى ﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[1] وفي الحديث على مارواه في المجمع (إن من ولد في الإسلامً فهو عربي) وفيه **(الناس ثلاثة عربي ومولى وعلج فأما العرب فنحن وأما المولى فمن والانا وأما العلج فمن تبرأ منا وناصبنا)**[2] وفي حديث آخر **(نحن قريش وشيعتنا العرب وعدونا العجم)**[3] وقد سمعت عن بعض المشايخ أنه قال أن امرؤ القيس لما حضرته الوفاة كان يتكلم بالفارسية ويؤيده ما في البحار عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه أخرج رجلا من قبره بعد موته حيا وكان يتكلم بالفارسية فسأله عليه السلام عن ذلك مع كونه قد مات عربيا قال لما مت على غير موالاتك انقلب لساني إلى ماترى[4] وقد ورد عنه عليه السلام على ما في العيون أن أهل الجنة يتكلمون باللغه العربية وأهل النار يتكلمون باللغه المجوسية[5] وبالجملة فالعرب هو الصفوة المختار في كل عالم و هو المؤمن الحقيقي الطيب الطاهر المحدود بالصورة الإنسانية والعجم ضد ذلك كله.

والأصل في ذلك أن الله سبحانه لما أقام الخلق في العالم الأول في الذرات

---

(١) سورة الزمر ٢٨.

(٢) الخصال ١ / ١٢٣.

(٣) معاني الأخبار ٤٠٤.

(٤) في كتاب منتخب الطريحي ٣٠٤ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان من بني مخزوم لهم خولة من علي عليه السلام فأتاه شاب منهم فقال: يا خال مات قريب لي فحزنت عليه حزنا شديدا، قال: أفتحب أن تراه، قال:نعم، قال: فانطلق بنا إلى قبره، فلما وافا إليه وقف على شفير القبر وهو يقول (زينة شالا) معناه لبيك لبيك سيدنا، فقال أمير المؤمنين: ما هذا اللسان ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى ولكني مت على ولاية غيرك فأدخلت النار انقلب لساني إلى لسان أهل النار.

(٥) في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٤٥ أن شاميا سأل أمير المؤمنين عليه السلام فكان من ضمن ما سأله عن كلام أهل الجنة فقال: كلام أهل الجنة بالعربية وسأله عن كلام أهل النار فقال بالمجوسية.

وكلفهم ألست بربكم فمنهم من قال بلى ومنهم من قال نعم فالأولون هم العرب والآخرون هم العجم وأما الأول فمن جهة اللفظ و المعنى.

أما الأول فلأن العرب هو الظهور والفصاحة والمعرفة وهذا شأن المقربين فإن الاسم الأعظم الظاهر بالأركان الأربعة قد ظهر فيهم في المراتب السبعة كما أشرنا إليه سابقا ففي كل مرتبة من المراتب الثمانية والعشرين ظهر فيها سر الاسم الأعظم ولأن الله سبحانه هو الظاهر المعروف الذي لا خفاء فيه ولا نكارة بوجه من الوجوه فكل من تخلق بأخلاقه وسلك سبيله ذللا أجرى عليه حكمه فكان عربا ظاهرا معروفا ولما كانت الحروف التدوينية صفات وحكايات للحروف التكوينية وقد ظهرت الذوات الطيبة بالاسم الأعظم بجميع مراتبه وتلك المراتب هي الأصل فيهم وجب أن يجعل الله سبحانه لهم ثمانية وعشرين حرفا في عالم الحدود والظهور بالقيود في عالم الوجود المقيد فوجب أن تكون الحروف العربية في مقام التطور بأطوار الحروف والكلمات والألفاظ والعبارات ثمانية وعشرين وحرف واحد التي هي الألف اللينية الظاهرة باللام يجب أن تكون غائبة فيها ومستجنة فيها استجنان المداد في الكتابة وسارية فيها سريان البحر في الأمواج والحروف الخمسة التي هي تمام الثلاثة والثلاثين موجودة و كامنة فيها كمون صفة الربوبية في حقيقة العبودية وهي الحقيقة التي تظهر بعد كشف السبحات وإزالة الحجب والإنيات وهي واحدة في الوجدان عندنا لكنها خمسة في الوجود عند من هو أعلى منا بل في الواقع العلمي دون الواقع العملي والعلم والعمل وإن كانا متوافقين لكنهما متخالفان في هذا المقام فافهم فلنرجع إلى ما ذكرنا في شرح الخطبة.

والعجم عدم الفصاحة والبكم في مقابلة العرب فيجب في المعنى أيضا كذلك لحكم المناسبة بين اللفظ والمعنى مع أن الذين أعرضوا عن نور

الحق خرس صم بكم وذلك واضح ظاهر لمن كان له عينان ولسان يذكر الله في السر والإعلان وأما الثاني فلما ذكرنا من الأخبار الدالة على أن المؤمن هو العرب فلما أجابوا في العالم الأول فأمد الله سبحانه المقرين المطيعين بطينة العليين ومن الماء النازل من شجرة المزن المغروسة تحت بحر الصاد وأمد المنكرين الكافرين بطينة السجين ومن الدخان المتصاعد من شجرة الزقوم طلعها كأنه رءوس الشياطين المغروسة فوق بحر الطمطام قعر السجين أسفل السافلين نعوذ بالله من ذلك ثم كسرهم الله تعالى تحت الحجاب الأحمر و رجعهم إلى الطين ومزج بين الطينتين وأنزلهم إلى هذا العالم الجسماني حصل لطخ وخلط فيهما فصارت طينة سجين اختلطت لطخا لا أصلا بطينة عليين وبالعكس فظهر مقتضى ذلك اللطخ والخلط في الطينتين على مقدارهما في اللطخ فمن طيب في الذات طاهر في الطوية والجبلة ظهرت عليه باللطخ آثار العجمية كالمعاصي والشرور والسيئات في الأعمال التشريعية والتكوينية فظهر في التكوين على صور معوجة وهيئات منقلبة غير مستقيمة ومن ذلك اللسان واللغة الغير العربية فإنها منبئة عن اعوجاج الفطرة إما ذاتا أو لطخا وخلطا ومن خبيث في الذات وباطل في الطوية قد ظهر فيه بمقتضى اللطخ الآثار العربية من الصورة الإنسانية وحسنها وجودة تركيبها وكونه على اللغة العربية فإنها منبئة عن حسن الفطرة والطوية إما باللطخ أو بالذات فتبقى أحكام هذا اللطخ على مقدار قوته وضعفه إلى أن تصفو الطين بفتح الياء إما بالموت الظاهري أو الباطني فيرجع كل إلى أصله من العربية والعجمية فرجوع العرب إلى الجنة ورجوع العجم إلى النار فإذن لا يفتخر الذي عنده اللغة العربية أو نسبته إليها على الذي عنده اللغة العجمية إذ قد تكونان عرضيتين في الاثنين و الفخر في الفقر إلى الله والتوكل عليه وملازمة التقوى

والعمل والورع فإن الله سبحانه قطع حجة كل محتج بقوله الحق ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] وقوله تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[2] وقال رسول الله ﷺ (كل نسب ينقطع إلا نسبي)[3] هـ و إنما ذكرت هذه الكلمات لغاية عندي.

فثبت مما أوضحنا أنه يجب أن يكون الحروف التي جعلها الله سبحانه للبيان والإفادة والاستفادة كلها في اللغة العربية لأنها الأصل الثابت الباقي الذي لم يزل ولا يزول وكل ما سواها مجتث على وجه الأرض مالها من قرار ولذا تمت الحروف فيها دون ما سواها بل نقصت من كل لغة من اللغات حروف كثيرة حسب بعد تلك اللغة من عالم النور وذكر تفاصيل القول في اللغات ونسبتها بالحروف وما نقص من الحروف في كل لغة ليس في وسعنا وقدرتنا وإنما هو لمن أحاط بها وجعلها وشهدها بإشهاد الله عزوجل.

قوله عليه السلام **(ومنها خمسة أحرف متحرفة في ساير اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلها)** قالوا إن هذه الخمسة المتحرفة هي الپاء والچيم والگاف والژاء والتاء عند أهل الهند وهي التي تحرفت من الثمانية والعشرين في اللغة العجمية وهي ما ليس بعربي مطلقا لقوله عليه السلام **(لأقاليم اللغات)** وانحراف هذه الحروف معلوم .

وقوله عليه السلام **(فأما الخمسة المختلفة فتخجج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرنا)** يحتمل أن تكون تخجج مضارعا ثلاثيا من الخجج بالخاء المعجمة والجيم بمعنى الالتواء والدفع والنسف في التراب ويكون حاصل معناه أن هذه الخمسة ينبغي أن تدفع وتنسف في التراب و لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه مجملا لأن

---

(١) سورة آل الحجرات ١٣.

(٢) سورة المؤمنون ١٠١.

(٣) في وسائل الشيعة ٢٠ / ٨٣ عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي.

التلفظ بها في لغة العرب مستهجن قبيح ويحتمل أن يكون من باب التفعيل بالخاء المعجمة أيضا بمعنى الإخفاء في النفس أي هذه الخمسة ينبغي أن تخفى في النفس لاستهجان التلفظ بها ولا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه مجملا هكذا قالوا وهو الظاهر من كلامه الشريف عليه السلام إلا أن الذي وجدناه بالتتبع في الحروف المتحرفة في اللغات وجدناها أكثر من الخمسة بكثير خصوصا في لغة الهند والفرنك وغيرهما والقول بأن ما سوى هذه الخمسة محدثات أو أن الأصل في المتحرفات هذه الخمسة بعيد جدا إذ لا يجوز إحداث اللغة واختراع الحرف من غير أن يجعلها الله سبحانه بعد القول بأن الواضع هو الله تعالى والعبارات كلها من الله تعالى فإن كانت تلك الحروف منه سبحانه وإن كان قد أظهرها في الصدر الآخر فهي أصلية حقيقية .

وقد ذكرنا أن هذه الحروف الخمسة إشارة في الباطن إلى حروف الكلمة التامة التي تولد عنها النقطة التي هي مبدأ الألف اللينة التي بها الحروف الثمانية والعشرون وتلك الحروف نورية ليست من سنخ هذه الحروف وإنما هي غيب ومخفية فيها لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكره عليه السلام لأنها ليست بالحروف مصوت ولا باللفظ منطق ولا بالشخص مجسد ولا باللون مصبوغ ولا بالتشبيه موصوف فأنى تذكر بحقيقة البيان إلا على نحو الإجمال والإهمال كما الأمر عليه في الواقع أو أن الحروف الخمسة إشارة إلى عالم المشية والإرادة والجبروت و الملكوت والملك وبيان هذه اللطايف ومناسباتها مما يطول به الكلام فالإعراض عنه أولى والسلام.

قال عليه السلام (**ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدتها فعلا منه كقوله عزوجل كن فيكون و((كن))منه صنع و ما يكون به المصنوع فالخلق الأول من الله عزوجل الابداع لا وزن له ولا حركة ولا سمع ولا لون ولا حس والخلق**

الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظور إليها والله تبارك وتعالى سابق الإبداع لأنه ليس قبله شيء ولا كان معه شيء والإبداع سابق الحروف.

أقول: لما كان كل شيء من الأشياء حامل اسم من أسماء الله تعالى به يصل الفيض إليه عنه تعالى وإليه الإشارة بقوله عليه السلام في دعاء كميل **(وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء)**[1] وذلك الاسم هو سر الفعل الظاهر بالمفعول وذلك محل نظر الله تعالى ومحل فعله وجاز إطلاق الفعل عليه توسعا إذ آثار الفعل كله من ذلك الاسم يظهر بالله عزوجل أو من باب إطلاق المحل باسم الحال فإن الاسم هو الفعل المتعلق بالمفعول بوجه من وجوهه وذلك الاسم إنما يتحقق ويوجد مع المفعول مساوقا له وتظهر آثاره وانفعال الأشياء له بعد تمام المفعول وإكمال قوسي الصعودي والنزولي.

فلما أشار الإمام عليه السلام إلى أن الحرف أول مخترع ومبتدع بالإبتداع وإنه المفعول وإنه المفعول الأول وإنه الأصل في المفعولات كلها وقد قلنا أن مراده عليه السلام بالحروف أعم من الكونية المعنوية واللفظية التدوينية وذكر عليه السلام عدتها وعللها الفاعلية والمادية والصورية والغائية وغيرها من الأحوال التي تقتضيها المفاعيل من حيث نفسها أراد عليه السلام أن يشير إلى نسبة الحروف من الجهة العليا أي جهتها إلى ربها لظهور اسمه فيها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **(فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله)**[2] الحديث وذلك المثال هو الصفة وهي الاسم وهو الفعل الظاهر بالمفعول المتعلق به وهو مقام الحديدة المحماة بالنار وتلك الجهة هي فعل منه تعالى في المفعولات يؤثر فيها وتنفعل الأشياء

(١) دعاء كميل.
(٢) مناقب آل أبي طالب ١ / ٣٢٧..

لها ومنها تظهر المعجزات والكرامات وخوارق العادات ومنها تكون الإمدادات الواردة على جهات الأشياء ومراتبها و كينوناتها وهي لما كانت محلا للفعل أطلق عليها الفعل لما قلنا آنفا أو أنه هو الفعل الذي هو الأمر المفعولي وذلك الفعل تأكيد للفعل الأول الذي هو الإبداع والاختراع فإن قولك اضرب ضربا في قوة قولك اضرب اضرب وقولك كن كونا في قوة قولك كن كن والثاني فرع و صفة وتأكيد للأول وتظهر آثار الأول كلها منه وهو مثاله الملقى في هوية نفس المصدر من حيث المفعول المطلق ولما كانت هذه المراتب كلها إنما تحصل بعد الصعود كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **(خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهرعللها و إذا فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)**[1].

قال عليه السلام **(ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدتها فعلا منه يقول كن فيكون)** فإن جعلها فعلا وإن كان مقدما إلا أن ظهوره متأخر كما ذكرنا ولما كان كل شيء له ثلاث جهات جهة عليا وهي جهته إلى ربه وهي جهة العِلّية والفعلية وجهة سفلى وهي جهته إلى نفسه وهي جهة البعد والحرمان والخذلان وجهة وسطى وهي الجهة الجامعة بين الجهتين و ملتقى البحرين والبرزخ بين العالمين وبها تكثرت الأشياء واختلفت ولطفت وغلظت ورقت وكثفت واستدارت واستقامت واعوجت إلى غير ذلك من الأحوال والأوضاع صارت الحروف على ثلاثة وجوه وكل وجه ثمانية وعشرون.

الوجه الأول الأعلى وهو الذي قال عليه السلام **(جعلها فعلا منه)** وهذا الوجه هو الظاهر المثال للأعلى الملقى في هوية الوجهين الآخرين وهو الاسم المشتق من المصدر وذلك في هذا المقام ثمانية وعشرون اسما وكل اسم حرف من الحروف الفعلية فأولها الحرف الأول وهو البديع وبإزائها الألف القائمة

(١) بحار الأنوار ٥٤ / ١٦٥.

والثاني الباعث و بإزائه الباء والثالث الباطن وحرفه الجيم والرابع الآخر وحرفه الدال والخامس الظاهر وحرفه الهاء والسادس الحكيم وحرفه الواو والسابع المحيط وحرفه الزاء والثامن الشكور وحرفه الحاء والتاسع غني الدهر وحرفه الطاء والعاشر المقتدر وحرفه الياء والحادي عشر الرب وحرفه الكاف والثاني عشر العليم وحرفه اللام والثالث عشر القاهر وحرفه الميم والرابع عشر النور وحرفه النون والخامس عشر المصور وحرفه السين والسادس عشر المحصي وحرفه العين والسابع عشر المبين وحرفه الفاء والثامن عشر القابض وحرفه الصاد والتاسع عشر الحي وحرفه القاف والعشرون المحيي وحرفه الراء والحادي والعشرون المميت وحرفه الشين والثاني والعشرون العزيز وحرفه التاء والثالث والعشرون الرازق و حرفه الثاء والرابع والعشرون المذل وحرفه الخاء والخامس والعشرون القوي وحرفه الذال والسادس والعشرون اللطيف وحرفه الضاد والسابع والعشرون الجامع وحرفه الظاء والثامن والعشرون رفيع الدرجات وحرفه الغين وهذه الثمانية والعشرون هي الحروف التي جعلها فعلا منه وبها يقول للشيء كن فيكون .

والوجه الثاني الأوسط هو الحروف الثمانية والعشرون التي قدمنا ذكرها من حرف العقل وحرف النفس وحرف الطبيعة و حرف المادة وحرف المثال وحرف الجسم إلى آخر الحروف كما ذكرنا سابقا وهذه الحروف حاملة لتلك الحروف وظاهرة بأسمائها وهذا الألف حامل لتلك الألف حمل الدهن للنار في السراج و الحديدة المحماة بالنار والتأثير والفعل للحروف الأولية خاصة كما أن التأثير للنار في السراج والحديدة .

وأما الوجه الأسفل فذلك أيضا ثمانية وعشرون وهي مقابلات الحروف

الأولية في الأسماء والحروف والذوات فالحرف الأول جهل الكل والاسم الذي يحمله الشيطان الظاهر منه آثار الطغيان المرتاب والألف المعكوس بإزائه في التدوين والثاني الثرى والاسم المربي له من بحر الغضب وأصل الظلمة المتوهم و حرفه الباء المنكوسة والثالث الطمطام والأسم المجتث والحرف الجيم المنكوسة والرابع النيران والاسم الأسفل والحرف الدال المنكوسة والخامس الريح العقيم والاسم المخيل والحرف الهاء المنكوسة السادس البحر المالح الأجاج والاسم العابث والحرف الواو المنكوسة والسابع الحوت والاسم المختال والحرف الزاء المنكوسة الثامن الثور والاسم الكفور والحرف الحاء المنكوسة التاسع الصخرة والاسم فقر الزمان والحرف الطاء المنكوسة والعاشر الملك الحامل والاسم العاجز والحرف الياء المنكوسة والحادي عشر أرض الشقاوة والاسم المفسد والحرف الكاف المنكوسة والثاني عشر أرض الإلحاد والاسم الجهول والحرف اللام المنكوسة والثالث عشر أرض الطغيان والاسم المهين والحرف الميم المنكوسة والرابع عشر أرض الشهوة والاسم الظلمة والحرف النون المنكوسة والخامس عشر أرض الطبع والاسم المهمل والحرف السين المنكوسة والسادس عشر أرض العادات والاسم الناسي و الحرف العين المنكوسة والسابع عشر أرض المهات والاسم المنكر والحرف الفاء المنكوسة الثامن عشر كمثل الكلب والاسم المسول والحرف الصاد المنكوسة التاسع عشر السموم والاسم المميت والحرف القاف المنكوسة والعشرون الماء الأجاج والاسم المبطل والحرف الراء المنكوسة والحادي والعشرون الأرض السبخة والاسم المنكد والحرف الشين المنكوسة والثاني والعشرون الحجارة و الحديد والاسم الذليل والحرف التاء المنكوسة والثالث والعشرون النبات المر والاسم الحارم

والحرف الثاء المنكوسة والرابع والعشرون الممسوخ والاسم الفاسق والحرف الخاء المنكوسة والخامس والعشرون الشياطين والاسم الضعيف والحرف الذال المنكوسة والسادس والعشرون شياطين الجن والاسم الغليظ والحرف الضاد المنكوسة والسابع والعشرون شياطين الإنس والاسم الناقص والحرف الظاء المنكوسة والثامن والعشرون إبليس والاسم أسفل السافلين والحرف الغين المنكوسة وهذه الحروف السفلية الباطلة المجتثة وجميع الشرور والقبايح والأفعال الباطلة والآثار القبيحة إنما تصدر و تتحقق بقران هذه الظلمات بعضها ببعض فهذه أفعال تظهر بها آثار الغضب وتتحقق بها مهاوي دركات النيران ومراتب طبقات جهنم أعاذنا الله منها .

ولما كانت الحروف اللفظية على طبق الحروف المعنوية الباطنية كانت الأفعال تصدر منها كما تصدر من الذوات والحقايق حرفا بحرف ولما كانت الأفعال إنما تصدر من الجهة العليا من الحروف اللاهوتية الثمانية والعشرين التي ذكرناها وهي غائبة في غيب هذه الثمانية والعشرين فلا بد من إظهارها من ترتيب ووضع وكسر وصوغ كالإكسير فإنه الفعال الغائب في كل فلز وعقار وعرضته عوارض منعتها عن إظهار أفعالها فيحتاج الحكيم لإظهار ذلك السر الذي هو فعل الله أي أمر الله المفعولي إلى أنحاء التعفينات والتقطيرات والتشميعات و التشبيبات والحل والعقد والسقي والقلع والضم والتوليد والجمع وإذهاب الأوساخ وإزالة الغرايب وإخراج المياه الإلهية المكنونة والأصول الحقيقية والجسد الجديد والقريب والبعيد والأرض المقدسة والنار المحرقة والشمس المشرقة والوسايط والأنفخة و العناصر المنضدة والأفلاك المحيطة المشيدة ثم يجمع بين هذه المراتب ويزوج الآباء بالأمهات فيتولد منها الولد العزيز البالغ الذي يهزم الصفوف ولا

يكترث بالألوف محل فعل الله وحامل نظر الله و مهبط عناية الله ومظهر جود الله وكرمه فهو الفعال لما يشاء بما يشاء كما شاء الله وذلك أيضا حينئذ فعل من أفعاله تعالى يقول للشيء من المعادن والفلزات كن أصفى ما في جوهرك فيكون إلا أنه جزء خاص ولا عموم فيه وأما الحروف اللفظية فلما كانت على طبق الذوات المعنوية في جميع المراتب والمقامات كان لها التأثير والفعل والإحداث في كل ذرة من الذرات الوجودية في الغيبية والشهودية.

ولما كانت الحروف الفعلية غايبة في الحروف المفعولية غيبوبة الأحد والواحد في الواو التي هي حرف الكثرة فلا بد في إظهار تلك الحقايق والأسرار من أنحاء المعالجات لإزالة الأوساخ وإخراج الحق الصرف البات الذي هو فعل الله تعالى وبه يقول للشيء مطلقا كن فيكون وتلك المعالجات والتدبيرات كما هو مذكور في كتب أهل الجفر وأهل الأوفاق وأهل البسط والتكسير وأهل العدد وأصحاب روحانيات الحروف وأهل التسخير وغيرهم من أخذ الطبائع أي طبائع الحروف وعناصرها ومحلها من المرتبة والدرجة والدقيقة وهكذا وأفلاكها وكواكبها وأعداد الجميع وبروجها والطالع والغارب والعاشر والرابع (والسابع) ومبدؤها وأصلها وفرعها ونبيها ورعيتها و الخليفة وحروف الطالب والمطلوب واليوم والليلة والساعة ورب الساعه وأعداد حروفها وحروف أعدادها ومزجها وبسطها بأنحاء البسط من بسط الحرفي والبسط العددي وبسط التضارب وبسط الترفع الحرفي والعددي والطبيعي والبسط الطبيعي والبسط الغريزي وبسط التجامع وبسط التضاعف وبسط التمازج الصغير والكبير و الوسيط وبسط التكسير وبسط التجميع وبسط التواخي وبسط التقوي الوسيط وبسط التكسير وبسط التجميع وبسط التواخي وبسط التقوى وغيرها من أنحاء

البسط إلى ستين قسما وكذا تكسير الحروف بتكسير الكبير والصغير والوسيط وأخذ روحانياتها وملائكتها وعلويها وسفليها وأخذ الخدام والاعوان واستخراج الخليفة على الكل و استخراج السلطان المهيمن على الجميع وترتيب العزائم وحرق البخور وغيرها من الزمور المعلومة عند أهلها ولو إردنا شرح تلك الأحوال لطا ل بنا المقال فلترجع إلى كتب القوم وأما تصاريف الحروف وتأثيرها في الأكوان فذلك في كل شيء لا يختص بشيء دون شيء و قد ذكر العلماء بمعونة الأدلة العقلية لكل حرف من الحروف الثمانية و العشرون تصاريف وتأريات عجيبة لا نطول الكلام بذكرها إلا أنّا نذكر بعض تصاريف حروف الطبايع من حيث المجموع وفعلها في الأشياء حتى تعرف نوع المسألة ونوع التأثير والفعل المذكور في الحديث الشريف.

قال الحكيم أفلاطون اعلم أن الحروف ثمانية وعشرون يقسمون على أربعة عناصر كل عنصر بسبعة أحرف فأولها عنصر النار وله وفق سبعة في سبعة وله ملك من عالم الملك والملكوت وله شرح و تصريف وهو يصلح لقهر الملوك والجبابرة ولقهر كل خصم والمحبة والقبول والصلح بين الأخ وأخيه والزوج والزوجة ولجلب القلوب وقهر النفوس وجلب الغائب وعمارة الديار الخالية والدكاكين فمن كتب هذا العنصر بالقلم اليوناني في مسبع ودرّجةُ ماله من الأسماء وماله من الملائكة وتوكل ملك ذلك اليوم الروحاني العلوي والسفلي وتكتب بالمداد المعين وبخر البخور كذلك أو تكتب اسم من أردت واسم أمه أو ما أراد وحمله على رأسه يرى عجبا من الإقبال والمحبة وتسخير القلوب وعظم الجاه عند الملوك والحكام وجلب الأرزاق و إذا أردت أن تعمل محبة أو إقبالا أو طلب حاجة من ملك فتوضع الجدول على هذه الصورة وتنزل حرف من أردت في الجدول كل حرف من

اسم المطلوب في بيت وكلما كملتها كررها في البيوت حتى يكمل الجدول ثم توكل صاحب اليوم العلوي والسفلي فاعرف قدر ما وصل إليك و اكتم هذه الأسرار تبلغ منازل الأخيار وهذه صورة عنصر النار (ا هـ ط م ف ش ذ) وتكتبه في خاتم مسبع بالقلم اليوناني وتكسره حتى تملأ الخاتم بالتكسير .

وأما عنصر التراب فهو عنصر جليل القدر له ملائكة غلاظ شداد متسلطين على بني آدم لجلب الأمراض والأسقام والحمى والرمد وإرسال الهواتف ومنع الأكل والشرب ونزف الدم والتهييج ونزول الملوك من أعلى كرسيها تكتبه بالقلم اليوناني في مسبع وتنزل معه ماله من الملائكة على الجناح الأيمن وماله من الأسماء على الجناح الأيسر وتوكل عليه الملائكة بما أردته من خير أو شر وتجعل روحانيته فوق الجدول والسفلية تحته وملك اليوم السفلي من وسطه وتوكل الجميع كما وصفنا و إذا أردت التسليط والتزيف والقي فتكتبه بالمداد الذي للعنصر في لوح من نحاس أحمر وبخره وأقسم على ملوكه بما للحروف من الملائكة في يوم العنصر وادفنه في نار حامية وأقسم عليه سبع مرات واضمم ما أردت ترى عجبا فلا تعمل إلا لمن ظلمك واتق الله إذا أردت أن تعزل أحدا أو تخرب مكانا أو تمنع مطرا من أرض أو تغيير ماء بئر أو عين فخذ ترابا مخصوصا واعمل فيه ما يناسب الحروف الترابية على النهج المعهود عندهم ثم تأخذ التراب وتذريه في أي مكان شئت يخرب وينهدم ولا يعمر أبدا وإن عملت ذلك التراب في بئر أو عين تغور وإن عملت منه في بلاد منع عنها المطر بقدرة الله تعالى وإن رميت منه في منزل قوم افترقوا ولا يجتمعوا أبدا وإن عملت في دكان تقفل وتعطل بيعها وإن ذريت منه في طريق عسكر وجاز عليه انهزم أو معزم بطلت حركته وحار أمرة وهربت ملوكه و بطل طلسمه وصاحب الصنعة يتلف صنعته ويكره

شغله انظر في هذا الفعل العجيب لهذه الحروف وهذا وجه واحد من ألف من وجوه فعل هذه الحروف وتصاريفها وتأثيراتها.

وأما عنصر الهواء يصلح لركوب البحر وللإخفاء عن أعين الأعداء وطي الأرض فمن كتبه ومزج اسمه مع حروفه في كل بيت بالقلم اليوناني وحروف اسمه بالعربية ورتبه بماله من الملوك والأسماء و توكل عليه ملك اليوم السفلي والروحاني وتكتبه على قلنسوة من جلد النمر أو رق شاة أسود وبخره ببخوره وتقسم على الملوك بما لحروفه من أسماء الله سبعا وسبعين مرة وهو على موضع خال ويعمل القلنسوة على رأسه ويقف في الشمس فيختفي ظلك بإذن الله تعالى و يمشي حيث أراد فلا يراه أحد وهو من العجايب وإن هذا العنصر يجلب به الريح والظلام حتى لا ترى صاحبك في وسط النهار ومن نقش هذا العنصر في لوح من نحاس أصفر على شروطه ووكل به ملوكه وبخره ببخوره وقت الحاجة فإذا أراد جلب الريح والظلام فيمحى اللوح في ماء ويرش به الأرض التي تريد فإن الأرياح تخرب ذلك المكان وتتلف أشجاره ونباته ولا ينبت فيه نباتا وإن ضربت بذلك الماء على وجه مسحور أو مربوط انحل من وقته وإن كتب جدول عنصر الهواء في كاغد وعلقه في السفينة أتته الريح السليمة وإن جعلت اللوح على رأسك تجوز على عدوك ولا يراك

وأما عنصر الماء فهو ضد عنصر النار يفعل بخلافه فمن كتبه في إناء مزجج ومحاه بماء بئر لا تره شمس ولا قمر وأسقاه المجنون شفاه الله تعالى وإن كان جذام أو برص شفاه الله تعالى.

ثم إنهم قالوا أنك إذا عرفت طبايع الحروف ومراتبها وتعارفها وتناكرها فإنك تتصرف بها في جميع الموجودات وفي تبطيل موانع الكنوز وتبطيل

جميع الموانع بمقابلة ضدها من الطبايع فإنها مركبة فيها فإذا لم تبطل بمقابلة ضدها من الطبايع فإنها مركبة من الأقليدسيات الهندسية فاحتل بالعقل على مواضع أصولها و احفرها وأفسدها وإن كانت من الطلاسم الطبيعية فركب لها من الحروف مضادها وتفسدها فإذا دخلت إلى المكان فانظر إلى المانع إن كان مركبا من النار فأبطله بالحروف المائية وإن كان ترابيا فبالحروف الهوائية وإن كان مائيا فبالحروف النارية وإن كان هوائيا فبالحروف الترابية وإن كان مركبا من النار والهواء فبالحروف المائية والترابية وإن كان من الماء والتراب فبالحروف النارية والهوائية مثاله إذا دخلت إلى مكان ووجدت فيه عروسا لابسة أخضر فإنها مركبة من الماء والتراب فاكتب الأحرف الهوائية فإنها تقع فتجدها غاية يابسة فاجعل ما تكتبه عليها فإنها لا تقوم حتى تقيمها وإن كان في المكان ماء يفيض فاكتب له الأحرف الترابية و الهوائية فإنه يذهب وإن كان الماء أزرق فاكتب له الأحرف الهوائية والنارية في شقفة وارمها فإنه يذهب وإن كان رملا فاكتب له الهوائية والمائية فإنه يذهب وإن كان رخا أو عقابا أو نسرا أو شيئا من الطيور فاكتب له الأحرف الترابية والمائية والنارية فإنه يذهب والسيف والطبر والدبوس وغير ذلك يبطل بالأحرف الترابية والهوائية والنارية والرهبان وما شاكل ذلك يبطل بالمائية والحية تبطل بالهوائية والديك والدجاج يبطل بالنارية والهوائية والقوس والمنجنيق إذا لم يكونا هندسية يبطل بالترابية والنارية والعاقل يتدبر بعقله جميع ذلك ويبطله.

وبالجملة لما كانت الأشياء كلها إنما تركبت وتألفت من العناصر الأربعة فتؤثر في كل شيء تريد بضده من حروف العناصر أو بمثله بزيادة ونقيصة وحذف وإسقاط أو غير ذلك فينفعل ذلك الشيء و يجيء على ما تحب وإذا كان ذلك الشيء معتدل الطبيعة تام البنية و لم تكن فيه جهة غالبة فتؤلف من

الحروف ما يتم به الاسم اللفظي الاعتدالي كما يؤلفه الإمام عليه السلام من الحروف النورانية فتفعل فيه ما تريده فالحروف على قول مطلق فعل لله سبحانه تتصرف في كل شيء خلقه الله تعالى يقول للشيء بألسنته تبارك وتعالى ((كن)) بتلك الحروف على ترتيباته وأوضاعه كما أشرنا إلى نوعها في الجملة فيكون ذلك الشيء في وقته وساعته وهذا الذي ذكرنا بعض الإشارة إلى بعض المراد بقوله عليه السلام (ثم جعل الحروف بعد إحصائها و إحكام عدتها فعلا منه يقول كن فيكون) فافهم الإشارة في صريح العبارة فكم من خبايا في زوايا.

ولما كان مراده عليه السلام من الحروف ما هو أعم من الحروف التكوينية والتدوينية ومراده ب ((كن)) أعم من الأمر الفعلي والمفعولي أراد عليه السلام أن ينبه على حقيقة الأمر في الأمر الذي هو الخطاب إلى جهة الشيء وقد تحير العلماء في هذا الخطاب أي خطاب ((كن))لما عندهم من القاعدة المقررة أن المخاطب يجب أن يكون قبل الخطاب حتى يقع عليه الخطاب وإلا (لا) يكون خطابا للمعدوم وذلك عندهم محال فقوله تعالى (كن) إن كان المخاطب موجودا يلزم قدم الأشياء وإن لم يكن موجودا لا فايدة في الخطاب إذا لم يكن شيء يقبله ويتعلق به وقد أشكل عليهم ذلك وتحيروا حتى قال محققوهم بالأعيان الثابتة في الأزل المعدومة الكون وهي قديمة ليست بمجعولة ولا موجودة بل شيء ثابت ذكري وبذلك الذكر والشيئية استأهلت لخطاب((كن)) فتكونت في الوجود الخارجي التفصيلي بعد ما كانت مذكورة ثابتة في الوجود الأزلي الجمعي الإجمالي وهذا المعنى لما كان عند أهل البيت عليهم السلام شرك محض وكفر بحت أراد عليه السلام أن يشير إلى حقيقة الأمر في هذه المسألة فقال عليه السلام **(وكن منه صنع وما يكون به المصنوع)** حاصله أن الخطاب لا يستدعي أن يكون المخاطب مقدما كيف والمخاطب والمخاطب بالكسر والفتح مشتقان

من الخطاب وهو مبدء اشتقاقهما فكيف يعقل أن يكون المشتق الذي هو الفرع اتفاقا مقدما على المبدء الذي هو الأصل فالخطاب مادة تتقيد بالحدود ويتولد منه المخاطب بالفتح والمخاطب بالكسر ولما كان في الحادث الممكن جهتان متضادتان هما علة الاختيار والتكليف وهاتان الجهتان تحققتا معا لا يسبق إحداهما الأخرى في الظهور والوجود الكوني إلا في المرتبة و الذات وكان ما من الله تعالى جهة إجمال ووحدة وبساطة تتعين على حسب الصورة القابلة والحدود المشخصة عبر سبحانه عن الجهة التي منه وإليه بالخطاب الواقع على جهة الاختيار حيث تتحدد تلك الجهة على حسب قابلية الصورة فكن عبارة عن نفس الصنع وهو الأمر المفعولي وهوا لوجود الهيلولي الأولي وهو تأكيد وصفة لكن الذي هو الأمر الفعلي وهذا الأمر الثاني أي الفعلي كقرص الشمس والأمر المفعولي كالنور الواحد المنبث المنبعث عن الشمس الحاكي لها من حيث هي وهو خطاب الشمس ويكون عبارة عن ذلك الأمر والنور من حيث تحدده وتقيده بالحدود الستة من الزمان والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف فهو بالجهة العليا خطاب وبالجهتين المتصلتين المقترنتين مخاطب مصنوع فالمخاطب إنما يتحقق حين الخطاب بالخطاب لا قبله ولا بعده كما يدل عليه لفظه كما أشرنا إليه وهذا الحكم يجري في كل المتضايفات والمتساوقات من الكل والجزء و الشرط والمشروط والموصوف والصفة والقابل والمقبول والفاعل و المفعول والأمر والمأمور والخالق والمخلوق وغيرها من الأمور التي في المفهوم كل واحد منها يعتبر الاقتران والارتباط بالآخر وكذلك يجري هذا الحكم أي (كن فيكون) في الحروف التكوينية والتدوينية فافهم إن كنت تفهم وإلا فاسلم تسلم قال الشاعر:

فإن كنت ذا فهم تشاهد ماقلنا وإن لم يك فهم فتأخذه عنا

فما ثم إلا ماذكرناه فاعتمد عليه وكــن في الحــال فيه كــما كنا

ثم أراد الإمام عليه السلام أن يقسم أنواع الممكن بالقسمة الظاهرية إلى ثلاثة أقسام القسم الأول ماهو مجرد عن كل الحدود مبعد عن كل القيود موجود مطلق في تحققه وانصداره من مبدئه لايحتاج إلى كيف وكم وجهة واقتران وإضافة بل به خلقت تلك الحدود وهو السابق لها فلا يجري حكم المسبوق على السابق من حيث هو كذلك بالضرورة والبداهة وهذا القسم الأول هو الخلق الأول والمراد به الفعل الكلي الشجرة الكلية وفلك الولاية المطلقة والأزلية الثانية والإبداع والاختراع وهو الذي قال عليه السلام **(لاوزن لها ولا لون ولا حركة ولا سمع ولا حس)** فإنها كلها خلقت بالفعل الذي هو الخلق الأول وذكر هذه الجملة لإشارة إلى نوع الحدود والجهات والأمور الاقترانية كلها وما ذكره عليه السلام من باب المثال وكيف يتصور في الإبداع هذه الجهات مع أن الحقيقة التي قال أمير المؤمنين عليه السلام أنها تظهر بعد كشف سبحات الجلال من غير إشارة وتصحو بعد محو الموهومات وتنكشف بعد هتك الحجب والأستار وجميع الإضافات والقرانات تلك الحقيقة المجردة عن الحدود مطلقا مخلوقة بالاختراع والمشية لقوله عليه السلام **(نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره)** ولا بد أن يكون الأثر يحكي الجهة السفلى من صفة الموثر فإذ كانت الجهة السفلي من المشية في تلك الرتبة من التجرد عن الاقتران بالحدود فما ظنك بالجهة العليا منها وأما نفي الحركة عنها مع أنها عين الحركة فلبيان أن تلك الحركة ليست مثل الحركات المحسوسة أو المعقولة بل هي نوع آخر لأنها شجرة على سواء الجبل لاشرقية ولا غريبة يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار أو أن الحركة المنفية هي الحركة المغايرة لذاتها كما يشير إليها قوله عليه السلام **(ليس لها وزن)** إلى أن قال **(ولا حركة)** وإنما حركتها هي ذاتها

وحقيقتها لاشيء آخر يعني ذاتها هي عين الحركة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وأما الحس المنفي فالمراد به الحواس والمدارك المتمايزة المحدودة المحاطة وإلا فحقيقتها عين العلم والإدراك والمعرفة والإحاطة بل هي عين علم الله السابق كما روى الكليني ﵀ عنهم ﵈ **(إن علم الله السابق المشية)**[1].

والقسم الثاني هو الحقيقة المجردة عن كل الحدود والجهات هي المفعول المطلق بذلك الفعل الأول وهي لما كانت جهة تجلي الله تعالى لخلقه وخطابه لقول (كن) ولا بد للخطاب من استماع المخاطب إياه لأن ذلك هو المعتبر في الخطاب وبه خاطب الله سبحانه أنبياءه ورسله وحججه وأولياءه فيجب أن يكون مسموعا ولما كان ذلك الخطاب هو المثال الملقى في هويات الأشياء فيكون صالحا للاقتران والاتصال والاتصاف فيكون موصوفا بذلك وأما هو في نفسه لكونه مشابها لصفة مؤثره منزها عن الحدود والرسوم وأما الخلق الأول فليس بمسموع ولا موصوف لأنه الاسم المستقر في ظله ولا يخرج منه إلى غيره فلا يسمع ذلك الخطاب الذي هو ((كن)) الأمر الفعلي نعم يقع (يصح) السماع في الأمر الثاني المفعولي ولذا وصف الثاني بالمسموعية دون الأول فافهم ولذا قال ﵇ **(والخلق الثاني الحروف لا وزن لها ولا لون وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها)** و لما كانت الحروف اللفظية على طبق الحروف المعنوية الحقيقية جرت فيها هذه الأوصاف فليست بموزونة من الأوزان والمكائيل المعروفة ولها أوزان طبيعية اعتدالية كما هو المعروف عند أهل الفن في ميزان الحروف ميزان النار وميزان الهواء وميزان الماء وميزان التراب وكل ميزان له عمل مخصوص ولكن لا يخفى عليك أن هذه الموازين يحتاج إليها للتعديل في الحروف المفعولية التي هي عين القشر والحجاب

---

(١) أصول الأئمة ١ / ١٩.

للحروف الفعلية الغائبة فيها غيبة الإنسان الكامل في النطفة والعلقة وهي الحروف التي بإزاء الأسماء الإلهية كما ذكرنا سابقا وعدينا وتلك الحروف لا يحتاج إلى وزن وتعديل من حيث المبدء لأن كل واحد جامع لسر الجميع ومثاله التقريبي كالإكسير فافهم ولهذه العلة اختلفت أفهام أهل الحروف وآراؤهم في طبايع الحروف وموازينها واتفقوا في الألف بأنها حارة ووقع الخلاف فيما سواه فذهب كل طائفة إلى حكم مثلا الباء قيل أنها حارة يابسة وقيل أنها باردة يابسة وقيل أنها حارة رطبة وقيل أنها باردة رطبة ولما بلغ الكلام إلى هنا فلا بأس علينا أن ننبه إلى بعض اختلافاتهم ونشير إلى سرها

جدول أمير المؤمنين عليه السلام

ترابية	مائية	هوائية	نارية
أ	ب	ت	ث
ج	ح	خ	د
ذ	ر	ز	س
ش	ص	ض	ط
ظ	ع	غ	ف
ق	ك	ل	م
ن	هـ	و	ي

جدول إدريس عليه السلام

نارية	هوائية	مائية	ترابية
ا	ب	ج	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

وبعض الهنود والمشارقة رتبوا المفردة والمزدوجة هكذا:

نارية	هوائية	مائية	ترابية
ا	ح	س	ت
ب	ط	ع	ث
ج	ي	ف	خ
د	ك	ص	ذ
هـ	ل	ق	ض
و	م	ر	ظ
ز	ن	ش	غ

نارية	هوائية	مائية	ترابية
ا	د	ض	ك
ب	ذ	ط	ل
ت	ر	ظ	م
ث	ز	ع	ن
ج	س	غ	هـ
ح	ش	ف	و
خ	ص	ق	ي

وبعض المغاربة ترتيبهم فى المزدوجة هكذا

نارية	هوائية	مائية	ترابية
ا	ب	ت	ث
ج	ح	خ	د
ذ	ر	ز	ط
ظ	ك	ل	م
ن	ص	ض	ع
غ	ف	ق	س
ش	هـ	و	ي

بقية المغاربة في المفردة والمزدوجة هكذا

نارية	هوائية	مائية	ترابية
ا	ح	ص	ت
ب	ط	ع	ث
ج	ي	ف	خ
د	ك	ض	ذ
هـ	ل	ق	ظ
و	م	ر	غ
ز	ن	س	ش

نارية	هوائية	مائية	ترابية
ا	د	ل	ف
ب	ز	م	و
ت	ر	ن	س
ث	ز	ص	ش
ج	ط	ض	ه
ح	ط	ع	ق
خ	ك	غ	ي

مذهب أهل الطبيعة هكذا

نارية	ترابية	هوائية	مائية
ا	ب	ج	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

مذهب ابن عربي هكذا

نارية	مائية	ترابية	هوائية
ا	ب	ج	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	ص	ع
ف	ض	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ظ	غ	س

مذهب أبي العباس البوني صاحب شمس المعارف

نارية	هوائية	ترابية	مائية
ا	ب	ج	د
هـ	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	ص	ع
ف	ض	ق	ر
س	ت	ث	خ
ذ	ظ	غ	ش

مذهب الجزلي وابن سبعين

نارية	هوائية	مائية	ترابية
ا	ق	س	ج
ع	ي	ل	م
هـ	ص	ر	ز
ط	غ	ث	ب
ح	ظ	ن	خ
ف	ك	و	ت
ش	ص	د	ذ

وهذه الترتيبات التي وقفنا عليها لأهل هذا الشأن غير ما ذكروا في الدواير والنظاير وما ذكره غيرهم كأهل المخارج ثم إنهم يستعملون تلك الحروف

على حسب ما يعتقدون فيها من الطبايع في أعمالهم و علاجاتهم والكل يصح العمل به مثلا الباء فالذي يعتقد أنها ترابية يستعملها في البارد اليابس والذي يعتقد أنها هوائية يستعملها في الحار الرطب وهما ضدان وكلا العملين يصحان وهذا من العجايب والأصل فيه أن الحروف الأولية الفعلية الغائبة في هذه الحروف لما كانت معتدلة منزهة عن الحدود فكل واحد منها يعمل عمل الكل لاتحادها في أصل الرتبة فكل منها في حد ذاتها يعمل في الحار والبارد واليابس والرطب فإذا اعتقد جهة منها رجح ذلك الاعتقاد ظهور تلك الجهة فيظهر آثارها ويتوهم الناظر العامل أن فيها تلك الطبيعة خاصة دون غيرها فيقتصر عليها والآخر ينظر في ضده مثل نظره فتظهر آثارها (آثاره) فيحكم عليها بتلك الطبيعة دون غيرها ومثالهم مثال العميان و الفيل وأما في الواقع الحقيقي فليست لها جهة خاصة وطبيعة خاصة دون الأخرى وإنما هي على حد ما قال الشاعر:

وممحومة طبعا عدلت مزاجها إلى ضدها لما علت زفراتها
بجنية إنسية ملكية هوائية نارية نفحاتها
جنوبيه شرقية مغربية شمالية كل الجهات جهاتها

فالحروف الفعلية التي بها يقول الله للشيء كن فيكون بحججه ووسايطه لا وزن لها لأنها كاملة معتدلة تامة لا تحتاج إلى وزن وتقدير وأما الحروف المفعولية فلها وزن وتقدير وتعديل وضم وتوليد كما هو المقرر في علم الحروف في كتب القوم المبسوطة وغيرها.

والقسم الثالث هو المفعولات من الموجودات المقيدة وهي محدودة موصوفة موزونة مصورة بالصور المختلفة من النوعية والشخصية والجوهرية والعرضية ومقترنة بالمواد الجسمانية وهكذا غيرها من الحدود والتعينات

والصور والقرانات والقيود والإضافات ولذا قال عليه السلام **(والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظورا إليها)** وما ذكره عليه السلام من باب المثال لأجل الكثرة وإلا فهو أكثر من ذلك كما هو المعلوم ثم قال عليه السلام **(والله تبارك وتعالى سابق الإبداع لأنه لا شيء قبله ليكون سابقا عليه تعالى)** ولما كان مجرد السبق يقتضي اقتران السابق بالمسبوق ولو في المفهوم الإضافي إذ السابق يستلزم المسبوق أزال عليه السلام هذه الشبهة ورفع هذه الواهمة بقوله الشريف **(ولا كان معه شيء)** حتى يكون فرقا بين الأول والآخر يستلزم ذلك الاقتران والاتصال فأسبقيته تعالى على الخلق ليست بالمعنى المعقول المدرك عندالخلق وإنما سابقيته سابقية إلهية أزلية لا يحيط بها سواه نعم ليس قبله شيء ولا يقال له قبل فإن ذلك يستلزم الوقت ولما كان معه شيء فبطل الاقتران والاتصال فامتنع ذكر الممكن الحادث عند الواجب القديم مطلقا فسقط بذلك جميع الاعتراضات والمناقضات وثبت التوحيد لخالق السموات وباريء المسموكات.

قوله **(والإبداع سابق الحروف)** يريد بالإبداع-كما ذكرنا غير مرة-المشية والإرادة وهما في مقام الفعل والحروف في مقام المصدر المفعول المطلق ولا شك أن الفعل سابق على المصدر وهو مشتق منه وصادر عنه والدليل على أن المراد بالحروف المصدر إطلاق الفعل عليه سابقا بقوله عليه السلام **(ثم جعلها بعد إحصائها فعلا منه)** و المفعول الذي يقوم مقام الفعل ويكون محلا له في الحقيقة الأولية لا يكون إلا المصدر ولشرح هذه المسألة مقام آخر فافهم فهمك الله.

قال عليه السلام: **والحروف لا تدل على غيرنفسها، قال المأمون: وكيف لا تدل على غيرنفسها، قال الرضا عليه السلام: لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئا**

لغير معنى أبداً فإذا ألف منها أحرفا أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى ولم يك إلا أمر محدث لم يكن قبل ذلك شيئا، قال عمران: فكيف لنا بمعرفة ذلك؟ قال الرضا عليه السلام: أما المعرفة فوجه ذلك وبابه أنك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فردا فردا فقلت ا ب ت ث ج ح خ حتى تأتي على آخرها فلم تجد لها معنى غير أنفسها فإذا ألفتها و جمعتها وجمعت منها أحرفا وجعلتها اسما وصفة لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت كانت دليلة على معانيها داعية إلى الموصوف بها أفهمته قال نعم.

لما فرغ عليه السلام من ذكر البسايط والأصول الأولية أخذ في بيان كيفية تفريع الفروع عليها وتركيب تلك البسايط وتأليفها واستخراج الحقائق الغير المتناهية في التدوينية والتكوينية فقال عليه السلام **(والحروف لا تدل على غير أنفسها)** وقد ذكرنا سابقا إن الحادث المخلوق من حيث هو مع قطع النظر عن جميع القرانات لا تدل إلا على نفسها ونفسها أن أردت بها النفس التي من عرفها فقد عرف الله فيدل كل حرف إذن على ظهور من ظهورات الله سبحانه الظاهر فيها وقد وردت الروايات بذلك عن سادة البريات عليهم السلام منها ما رواه الصدوق في التوحيد والعيون بإسناده عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال **(إن أول ما خلق الله عز و جل ليعرف به خلقه الكتابة حروف المعجم و إن الرجل إذا ضرب على رأسه بعصا فزعم أنه لا يفصح ببعض الكلام فالحكم فيه أن يعرض عليه حروف المعجم ثم يعطى الدية بقدر ما لم يفصح منها و لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام في ا ب ت ث أنه قال الألف آلاء الله و الباء بهجة الله و الباقي و بديع السماوات و الأرض و التاء تمام الأمر بقائم آل محمد ص و الثاء ثواب المؤمنين على أعمالهم الصالحة ج ح خ فالجيم جمال الله و جلال الله و الحاء حلم الله حي حق حليم عن المذنبين و الخاء خمول ذكر أهل المعاصي عند الله**

عز و جل د ذ فالدال دين الله الذي ارتضاه لعباده و الذال من ذي الجلال و الإكرام ر ز فالراء من الرءوف الرحيم و الزاي زلازل يوم القيامة س ش فالسين سناء الله و سرمديته و الشين شاء الله ما شاء و أراد ما أراد و ما تشاءون إلا أن يشاء الله ص ض فالصاد من صادق الوعد في حمل الناس على الصراط و حبس الظالمين عند المرصاد و الضاد ضل من خالف محمدا و آل محمد ط ظ فالطاء طوبى للمؤمنين و حسن مآب و الظاء ظن المؤمنين بالله خيرا و ظن الكافرين به سوءا ع غ فالعين من العالم و الغين من الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة على الإطلاق ف ق فالفاء فالق الحب و النوى و فوج من أفواج النار و القاف قرآن على الله جمعه و قرآنه ك ل فالكاف من الكافي و اللام لغو الكافرين في افترائهم على الله الكذب م ن فالميم ملك الله يوم الدين يوم لا مالك غيره و يقول الله عز و جل لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ثم تنطق أرواح أنبيائه و رسله و حججه فيقولون لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ فيقول جل جلاله الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ و النون نوال الله للمؤمنين و نكاله للكافرين و ه فالواو ويل لمن عصى الله من عذاب يوم عظيم و الهاء هان على الله من عصاه لا فلام ألف لا إله إلا الله و هي كلمة الإخلاص ما من عبد قالها مخلصا إلا وجبت له الجنة ي يد الله فوق خلقه باسطة بالرزق سبحانه و تعالى عما يشركون ثم قال عليه السلام إن الله تبارك و تعالى أنزل هذا القرآن بهذه الحروف التي يتداولها جميع العرب ثم قال قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[1] .

ومنها ما في التوحيد أيضا عن علي عليه السلام قال عليه السلام (ما من حرف إلا و هو اسم من أسماء الله عز و جل ثم قال أما الألف فالله لا إله إلا هو الحي القيوم و أما الباء فالباقي بعد فناء خلقه و أما التاء فالتواب يقبل التوبة عن عباده و أما

---

(١) التوحيد ٢٣٢.

الثاء فالثابت الكائن يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا الآية و أما الجيم فجل ثناؤه و تقدست أسماؤه و أما الحاء فحق حي حليم و أما الخاء فخبير بما يعمل العباد و أما الدال فديان يوم الدين و أما الذال فذو الجلال و الإكرام و أما الراء فرءوف بعباده و أما الزاي فزين المعبودين و أما السين فالسميع البصير و أما الشين فالشاكر لعباده المؤمنين و أما الصاد فصادق في وعده و وعيده و أما الضاد فالضار النافع و أما الطاء فالطاهر المطهر و أما الظاء فالظاهر المظهر لآياته و أما العين فعالم بعباده و أما الغين فغياث المستغيثين من جميع خلقه و أما الفاء ففالق الحب و النوى و أما القاف فقادر على جميع خلقه و أما الكاف فالكافي الذي لم يكن له كفوا أحد و لم يلد و لم يولد و أما اللام فلطيف بعباده و أما الميم فمالك الملك و أما النون فنور السماوات من نور عرشه و أما الواو فواحد أحد صمد لم يلد و لم يولد و أما الهاء فهاد لخلقه و أما اللام ألف فلا إله إلا الله وحده لا شريك له و أما الياء فيد الله باسطة على خلقه فقال رسول الله ص هذا هو القول الذي رضي الله عز و جل لنفسه من جميع خلقه)[١] الحديث.

ومنها ما روي عنهم عليهم السلام في التعقيب (اللهم بألف الابتداء بباء البهاء بتاء التأليف بثاء الثناء بجيم الجلال بحاء الحمد بخاء الخفاء بدال الدوام بذال الذكر براء الربوبية بزاء الزيادة بسين السلامة بشين الشكر بصاد الصبر بضاد الضوء بطاء الطول بظاء الظلام بعين العفو بغين الغفران بفاء الفردانية بقاف القدرة بكاف الكلمة التامة بلام اللوح بميم الملك بنون النور بهاء الهيبة بواو الوحدانية بلام ألف لا إله إلا أنت بياء يا ذا الجلال و الإكرام)[٢] الدعاء.

ومنها ما في التوحيد أيضا بإسناده عن الجارود بن زياد بن المنذر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال (لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام كان ابن يوم كأنه

(١) التوحيد ٢٣٤.
(٢) مصباح الكفعمي ٦٧.

ابن شهرين فلما كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده و جاءت به إلى الكتاب و أقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال له المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أبجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني إن كنت تدري و إلا فاسألني حتى أفسر لك قال فسره لي فقال عيسى عليه السلام الألف آلاء الله و الباء بهجة الله و الجيم جمال الله و الدال دين الله هوز الهاء هول جهنم و الواو ويل لأهل النار و الزاي زفير جهنم حطي حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله لا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع و الجزاء بالجزاء قرشت قرشهم فحشرهم فقال المؤدب أيتها المرأة خذي بيد ابنك فقد علم و لا حاجه له في المؤدب)[1].

ومنها أيضا باسناده عن الأصبغ بن نباته قال قال أمير المؤمنين عليه السلام سَأَلَ عُثْمَانُ رَسُولَ اللهِ ص عَنْ تَفْسِيرِ أَبْجَدْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله تَعَلَّمُوا تَفْسِيرَ أَبْجَدْ فَإِنَّ فِيهَا الْأَعَاجِيبَ وَيْلٌ لِعَالِمٍ جَهِلَ تَفْسِيرَهُ فَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ تَفْسِيرِ أَبْجَدْ فَقَالَ أَمَّا الْأَلِفُ فَآلَاءُ اللهِ حَرْفٌ بِحَرْفٍ مِنْ أَسْمَائِهِ وَ أَمَّا الْبَاءُ فَبَهْجَةُ اللهِ وَ أَمَّا الْجِيمُ فَجَنَّةُ اللهِ وَ جَلَالُ اللهِ وَ جَمَالُهُ وَ أَمَّا الدَّالُ فَدِينُ اللهِ وَ أَمَّا هَوَّزْ فَالْهَاءُ هَاءُ الْهَاوِيَةِ فَوَيْلٌ لِمَنْ هَوَى فِي النَّارِ وَ أَمَّا الْوَاوُ فَوَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ وَ أَمَّا الزَّاءُ فَزَاوِيَةٌ فِي النَّارِ فَنَعُوذُ بِاللهِ مِمَّا فِي الزَّاوِيَةِ يَعْنِي زَوَايَا جَهَنَّمَ وَ أَمَّا حُطِّي فَالْحَاءُ حُطُوطُ الْخَطَايَا عَنِ الْمُسْتَغْفِرِينَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مَا نَزَلَ بِهِ جَبْرَئِيلُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ وَ أَمَّا الطَّاءُ فَطُوبَى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ وَ هِيَ شَجَرَةٌ غَرَسَهَا اللهُ وَ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ وَ إِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ تَنْبُتُ بِالْحُلِيِّ وَ الْحُلَلِ مُتَدَلِّيَةً عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ أَمَّا الْيَاءُ فَيَدُ اللهِ فَوْقَ خَلْقِهِ بَاسِطَةً سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَ أَمَّا كَلَمَنْ فَالْكَافُ مِنْ كَلَامِ اللهِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً وَ أَمَّا اللَّامُ فَإِلْمَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَيْنَهُمْ فِي الزِّيَارَةِ وَ التَّحِيَّةِ

(١) التوحيد ٢٣٦..

وَ السَّلَام وَ تَلَاوُمُ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَ أَمَّا الْمِيمُ فَمُلْكُ اللهِ الَّذِي لَا يَزُولُ وَ دَوَامُهُ الَّذِي لَا يَفْنَى وَ أَمَّا النُّونُ فَ ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ وَ الْقَلَمُ قَلَمٌ مِنْ نُورٍ وَ كِتَابٌ مِنْ نُورٍ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ وَ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً وَ أَمَّا سَعْفَصْ فَالصَّادُ صَاعٌ بِصَاعٍ وَ فَصٌّ بِفَصٍّ يَعْنِي الْجَزَاءَ بِالْجَزَاءِ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ إِنَّ اللهَ لَا يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ وَ أَمَّا قَرَشَتْ يَعْنِي قَرَشَهُمْ فَحَشَرَهُمْ وَ نَشَرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَضَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[1] . انتهى.

وقد ذكرت الروايات بطولها لما فيها من الأسرار الغريبة .

فظهر لك من هذه الأحاديث صدق ما ذكرنا أن هذه الحروف في أنفسها مع قطع النظر عن القرانات والإضافات التي هي الحجب و الأستار لا تدل إلا على نفسها التي هي تجلٍ من ربها فتدل على حسب ظهور ذلك التجلي في ذلك الحروف من غير إشارة وكل اسم وصفة إلهية وفعل وحادثة ربانية مبدؤه بهذه الأحرف أو مناسبة لها بأتم المناسبة فهي دالة عليها واسم لها كما يظهر ذلك من تضاعيف الأخبار الواردة في تفسيرها واختلافها فيه ومرد الجميع إلى الأسماء و الصفات والأفعال الإلهية هذا إذا أردنا بالنفس في قوله عليه السلام (**لا تدل على غيرنفسها**) هي النفس التي من عرفها فقد عرف الله وهي الحقيقة الواردة في حديث كميل لما سأل عن الحقيقة فقال عليه السلام (**كشف سبحات الجلال من غير إشارة**) (**ومحو الموهوم وصحو المعلوم**) و (**هتك الستر لغلبة السر**) الحديث .وأما إذا أردنا بالنفس حقيقتها من حيث هي مع قطع النظر عن القرانات والإضافات الخارجية فلهامعاني عجيبة وأسرار غريبة تدل الحروف عليها وهي معاني أنفسها بل هي أنفسها كما قال عليه السلام وروحي له الفداء وها أنا اشير إلى بعض تلك المعاني وأنموذج منها إذ بالتفصيل يطول الكلام اقتداء لأهل الفن واقتفاء لآثارهم .

---

(١) وسائل الشيعة ١٧/ ٣٢٩..

أما الألف فقالوا أنها من حيث الحقايق غيب لا يدرك ومحيط لا يملك ومن حيث اللطايف جوهر بسيط ومن حيث الإشارة وحدة مطلقة ومن حيث العبارة أنوار مشرقة وهو حرف نوراني وسر رباني روحاني جمالي صامت مفرد وهو اسم للقائم الأعلى الذي منه اسم الله ثم لكل مستخلف في القيام كآدم والكعبة واعلم أن الألف سر الأسرار ونور الأنوار ومفتاح الغيوب ومصباح القلوب فالباء بهاء الألف والتاء تاج الألف والثاء ثناء الألف والجيم جمال الألف والحاء حياء الألف والخاء خلق الألف والدال دوام الألف والذال ذات الألف و الراء روح الألف والزاء زين الألف والسين سناء الألف والشين شرف الألف والصاد صفاء الألف والضاد ضياء الألف والطاء طيف الألف والظاء ظاهر الألف والعين عالم الألف والغين غاية الألف و الفاء فهم الألف والقاف قلب الألف والكاف كمال الألف واللام لطف الألف والميم ملك الألف والنون نور الألف والهاء هداية الألف و الواو ولاية الألف والياء يقين الألف وهو حار يابس من الدرجة الأولى على الجملة ومن حيث التفصيل فيه برودة وهو في الدرجة الثالثة و حرارة في الدرجة الخامسة وهو أول مخلوق من الحروف وقد جعل الله فيه سر المراتب ومقام الألف مقام الجمع ومخرجه من الصدر وهو أول الاسم الأعظم وله من الملائكة جبرائيل ومن الأيام الأحد ومن الساعات ساعة الشمس ومن العلوية إسرافيل ومن المنازل الشرطين ومن البروج الأسد ومن السفلية الذهب ومن الهوائية همطائيل ومن البخور العود ولبان الذكر ومن خواصه الألفة والمحبة و غيرهما مما لسنا بصدد ذكره.

وأما الباء فمن حيث الحقايق مظهر جليل ومن حيث اللطايف قلم تفصيل ومن حيث الإشارة مبدء ودليل ومن حيث العبارة سبب و سبيل

وتعليل وهو حرف هوائي ظلماني سفلي جسماني جمالي ناطق متواخي ينصرف في خاصة الخاصة ومعناه أنه السبب الظاهر و منه مبدأ الاسم العلي وهو حرف من حروف الاسم الأعظم وهو حرف إشارة من قبيل الذات وفيه أيضا سر مضمر حيث قال (كنت كنزا مخفيا...إلخ) فهي متصرفة في الخلق علوية وسفلية وهي من الحروف الباقية إلى يوم القيامة وهي من باطن الألف ومده بلا نقطة لأنه عين ذلك كما أن عين الموجودات جميعها النقطة وفيها سر الأعداد وفيها معرفة الكون والفساد وبها كانت حقايق الأكوان وحرف الباء حار رطب في الدرجة الأولى على نسبة التفصيل وهو سر العالم الاختراعي وفيه سر الألف المبسوط الذي هو مقام النفس الكلية وله من الأيام يوم الاثنين ومن الساعات الساعة الأولى منه ومن الملائكة إسرافيل ومن الأرواح السفلية أبيض ومن الكواكب القمر ومن المنازل البطين ومن البروج السرطان ومن الملوك الهوائية بنيائيل ومن الأسماء الحسنى كل اسم يكون أوله حرف الباء مثل باسط وبديع .

وأما الجيم وهو حرف عالم الملكوت مشترك فيه جميع العالم العلوي ومن حيث الحقائق من حروف الجسم وهو مظهر جمالي ومن حيث اللطايف لوح اتصال ومن حيث الإشارة جمع جمال ومن حيث العبارة عقل فعال وهو حرف مائي ظلماني سفلي جمالي جلالي متواخي يتميز في العامة ومعناه أنه اسم للجمع العلي الذي تظهر به جميع الأسماء وينطق به الاسم الجامع وهو حرف جليل القدر ظهر فيه اسم الأحدية وهذا الحرف ينصرف في الخير والشر وهو في الأصل ينطق بثلاث جيمات فأول ذلك جيم الجمال فكانت مظهر الجمالات كلها وهي الجنة وجيم الجلال فكانت منها جهنم وجيم الجبروت وهي المعبر عنها بجيم القهر ويجمع الجميع مظهر الرحموتية وهو بارد رطب

له من الأيام يوم الجمعة ومن الساعات الزهرة ومن البروج الثور ومن المنازل الجبهة ومن الملائكة العلوية عنائيل ومن السفلية ذوبعة ومن الهوائية جهطائيل ومن الأسماء جامع جليل جواد وكل اسم يكون أوله الجيم.

وأما الدال فهو من حيث الحقايق حضرة كمال ومن حيث اللطايف مقام اعتدال ومن حيث الإشارة دوام واستقلال ومن حيث العبارة تكوني إقبال وهو حرف ظلماني ترابي سفلي وهوبارد يابس في الدرجة الأولى وبرودته في الدرجة الثانية وبه كمل الله الطبايع في عالم التفصيل والتركيب وظهر هذا الحرف في اسمه الدائم خصوصا و في اسمه الودود عموما ونطق في الاسمين الشريفين الذين هما أحمد ومحمد وله من الأيام يوم الأربعاء ومن الكواكب عطارد ومن البروج برج الجوزاء من المنازل الدبران ومن الملوك العلوية دردائيل ومن السفلية برقان ومن الهوائية دمطائيل ومن الأسماء دائم ومن البخور دار فلفل .

وأما الهاء فهو من حيث الحقايق وجوب وجوده ومن حيث اللطايف علم شهوده ومن حيث الإشارة إحاطة غيب كل ظاهر ومن حيث العبارة سرور الأرواح وهو حرف ناري هوائي من حروف الصدر روحاني جلالي صامت مفرد متميز في خاص الخاص وهو حرف قائم بنفسه (بنفس) ذاته من بواطن التوحيد وله من الأيام يوم الجمعة و من البروج الثور ومن الكواكب الزهرة ومن العلوية همطائيل ومن السفلية ذوبعة ومن الهوائية هعشمائيل ومن المنازل هنعة ومن الأسماء هو الهادي ومن الآيات هو الله الذي لا إله إلا هو .

وأما الواو فهو حرف من حروف العرش وهو من حيث الحقايق وجود مطلق ومن حيث اللطايف شهود مغلق ومن حيث الأسرار رفع باطنه هو

حرف هوائي ظلماني جمالي صامت منفرد متميز في خاصة الخاصة وله من الأيام يوم الثلاثاء ومن الكواكب المريخ ومن البروج العقرب ومن المنازل العوا ومن العلوية طغيائيل ومن السفلية الأحمر ومن الأسماء الحسنى كل اسم أوله الواو.

وأما الزاء فهو من حيث الحقايق عظمة بلا تقدير ومن حيث اللطايف مرتبة التصوير ومن حيث الإشارة قوة مرام ومن حيث العبارة نيل أدب وهو حرف مائي ظلماني وله من الأيام الأربعاء ومن الكواكب عطارد ومن البروج الجوزا ومن المنازل الزبانا ومن الخدام ميكائيل ومن السفلية برقان ومن الهوائية همطائيل ومن الأسماء الحسنى كل اسم أوله الزاء .

وأما الحاء فهو حرف نوراني وهو من حيث الحقايق جرم لا ضد فيه ومن حيث اللطايف جب لا سبيل للوصول إليه ومن حيث الإشارة بكامل صورة غيبية ومن حيث العبارة خروج من مضيق وعسر وهو حرف ترابي نوراني علوي روحاني جمالي صامت متواخي يتميز في صفاءعين الخلاصة ومعناه أنه اسم للكمال العلي الظاهر الذي منه اسمه الحي وهو حرف عظيم القدر وقوته الظاهر فيه ثمانية تشير إلى أبواب الجنة وهو حرف بارد في الدرجة الثانية في الجملة وعلى التفصيل حرف حار في الدرجة الأولى من نسبة الحياة وله من الأيام يوم الخميس ومن الكواكب المشتري ومن البروج القوس ومن المنازل الفرع المؤخر ومن الملائكة العلوية حرفائيل ومن السفلية شمهورش ومن الهوائية حطائيل ومن الأسماء كل اسم أوله الحاء مثل الحي الحكيم.

وأما الطاء فهو من حيث الحقائق علم إحاطة ومن حيث اللطايف تجريد بإماطة ومن حيث الإشارة تخلص تام ومن حيث العبارة انتقال و هو حرف من حروف الاستعلاء وهو سر في المبادي وله سر في العوالم العلوية وهو أصل

في اللطايف السفلية وأصل في التركيب البسطي وله من الأيام السبت ومن الكواكب زحل ومن البروج الدلو ومن المنازل طرفة ومن البخور الصندل ومن الملوك العلوية شمخائيل ومن السفلية ميمون ومن الهوائية مهطائيل.

وأما الياء فهو من حيث الحقايق عز لايرام ومن حيث اللطايف قوة إنعام ومن حيث الإشارة مسند كلي ومن حيث العبارة حصول معلوم وهو حرف من حروف الكرسي وهو نور خلقه الله في الكرسي به تشكلت الأشياء في عالم الإبداع الأول وبه يتصرف في عالم الإبداع الثاني وهو حرف حار رطب أصله الرطوبة في الدرجة الثانية والحرارة في الدرجة الأولى ولللياء إسناد كلي والاسم منه مخفي وله من الأيام يوم الجمعة ومن الكواكب الزهرة ومن البروج الثور ومن المنازل الحرمان ومن الأرواح العلوية عنائيل ومن السفلية ذوبعة ومن الهوائية هطمهطائيل ومن الأسماء ياه يه يهية .

وأما الكاف فهو من حيث الحقايق كمال ظهور ومن حيث الإشارة رتق وفتق ومن حيث المعنى رق منشور ونسبته نسبة الألف سواء وله من الأيام يوم الخميس ومن الكواكب المشتري ومن البروج القوس ومن المنازل البطين ومن الملوك العلوية سمسمائيل ومن السفلية شمهورش ومن الهوائية قهطهائيل (قههطائيل) ومن الأسماء الحسنى كل اسم أوله الكاف مثل الكافي الكريم الكبير واعلم أن الكاف هو باطن الأمر وباطن العلم وباطن العرش وباطن الكرسي وباطن السور وباطن الأملاك فباطن العوالم جميعا والكاف سر العقل والنون سر الروح والكاف والنون هما خزائن الله من قوله كن فيكون و الكاف سر الأمر والنون سر المأمور .

وأما اللام فهو أصل بدو وتمام وهو من حروف التعريف وهو من حروف الاسم الأعظم وهو من الحروف الأزلية وبها قوة ألفية وهو من

الحروف العوالي وهو من حيث الحقايق نسبة الأمر ومن حيث الإشارة مظهر الجمال والجلال ومن حيث اللطايف ذات اللطف وله من الأيام يوم الاثنين ومن الكواكب القمر ومن البروج السرطان ومن المنازل سعد السعود ومن العلوية صلصائيل ومن السفلية الحارث ومن الهوائية شمطائيل ومن البخور مصطكي ومن الأسماء كل اسم أوله اللام مثل اللطيف .

وأما الميم فهو من حيث الحقايق نفس كلية لأنه لا شكل له في ذاته ولا نطق له في صفاته وهو من حروف اللوح وهو حرف حار على الجملة وعلى التفصيل جمع بين رطوبتين وله من الأيام يوم الخميس ومن الكواكب المشتري ومن البروج الميزان ومن المنازل نعايم ومن السفلية شمهورش ومن العلويات طههائيل ومن الهوائية هطمائيل (هطهائيل) ومن الأسماء كل اسم أوله الميم.

وأما النون فهو من حيث الحقايق حرف نور وإحاطة ومن حيث الإشارة نور محض وهو حرف بارد رطب من حيث الجملة وعلى التفصيل حار رطب في الدرجة الرابعة وهو من صور العرش وحقيقة الأمر العلي لأنه هو باطن العلم والقلم وظاهر العرش وسر الامداد وله من الأيام يوم الثلاثاء ومن الكواكب والساعات المريخ ومن البروج الحمل ومن المنازل الغفر ومن الملوك العلوية نوريائيل ومن السفلية الأحمر ومن الهوائية همطائيل ومن الأسماء كل اسم أوله النون .

وأما الصاد فهو من حيث الحقائق صفاء محض ومن حيث الإشارة حرف صمدانية ومن حيث اللطايف فيه سر الصفات وهو حرف بارد في الدرجة الرابعة على الجملة وأما التفصيل حرارة وسطية وهو حرف من حروف الملكوت وهو صور المعلوم وهو الحامل للأرواح العلوية والسفلية وهو

المكان وزمان التصريف وهو حرف قائم بنفسه.

وأما العين فهو من حيث الحقايق سر الحجب الملكوتية ومن حيث الإشارة فيها قوة علمية ومن حيث اللطايف غيب لا يدرك وهو حرف بارد رطب في الدرجة الرابعة من حيث الجملة ومن حيث التفصيل فيها رطوبتان وهو أول صور العرش وأول حروفه وأول عوالمه وأول عوالم اختراعه وله من الأيام يوم الأحد وقد تقدم ذكر الأحد وماله من البروج والمنازل.

وأما الفاء فهو من حيث الحقايق حرف ينطق بالفردية ومن حيث النسبة حرف مجوف وينطق عن عالم الملك والملكوت وهو حرف ناري حار في الدرجة الرابعة وللفاء من الأيام يوم الاثنين وقد تقدم ماله من البروج والمنازل فلا نعيده.

وأما السين فهو حرف عظيم القدر من عالم الأمر وهو أول حرف ألقي من الباء وهو أصل إيجاده ومعطي حقيقته وهو أول سر قامت به السموات والأرض وهو من حروف الاسم الأعظم وله شكل في العرش وله ظاهر وباطن فظاهره صامت وبه قامت السموات وبباطنه أمسكت العلويات من الكرسي والعرش وما هو من نسبتها من ملائكة العلوي.

وأما القاف فهو حرف إحاطة وقهر وهو نور الأنوار وهو حقيقة ما أظهره القلم وهو حرف بارد من حيث الجملة وهو حرف ممتزج في الدرجة الخامسة وهو حرف إحاطي ونسبته في الأسماء التسعة و التسعين وهي داخلة تحت الاسم الأعظم بكماله لأنه تمام المائة.

وأما الراء فهو حرف عالم الاختراع وفيه سر بعث الأرواح وهي دائرة الهاء التوحيدية في الدائرة النبوية وهو بارد في الدرجة الخامسة وأول حرف كتبه القلم وأول حرف انتقش في العرش.

وأما الشين فهو مبدأ الوجود الثاني وأصل الاختراع الثاني ومبدأ المثلث الظاهر بالحروف المعجم وهو سر ظهوره في العالم الأسفل في العالم الأعلى وهو حرف ناري حار يابس في الدرجة الرابعة في الجملة ومن حيث التفصيل في المرتبة الرابعة التي تحت الثالثة التي تحت الثانية التي تحت الدقيقة.

وأما التاء فهو مجمع كل تفصيل من حيث الأمر ومن حيث الإشارة ثبوت الإلهية ونفي الأغيار وهو حرف عظيم القدر ونطق باسمه تواب وله من الأيام يوم السبت وقد مضى ما هو المخصوص بهذا اليوم من العوالم والأحوال والملوك .

وأما الثاء فهو حرف ثبوت كالجبل العظيم ورتبته أقوى الرتب وله من الأيام يوم الخميس وما يختص به من البروج والمنازل ومن الأسماء كل اسم ينطق بالثاء مثل ثابت ومغيث وغياث وباعث ومن أدرك سر هذا الحرف نال الكشف على سر الحكمة الإلهية.

وأما الخاء وهو حرف خيرة وخيرة وهو حرف مائي من حيث الجملة ومن حيث التفصيل حرف ترابي وله من الأسماء كل اسم ينطق به أوله الخاء مثل الخبير وله من الأيام يوم الخميس وما يختص به.

وأما الذال فهو من حيث الحقايق حكيم ومن حيث اللطايف فهيم وهو حرف قوي الطبع يعطي حامله قوة قهرية وهو حرف ناري حار يابس في الجملة وعلى التفصيل في الدرجة الخامسة وله من الأيام يوم الثلاثاء وما يناسبه من البروج والمنازل والملوك

وأما الضاد فهو من حيث الحقايق مظهر انتقام ومن حيث الإشارة ظهور كون وأكوان وهو حرف حار رطب من حيث الجملة ومن حيث التفصيل هو حرف بارد يابس وله من الأيام يوم السبت ومن البروج السنبلة ومن

الكواكب زحل إلى آخر ما بيناه

وأما الظاء فهو حرف ضياء وظهور وفيه ظهرت الكرامات العظيمة في التلفظ والنطق من الأسماء العظام وهو من الحروف العلوية وهو حرف هوائي حار رطب في الدرجة الرابعة في الإجمال و في الدرجة الخامسة في التفصيل.

وأما الغين فهو غناء مطلق وغياث لمن استغاث وهو حرف مائي في الدرجة الرابعة على الإجمال وفي الخامسة على التفصيل وفي السابعة على تفصيل التفصيل وهو نوراني باطني سري في أنواع اختصاصه بأمر إلهي وله من الأيام يوم السبت وجميع ما يختص بذلك اليوم من البروج والمنازل والملوك .

وهذا الذي ذكرنا قليل من كثير ما ذكر علماء الفن من معاني الحروف في نفسها فإذا أطلق كل حرف مفردا مفردا يراد به نفس معناها أو معنى نفسها ومعنى نفسها هو الذي أشرنا إلى مجملها وأما التفصيل فلا يناسب المقام فليطلب في الكتب المفصلة في هذا الشأن وهذا هو المراد بقوله عليه السلام والحروف لا تدل على غير نفسها ونفسها هي الأمور والأحوال المذكورة التي ذكرناها فافهم .

ولما كانت هذه الدقايق أمورا خفية لا يهتدي إليها إلا الأقلون الذين كشف الله عن نور أبصارهم وبصائرهم تحير المأمون في معنى هذا الكلام وقال كيف لا تدل على غير أنفسها أي أي شيء نفسها وأي شيء دلالتها على نفسها وما كيفية هذه الدلالة ولما كان المأمون ومن حضر لم يكونوا ممن يشرح لهم تلك الأحوال ويبين لهم تصاريف الحروف ومعانيها الإلهية التي جعلها الله تعالى لها من الأسرار الخفية و أنحاء التأثيرات والتصريفات إما لقلة إدراكهم وتفطنهم لدقايق الأمور أو لطلبهم كيفية ظهور تلك المعاني والتأثيرات والتصريفات وكان يترتب على إظهارها فساد كلي أعرض عليه السلام عن بيانها ونظر إلى ما قال الله عزوجل ﴿**وَلَا تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي**

جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[1] فأشار عليه السلام إلى كيفية تأليف الحروف للمعاني وتحصيلها من الهيئة التركيبية ولا شك أن اللفظ لا يحصل قبل التأليف (الحروف) ولا يحصل المعنى المخصوص قبل تحقق اللفظ فاختلاف المعاني باعتبار الهيئات و الصور المختلفة على تلك الحروف التي هي بمنزلة المادة والهيولى لها ولا ريب أن تلك الحروف لا تدل على تلك المعاني الحاصلة بالهيئة التأليفية فقبل التأليف لا تدل إلا على نفسها فإذا قلت ا ب ت ث لا تريد بها معنى غير نفس هذه الأحرف وما أودع الله سبحانه في سرها من الحقايق واللطايف والإشارات وأما المعاني المحدثة فلا تدل الحروف عليها.

ولما ذكر عليه السلام سابقا أن الألفاظ والعبارات كلها من الله سبحانه وبين أن الواضع هو الله تعالى أراد عليه السلام في ضمن البيان تشييد تلك الدعوى وتأسيس ذلك البناء فقال عليه السلام **(لأن الله تعالى لا يجمع شيئا منها لغير معنى أبدا)** فبين عليه السلام أن دلالة اللفظ على المعنى بوضعه له والوضع إنما هو جمع الحروف وتأليفها و صوغها على هيئة المعنى المقصود للدلالة على المعنى المقصود لا غير والجامع لتلك الحروف بتلك الهيئات هو الله تعالى فيكون سبحانه هو الواضع لها على جهة العموم وخالقها ومودعها في الخزائن الغيبية ثم أنزلها إلينا شيئا فشيئا بواسطة خلق علم ضروري فينا لئلا نحتاج لإدراكها إلى وسائط ليلزم الدور أو تعسّر الوصول وتعذر بالإشارات والترديد بالقرائن ولذا قال عليه السلام **(فإذا ألف منها أحرفا أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى أبدا ولم يك إلا أمر محدث لم يكن قبل ذلك)** ونبه عليه السلام بل صرح بقوله هذا أن الدلالة لا تكون إلا بالوضع مطلقا لأنها

---

(١) سورة النساء ٥.

إنما حصلت بعد التأليف وهو أمر حادث وذلك لا يخلو إما أن يؤلفه مؤلف عبثا وهباء ثم يأتي الآخرون ويضعون تلك الجمل المؤلفة للمعاني من دون ملاحظه المناسبة أو تكون لكل جملة مجتمعة مناسبة لمعنى من المعاني فتدل عليه بلا حاجة إلى وضع وجعل وتخصيص أبدا.

ولما كان ما ينسبون إلى أهل القول بالمناسبة الذاتية بين الدال و المدلول إنكار القول بالواضع مطلقا لا يتم ولا يتحقق إلا بهذا القول نفى عليه السلام ذلك وقال أن الجامع المؤلف هو الله تبارك وتعالى فكيف يتصور أن يجمع الله سبحانه حروفا لا لأجل معنى ثم تدل عليه بالمناسبة أو بالوضع بل الله سبحانه ألفها وجمعها رباعية أو خماسية أو سداسية أو ثلاثية أو ثنائية لأجل معنى لا محالة وإلا كان سبحانه عابثا تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا فلم يكن التأليف إلا لمعنى فلا تنفك الدلالة عن الوضع أبدا وأما القول بالمناسبة فمن جهة تأليف تلك الحروف وجمعها على هيئة وترتيب مناسبة للمعنى المراد لا عدم الوضع مطلقا كما هو الحق الذي لا مناص عنه وقد شرحت تفصيل القول في ذلك في الرسالة الموضوعة لتحقيق المناسبة بين اللفظ و المعنى وتحقيق الحق في الواضع.

ونبه عليه السلام أيضا على أن المعنى المدلول عليه من اللفظ متأخر أو مساوق للفظ فيكون اللفظ قبل المعنى مع أن المشهور المعروف الذي ملأ الأصقاع وخرق الأسماع أن المعنى مقدم على اللفظ وأن اللفظ فرع أتي به مقدمة لإفادة المعنى واستفادتها فكيف يكون الفرع مقدما على الأصل والجواب أن المعنى قد يطلق ويراد به الأمر الخارجي الموضوع له المقصود للإفادة والاستفادة وهذا لا شك أنه مقدم على اللفظ وإنه إنما يصاغ على هيئة نسبته ولإفادته واستفادته وهو الموضوع له فلو لم يكن موجودا متحققا ثابتا لما يعقل ما ذكرنا

ومرة يطلق المعنى ويراد به المعنى الحاصل المفهوم من اللفظ الواقع في النفس بواسطة قرع اللفظ بتوسط تصادم أجزاء الهواء طبل الأذن فينتقش صورته في الحس المشترك على حسبه من الصفاء و الكدورة والسعة والضيق ثم من الحس المشترك ينتقش في الخيال ثم منه ينتقش في النفس فتدرك المراد وتفهم ولا شك أن المعنى المدرك أمر انتزاعي من اللفظ وإنما هو شبح له وصفة استدلال عليه فإن المعنى على ما هو التحقيق هو الدلالة الحاصلة من اللفظ الواقعة على قلب المخاطب المحدودة بحدود القلب والدلالة شعاع اللفظ ولذا كانت صفة له لا صفة المعنى وإنما هي نفس المعنى من الجهة العليا فالذي احتمل أن تكون الدلالة صفة للمعنى فقد أخطأ ولا يستريب عاقل أن المعنى المفهوم من اللفظ من حيث هو كذلك ليس هو العين الخارجي ضرورة وقوع الاختلاف في المعنى المدرك المفهوم من اللفظ ووحدة الأمر الخارجي وعدم تغيره ولكن لما كان المعنى المدرك صفة استدلال للعين الخارجي تبطل المغايرة في النظر والوجدان.

ومثال ذلك المرآة والمقابل فإنك إذا أردت أن تظهر أمرا لست مقابلاً له أخذت لأجل إظهاره مرآة فانطبعت صورة المقابل فيها فعرفتها بالصورة والشبح لا بالحقيقة والذات وإلا لما احتجت إلى المرآة فهناك ثلاثة أشياء ظاهرة عين خارجي متأصل هو المقصود بالذات والمتوجه إليه بالحقيقة وشبح منفصل عنه في المرآة مساوق للمرآة ومتأخر عنها في الوجود إذا جعلت المرآة عبارة عن الزجاجة أو متأخر عنها في الظهور والتحقق لا في الوجود والتكون إذا جعلتها عبارة عن نفس الصورة من حيث حكايتها ودلالتها على المقابل الخارجي وشبح منفصل عن المرآة في العين على ما هو التحقيق في الإبصار بأنه بالانطباع لا بخروج الشعاع وهذا بحسب الظاهر

وأما في الحقيقة هناك أربع أشياء المقابل والشبح المنفصل عن الشبح المتصل به في وقت بروزه ومكان ظهوره والشبح المنفصل عن الشبح المنفصل عن الشبح المتصل في العين فالمعنى الحقيقي الذي وضع اللفظ بإزائه هو المقابل واللفظ مرآة تقابل ذلك المعنى بذاته أو بشبحه المنفصل وقلب المخاطب مرآة تقابل اللفظ فما في القلب من المعنى شبح وشعاع لما في اللفظ وما في اللفظ شبح وشعاع للعين الخارجي ولا شك أن هذه الأشباح والأشعة متأخرة عن وضع اللفظ وهي أمر محدث لم يكن قبل ذالك كما أن صورتك أمر محدث لم تكن قبل المرآة على المعنى الأعم فإذن لا منافاة بين قوله عليه السلام **(ولم يك إلا أمر محدث لم يكن قبل ذلك)** وبين ماهو المحقق المعلوم أن المعنى أصل اللفظ واللفظ فرع أتي به للإفادة والاستفادة بل في كلامه عليه السلام إشارة إلى تلك الحقايق التي تبتني عليها العلوم والأسرارخصوصاً في التوحيد فإن كل ذلك شرح كلام جده أمير المؤمنين عليه السلام **(انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله)** وقوله تعالى **﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾**[1] فافهم الإشارة بصريح العبارة.

ونبه أيضا عليه السلام بل صرح أن المعاني المتحصلة بعد التأليف والتركيب لم يكن قبل التأليف في الأجزاء الحرفية وعلى هذا المعنى يحمل قوله عليه السلام (ماوصل إليكم من فضلنا إلا ألف غير معطوفة)[2] هـ. فإن المعاني المختلفة المتجددة

(١) الصافات ١٦٤ – ١٦٥.

(٢) الكافي ١ / ٢٧٩ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ شَبَابٍ الصَّيْرَفِيِّ عَنْ يُونُسَ بْنِ رِبَاطٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَ كَامِلٌ التَّمَّارُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ كَامِلٌ جُعِلْتُ فِدَاكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ فُلَانٌ فَقَالَ اذْكُرْهُ فَقَالَ حَدَّثَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ص حَدَّثَ عَلِيّاً ع بِأَلْفِ بَابٍ يَوْمَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله كُلُّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفِ بَابٍ فَقَالَ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَظَهَرَ ذَلِكَ لِشِيعَتِكُمْ وَ مَوَالِيكُمْ فَقَالَ يَا كَامِلُ بَابٌ أَوْ بَابَانِ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا يُرْوَى مِنْ فَضْلِكُمْ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ بَابٍ إِلَّا بَابٌ أَوْ بَابَانِ قَالَ فَقَالَ وَ مَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَرْوُوا مِنْ فَضْلِنَا مَا تَرْوُونَ مِنْ فَضْلِنَا إِلَّا أَلْفاً غَيْرَ مَعْطُوفَةٍ.

بحار الأنوار ٢٥/ ٢٨٣ عن كامل التمار قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقال لي يا كامل اجعل لنا ربا نؤب إليه و قولوا فينا ما شئتم قال قلت نجعل لكم ربا تؤبون إليه و نقول فيكم ما شئنا قال فاستوى جالسا ثم قال و عسى أن نقول ما خرج إليكم من علمنا إلا ألفا غير معطوفة

لاتحصل إلا بتأليف الحروف وتركيبها ونظمها على وجه يليق والتأليف لا يكون إلا بعد وجود الحروف والحروف لاتوجد إلا بانعطاف الألف اللينة وميولاتها إلى جهة الحدود والقيود فعدم الانعطاف دليل على عدم الحروف الذي هو دليل على عدم التأليف الذي هو دليل على عدم إفادة المعنى أصلاً فحاصل مراده عليه السلام أنه ليس عندكم شيء من فضائلنا بوجه من الوجوه وإنما عبر بالألف غير المعطوفة ولم يعبر بالحروف الغير المألفة لإفادة المعنى لأن الحروف مبادئ الحروف المتمايزة التي قوتها القريبة التأليف وأما الألف الغير المعطوفة فليس هناك شيء لا إجمال ولا تفصيل فالمبالغة والتأكيد في عدم وصول شيء من فضائلهم صلى الله عليهم إلى شيعتهم أبداً في الألف الغير المعطوفة آكد وأكثر كما لا يخفى فظهر أن في كلامه عليه السلام التنبيه إلى ثلاثة أشياء وكلها مرادة كما أشرنا إليه فافهم وتفطن والمراد من باقي الفقرات في قوله عليه السلام جواباً لعمران رضي الله عنه لما قال فكيف لنا بمعرفة ذلك قال (أما المعرفة فوجه ذلك الخ) يظهر مما ذكرنا لأنها توضيح وتكرير لما ادعاه وتكرير لما ادعاه سابقاً وأوضحه مشروحاً فلا يحتاج إلى شرح زايد عما ذكرنا.

وقوله عليه السلام **(وجمعت منه أحرفاً وجعلتها اسماً وصفةً لمعنى ما طلبت ووجه ماعنيت)** كانت دليلة على معناه صريح في لزوم المناسبة الذاتية بيناللفظ والمعنى لأنه عليه السلام بيّن أن اللفظ صفة للمعنى والصفة إذا لم تكن مناسبة مشابهة لم تكن صفة وبينهما اقتران واتصال لم تظهر آثارهما إلا بذلك الاقتران وذلك يستلزم المناسبة بين الصفة والموصوف وأن الصفة من حيث الصفتية لا تخالف الموصوف وتكون على هيئته وشكله فوجب أن تكون الألفاظ على هيئة المعنى وصفته وذلك مانعني من المناسبة فإن الأصل في الصفة المشابهة والمناسبة كما دريت ولا ريب أن الصفة المناسبة أولى وأكمل في النظام وأحسن

في مدارك الأفهام والله سبحانه هو القادر على ذلك ولايترك سبحانه الراجح الأكمل البتة كما دلت عليه أدلة التوحيد فإذا ثبت أن الواضع هو الله سبحانه ثبتت المناسبة لأن الله عز وجل لا يهملها البتة والإمام عليه السلام نص على الأمرين أي بالمناسبة وبكون الواضع هو الله عز وجل بما لايحتمل الإنكار والمنع.

قال عليه السلام **واعلم أنه لاتكون صفة لغير موصوف ولا اسم لغير معنى ولا حد لغير محدود والصفات والأسماء كلها تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الإحاطة كما تدل على الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسديس لأن الله جل وعز عن أن تدرك معرفته بالصفات والأسماء ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك وليس يحل بالله عز وجل وتقدس شئ من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرناها ولكن يدل على الله عز وجل بصفاته ويدرك بأسمائه ويستدل عليه بخلقه حتى لايحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب فلو كانت صفاته جل ثناؤه لاتدل عليه وأسماؤه لاتدعو إليه والمعلمة من الخلق لاتدركه لمعناه كانت العبارة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه فلولا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله تعالى لأن صفاته وأسماءه غيره أفهمت قال نعم ياسيدي زدني.**

لما بين عليه السلام بأن الحروف هي الأصل في الأشياء كلها وعليها اجتمعت الأمور وبها تفريق كل اسم حق وباطل وذكر عليه السلام بسايط الحروف وأنها هي الأصل الذي تدور عليه اللغات التكوينية والتدوينية كلها وأن تلك العبارات والكلمات الحاصلة من تأليف تلك الحروف صفات وأسماء تدل على المعنى المقصود الحقيقي بما فيها من المعنى المحدث الذي لم يكن قبل ذلك وذكرنا من كلامه عليه السلام أن ذلك المحدث هو الدليل على المعنى الحقيقي

المقصود الغير المقترن وأن كل اسم وصفة تدلان على ذلك المعنى الاقتراني التحديدي من حيث الوضع والجمع والتأليف أراد عليه السلام أن يزيل شبهة ويرفع واهمة وهي أن الحروف لما كانت حادثة بأصولها وفروعها كما نص عليه عليه السلام والأسماء والصفات مؤلفة وحاصلة من تلك الحروف فكيف تكون أسماء وصفات للقديم تبارك وتعالى الذي ليس فيه اقتران ولا ارتباط وكيف يعرف الله القديم بالحادث مع أن الشئ لا يعرف إلا بما هو عليه وما هو عليه الحادث أن يكون باطلاً فقيراً فانياً مركباً محدوداً مختلفاً ذا معاني كثيرة وكل ذلك خلاف ما عليه القديم فكيف يعرف أحدهما بالآخر.

فقال عليه السلام **(واعلم أنه لايكون صفة لغير موصوف ولا اسم لغير معنى ولا حد لغير محدود)** حاصل الجواب أن الصفة لاشك أنها غير الموصوف لكنها مستلزمة للموصوف مقترنة به مغايرة معه وكذلك الاسم غير المسمى لكنه مقارن له ومتصل به و كذلك الحد والمحدود **(الحد غير المحدود)** وبين هذه الأمور استلزام وتضايف لايكون كل واحد منها من حيث هو كذلك بدون الآخر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **(لشهادة كل صفة على أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف على أنه غير الصفة وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث)**[1] فموصوف تلك الصفات ومدلول تلك العبارات ومسمى تلك المسميات حينئذ لا يجوز أن تكون هي الذات القديم تبارك وتعالى لكونه منزهاً عن الاقتران والارتباط فيكون مسمى الأسماء وموصوف الصفات حينئذ هي الأفعال والظهورات الفعلية المتعلقة بالمفعولات والمحدودة المقترنة بوجه من وجوهها بها فإن الذات البحت من حيث هي لا اسم لها ولا رسم فلما ظهر بالقدرة سمي قادراً ولما ظهر

---

(١) بحار الأنوار ٤ / ٢٨٤.

بالعلم سمي عالماً ولما ظهر بالخلق سمي خالقاً ولما ظهر بالرزق سمي رازقاً وهكذا ساير الأسماء كلها لجهة من جهات الظهورات الفعلية وهي المسماة لها والموصوفة بها من حيث الاقتران والارتباط وهي الموضوعة لها الأسماء والصفات لاغير ولكن لما كانت تلك الموصوفات والمسميات والمدلولات كلها جهة من الجهات الفعلية والفعل بجهاته وشئوناته مضمحل باطل فإن الفعل غير مذكور عند الفاعل والذات فإذا رأيت الصفة دلتك على وجود الذات من غير التفات إلى فعل أو إلى حركة أو إلى ظهور أو غير ذلك فلا تنظر إليها إلا وتتوجه إلى صرف الذات البحت مثلاً إذا قلت يا قائم فإن القائم اسم لجهة ظهور الشخص بالقيام بالهيئة المعروفة وتلك الجهة الظاهرة بالهيئة الخاصة هي المعتبرة في مدلول القائم ولكنك إذا خاطبت به أحداً وقلت يا قائم لا تذكر تلك الجهة ولا تلتفت إليها ولا تخطر بخاطرك ذلك وإنما قصدك يتمحض في إرادة الذات البحت غير ملتفت إلى شئ غيرها فموصوف تلك الصفات ومسمى تلك الأسماء بهذا الاعتبار هو الذات لا غير أي المقصود من الاسم والمراد من العبارة لا ما تقع عليه العبارة وتتصل به الإشارة ولذا قال الصادق عليه السلام **(من عبد الاسم دون المسمى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمسمى معاً فقد أشرك ومن عبد المسمى بإيقاع الأسماء عليه فذلك هو التوحيد)**[١] وفي رواية **(ومن عبد المسمى دون الاسم فذلك التوحيد)**[٢] هـ ولا شك أن المعبود لا يصح أن يكون لغير الذات سبحانه وتعالى فالمسمى في هذا الحديث هو الذات لكن على الوجه الذي ذكرت لك بأن تلتفت بالاسم إلى الذات ولا تلتفت إلى الجهة المغايرة ولا إلى الظهورات الفعلية فبهذا الاعتبار جاز لك أن تجعل تلك الأسماء والصفات دالات على الذات.

---

(١) الكافي ١/ ٨٧.
(٢) الكافي ١/ ٨٧.

والدليل على أن الموضوع له للأسماء هي الجهات الفعلية لا الذات أن كل اسم لايدل إلا على الجهة الخاصة فيه ولا يدل على غيره مثل الاسم القائم لا يدل على القاعد والآكل والشارب وغير ذلك فلو كان اسماً للذات فإذا دل على الذات دل على جميع الصفات لأنها كلها قائمة بها فالدليل على الأصل دليل على الفرع بالطريق الأولى وثانيا أن الاسم لو كان للذات لما جاز أن توصف بضده إلا بعد انقلاب الذات إلى حقيقة أخرى وثالثاً أنه لو كان اسماً للذات لزم تغيير الذات بأثره فإنها قبل القيام مثلاً لم يكن قائماً ولم يثبت لها هذا الاسم إلا بعد القيام فلو كان الاسم للذات لحدث فيها مالم يكن عندها قبل وهذا هو التغيير ثم إن هذا التغيير إنما كان بأثره ومن المستحيل أن يكون الشئ متغيراً بأثره ومنفعلاً عنه وقد ذكرت تفصيل القول في هذا المقام في أجوبة بعض المسائل وقد أشبعنا الكلام هناك بما لامزيد عليه ومرادنا هنا الإشارة إلى نوع البيان لاغير وأما أنه إذا أطلق لايراد به إلا الذات فمما لاشك فيه وقد أجمع المسلمون بل جميع المليين على أن الصفات و الأسماء لله يدعى بها وقال الله تبارك وتعالى ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾[1] فإذا كانت الأسماء لله تعالى فيكون هو المسمى لها والمراد منها وأما المسمى بمعنى المقترن فهو منزه عنه فالصفة إذا أطلقت يراد بها معنيان أحدهما ملاحظة اقترانها بالموصوف وارتباطها واتصالها به وبهذا المعنى لا تدل على الكمال والوجود وإنما تدل على الحدود والهيئات من التربيع والتثليث والتسديس فإن الحدود لاتخلو عن الكميات والكيفيات فإذا قلت القائم ونظرت إلى جهة الاقتران بالهيئة الخاصة يدلك على هيئة القيام من شكل المثلث و إذا قلت قاعداً وأردت الهيئة الاقترانية بالجهة الخاصة دلك

---

(١) سورة الأعراف ١٨٠.

على هيئة القعود من شكل المربع ألا ترى أنك إذا نظرت إلى الكاتب من حيث تعلق فعله بالكتابة ما دلك إلا على الهيئات المعوجة والمستقيمة والحدود كلها التي فيها التثليث والتربيع والتسديس وغيرها من الحدود وليس في الذات شيء من هذه الحدود ولا يجوز توصيف الله سبحانه وتعالى بتلك الصفات وليست هي صفات له وإنما هي صفات لخلقه وثانيهما ملاحظه الذات ماحية لجميع القرانات والروابط فالمدلولات والإضافات كلها تحترق عند سطوع شعاع نور الذات فإذا أطلقت الصفة لا تريد بها إلا الذات البحت فهي بهذا الاعتبار تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الإحاطة.

أما دلالته على الكمال فلأن الكمال كله في الاستقلال والوحدة كما أن النقص كله في الفقر والكثرة فإذا توجهت بالاسم إلى حقيقة ثابتة ماحية بظهورها جميع الأغيار منفية عندها جميع الكثرات فقد وصفتها بكل الكمالات والصفات والأسماء وإن كانت من حيث التعلقات مختلفة لكن الناظر إلى الذات لا ينظر إلى التعلقات ولا يلتفت إلا إلى الحق الثابت البات فالناظر دائماً ينظر إلى الوحدة مستقلة ثابتة وهو الكمال المطلق وأما عدم دلالته على الإحاطة فلأن الشيء إذا عرف بالصفة يعرف بوجه من وجوه فعله لا بعين ذاته مثلاً إذا عرفت القائم عرفت ذاتاً مستقلة ثابتة ظاهرة بالقيام ولم تعرف أن تلك الذات ذكر أو أنثى صغير أو كبير أبيض أو أحمر أو أصفر أو أخضر جني أو إنسي مختار أو مجبور عالم أو جاهل له صفة غيرها أم لا عالي أم داني مجرد أم مادي بسيط أم مركب لطيف أم غليظ طويل أم قصير سخي أم بخيل عادل أم فاسق مستوي الخلقة أم لا وغيرها من الأحوال والصفات الذاتية والفعلية فلو دلتك الصفة على كنه الذات دلتك على هذه الأمور وغرا فإنها أعراض والدال على الذات دال على الشئون والأحوال فلا تدل الصفة على

الإحاطة أبداً وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام **(صفة استدلال عليه لاصفة تكشف له)** ولذا قال عليه السلام **(فلا تدل على الإحاطة)** الكشفية **(كما تدل على الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسديس)** يعني أن الصفات من جهة الاقتران والارتباط تدل على الحدود التي هي الشئون الخلقية وبهذا النظر والاعتبار لا يجوز توصيف الله تعالى بها لأن الله عز وجل لايدرك بالتحديد والتشبيه و يحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام **(والأسماء والصفات كلها تدل على الكمال والوجود ولا تدل على الاحاطة كما تدل على الحدود)** الفرق بين معرفة الشئ بأسمائه وصفاته وبين معرفته بحدوده فإن المعرفة الأولى تدل على الكمال والوجود لأن اسم الشئ جهة من جهات فعله فيدل على ذلك الكمال الفعلي ووجود الفاعل وإلا لما صدر عنه الفعل ولا يدل على الإحاطة لأن الصفات ليست أعراض حالة بالموصوفات قائمة بها قيام عروض بل الصفات الكمالية كلها أعراض قائمة بفعل الموصوف قيام صدور وقائمة بالمفعول قيام ظهور بل قيام تحقق. مثاله الصورة الظاهرة في المرآة صفة حاكية للمقابل دالة عليه وليست محيطة به مكتنفة عليه فإن له ألف ألف ألف صورة ومثال غيرها وأما الحدود فلما كانت هي التي عزلت تلك الحصة من المادة عن غيرها من الحصص فكانت محيطة بها مكتنفة عليها من جميع جهاتها فإن هيئة التربيع التي حددت المربع جزء مقوم محدد لذات ذلك الشئ من حيث هو كذلك ومن هذه الجهة ترى المنطقيين يسمون الذي يبين الشئ بجميع ذاتياته حداً تاماً والذي يبين الشئ و يعرفه بعوارضه وبعض جهاته رسماً والرسم هو الاسم والاسم هو الصفة فمن هذه الجهة قال عليه السلام **(لأن الله جل وعز عن أن تدرك معرفته بالأسماء والصفات ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك)** فإن هذه

الحدود نهايات الشئ وهو محاط متناه بها وهو سبحانه (**ليس يحل به شئ من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرناها**) فنفى عليه السلام أن يعرف الخلق بأنفسهم ربهم لأنهم حوادث مجبولة على الفقر والضعف والاختلاف والكثرة والنقص فكيف يعرف بها ما هو منزه عنها.

واعلم أن الروايات في هذا الباب مختلفة ففي بعضها ما يدل على أن الله تعالى لا يعرف بخلقه والخلق حجاب عن معرفته فمن عرف الله بالخلق فقد كفر فمما يدل على ذلك ما روى الكليني رحمه الله عن الصادق عليه السلام (**إن الله أجل من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به**)[1] ومن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام (**لو عرفت الله بمحمد لكفرت ولو عرفت محمداً بالله لحددت**) ذكرت معنى الحديث على ما أخبرني به بعض الثقات ومن ذلك هذا الحديث الشريف في قوله عليه السلام (**حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم**)[2] ومن ذلك ما يدل على أن الله يعرف به ولا يعرف بغيره كما في قوله عليه السلام (**اعرفوا الله بالله**)[3] وفي الدعاء (**يا من دل على ذاته بذاته**)[4] وفيه أيضا عن سيد الساجدين (**بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت**)[5] وأمثالها من الروايات الدالة على أن الله تعالى لا يعرف بغيره وإنما يعرف به مع ما دل من الدليل القطعي القائم على أن الشئ لايعرف إلا بما هو عليه فلا يعرف الطويل بالقصر ولا الأبيض بالأحمر وهكذا فيما عدا ذلك.

وفي بعض الروايات الأخر ما يدل على أن الله تعالى لا يعرف إلا بخلقه و لا يعرف بذاته فمن ذلك الحديث القدسي المشهور (**كنت كنزاً مخفياً فأحببت**

---

(١) الكافي ١ / ٨٦.
(٢) بحار الأنوار ١٠ / ٣١٥.
(٣) الكافي ١ / ٨٥.
(٤) دعاء الصباح لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام.
(٥) دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن مولانا زين العابدين عليه السلام.

أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) ومن ذلك الحديث النبوي (**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**)[1] ومن ذلك الحديث العلوي (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)[2] ومنه عنه عليه السلام (**نحن الأعراف الذين لايعرف الله إلا بسبيل معرفتنا**)[3] ومن ذلك قولهم سلام الله عليهم (**بنا عرف الله وبنا عُبد**)[4] (**ولولانا ما عرف الله) ولولانا ما عُبد الله**)[5][6] ومن ذلك هذا الحديث الشريف في الفقرة المتقدمة لما سأله عمران بأي شئ نعرفه قال الرضا عليه السلام (**بخلقه بمشيته واسمه وصفته**) ومن ذلك ما روي عن مولانا الحسين عليه السلام في الدعاء (**إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها**)[7] الدعاء وأمثالها من الروايات لاتعد ولاتحصى والإجماع من كل صاحب دين ومذهب واقع على أن ذات الله سبحانه لا يعرف بذاته و لايعرف إلا من جهة خلقه ويعرف بخلقه وذلك فكيف التوفيق.

الجواب لا شك و لاريب أن الأدوات إنما تحد أنفسها والآلات إنما تشير إلى نظائرها وكل شئ لم يخرج عن رتبته (حده) و لم يتعد مقامه ولم يتجاوز عن مقام ذاته وحقيقته إذ لا ذكر له ولا وجود وراءها فكل ما يعرفه ويدركه فهو عنده وهذا معلوم واضح والأثر لما كان فيه فعل وانفعال وقابل ومقبول كانت فيه جهتان جهة تحكي المؤثر وتصفه بخلاف الجهة الأخرى فإنها تخالف المؤثر وتعاكسه وتحجبه والكلام الظاهري هو أن نقول أن الأثر لما كان كذلك وأراد الله سبحانه أن يعرفه نفسه لأنه تعالى خلقه لأجلها والمعرفة الذاتية مستحيلة فوجبت التوصيفية فقد وصف الله سبحانه نفسه لخلقه

---

(١) جامع الأخبار ٤.
(٢) بحار الأنوار ٢/ ٣٢.
(٣)الكافي ١ / ١٨٤.
(٤) بحار الأنوار ٢٦/ ٢٦٠.
(٥) بحار الأنوار ٢٥ / ٤.
(٦) الكافي ١ / ١٩٣.
(٧) دعاء عرفة لمولانا سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

ليعرفوه بها ولما كان الوصف على قسمين وصف حالي ووصف مقالي ولا شك أن الأول أجلى (أعلى) وأدل على المراد وأكمل في إفادة المقصود وأمر الله سبحانه يجب أن يكون أحسن ما يكون ووصف الله لابد أن يكون أجلى ما يعقل ويتصور فوجب عليه سبحانه في الحكمة أن يصف نفسه بالوصف الحالي ولما كان الوصف كلما كان أقرب إلى من وصف له كان أوضح وأدل وأكمل ولا شئ أقرب إلى الشئ من نفسه إليه جعل سبحانه ذلك الوصف في أنفسهم وأودعه فيهم وذلك هو المثال الملقى في هوياتهم كما عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملأ الأعلى **(فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله)** وهو قوله عز وجل ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[1]. وذلك الوصف هو وصف معرفته وهيكل توحيده كما أن الأسماء اللفظية والصفات النقشية الرقمية أجسام محدودة مركبة مؤلفة حادثة قد أوجدها الله سبحانه وألفها على هيئة تدل على الله سبحانه بكماله من غير التفات إلى جهة حدوث تلك الألفاظ وتأليفها وتركيبها وزيادتها ونقصانها كذلك خلق حقايق الأشياء وذوات الموجودات وألفها على هيئة وتركيب تدل على توحيده وصفاته ونعوته الجلالية والجمالية وتلك الصفة المخلوقة هي ذات الله الظاهرة للخلق يعني أنها ذات خلقها سبحانه ونسبها إلى نفسه تشرفاً وتكرماً وجعلها دليلاً عليه وسبيلاً إلى توحيده ومعرفته فمن عرفها فقد عرف الله ومن جهلها فقد جهل الله فلولا ما منّ الله على خلقه بإيجاد تلك الصفة فيهم ما عرف الله أحد وهو قوله عليه السلام **(يا من دل على ذاته بذاته)** أي دل على ذاته القديمة بذاته المخلوقة الحادثة التي هي صفة الكينونة ونورها وظلها ووجهها ودليلها على أحد الوجوه وقوله عليه السلام **(بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت)** ولا شك أنه لولا

---

(١) جامع الأخبار ٤.

تلك الصفة التي جعلها الله سبحانه في الخلق لم يعرف الله أحد من الخلق فهو سبحانه هو الذي عرف نفسه ودل الخلق عليها ولولا جعله سبحانه تلك الصفة لم يعرف الصانع من المصنوع والخالق من المخلوق وقوله عليه السلام **(اعرفوا الله بالله)** أي بما جعله الله سبحانه لكم من وصفه فاعرفوه بوصفه ولا تعرفوه بوصف المخلوقين فإن الله سبحانه لما كان بخلاف المخلوقين بالضرورة كان وصفه أيضا بخلاف وصفهم فوجب أن يعرف الله سبحانه بوصفه لا بوصف خلقه وقوله عليه السلام **(إن الله أجل أن يعرف بخلقه)** أي بصفات الحدوث والفقر والتركيب والضعف وأمثالها من الحدود الناقصة وإنما يعرف بصفته و يدعى باسمه اختاره لكم لأن تعرفوه بها وتدعوه بها ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ وأما كون الخلق يعرفون به فمن جهة أن الله سبحانه هو الذي جعلهم وجعل مداركهم وقواهم ومشاعرهم وجعل صفاتهم ومابه يمتازون بعضهم عن بعض فهو سبحانه عرفهم نفسه وعرفهم أنفسهم والوصفان كل واحد منهما يجب أن يكون مغايراً للآخر وإلا لكان كل منهما يوصف بصفات الآخر وذلك كفر محض وزندقة محضة صرفة.

ولما كان وصف الحق سبحانه منزهاً عن وصف الخلق وهيئاتهم وأحوالهم وذواتهم وصفاتهم وماعليه كينوناتهم وجب أن تقطع نظرك حين النظر والالتفات إلى وصف الرب عن كل أحوال الخلق ذواتهم وصفاتهم وجواهرهم وأعراضهم إلى غير ذلك فإذا غمضت هذه العين تنفتح لك عين الحق فترى بها صفته ورسمه ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام لما سأه كميل عن الحقيقة أي حقيقة التوحيد الظاهرة للخلق من صفة ربوبية الرب عز وجل على ما أودعها الله سبحانه فينا قال عليه السلام في الجواب **(كشف سبحات الجلال من غير إشارة)** يعني بالسبحات الحجب المانعة وهي نفوس الخلايق وذلك

من غير إشارة لأن الإشارة من حدود الخلق وأحوالهم التي يجب كشفها وهو قول مولانا الحسين عليه السلام **(إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار إلى أن قال حتى أرجع إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شئ قدير)** هـ فشرح هذا الكلام الشريف جميع الأحوال وجميع الأقوال فإن الخلق ينظر في مقامه إلى الله سبحانه في توحيده ومعرفته بتلك الصفة وهي لاتظهر إلا بعد صون السر عن النظر إليها من حيث الخلفية وإجراء أحكامها عليها كما في الأسماء اللفظية فإنك إذا نطقت بقولك يا الله فلا شك أنك لاتلتفت إلى كون هذه الكلمة مخلوقة مركبة مؤلفة حادثة بل إنما تنظر إلى محض القديم تبارك وتعالى بتلك الكلمة مصوناً سرك عن النظر إليها وإلى (عن) حدودها وأوضاعها ومرفوعاً همتك عن الاعتماد عليها وتلك الصفة هي الربوبية التي هي كنه العبودية وهي الروح المنفوخة في آدم في قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1] وفي الحديث القدسي **(يا آدم روحك من روحي وطبيعتك على خلاف كينونتي)**.

فحاصل الكلام أن الروايات الدالة على أن الله سبحانه لايعرف بخلقه فالمراد بها حدود خلقه وأحوالهم من الجنسية والفصلية و الجوهرية والعرضية والاشتراك والافتراق والجمع والاعتزال والحركة و السكون وما أشبه ذلك بل إنما يعرف الله سبحانه بصفة نفسه التي خلقها للخلق لأن يعرفوه بها وهي بخلاف صفة المخلوقين فليس فيها اقتران وانتساب وحركة وسكون وبساطة وتركيب وضد ونقيض وجمع وفرق وربط وبينونة وغيرها من صفات النقص فإذن لايعرف الله سبحانه بصفات الخلق وإلا لكان سبحانه وتعالى محدوداً مختلفاً إذ الشئ يعرف بصفته والروايات التي

(١) سورة الحجر ٢٩.
(٢) الكافي ٢ / ٨.

دلت على أنه سبحانه وتعالى يعرف بخلقه أي بصفات مخلوقة حادثة خلقها للخلق ليعرفوه بها لأن الأدوات لا تحد إلا أنفسها والآلات لا تشير إلا إلى نظائرها فلا تناقض في الأخبار ولا في كلمات العلماء الأبرار ولذا ترى الإمام عليه السلام نزه الله سبحانه عن حدود خلقه وأن يعرفوه الخلق بأنفسهم كما أشار إليه عليه السلام بقوله (**وليس يحل بالله شئ من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم**) أي من حيث أنفسهم وجهة إنيتهم.

وأما حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه) فهي النفس التي جعلها الله في الخلق ليعرفوه بها كما ذكرنا ثم أشار عليه السلام إلى الجهة العليا التي هي صفة تجليه سبحانه التي جعلها في الخلق ليعرفوه بها بقوله (**ولكن يدل على الله عز وجل بصفاته ويدرك بأسمائه ويستدل عليه بخلقه**) أي الصفات والأسماء التي خلقها الله سبحانه وكتبها في ألواح الآفاق وأنفس الخلايق ولولا أن الخلق فيهم فقر وفاقة واضطرار يضطرون إلى غيرهم غني مطلق يسد فاقتهم ما عرفوا أن لهم خالقاً ولولا تلك الصفات التي جعلها سبحانه فيهم لما عرفوا توحيده وعظمته وقدرته وقيوميته فجعل سبحانه تينك الخصلتين ليعرف حق المعرفة الإمكانية (**ولايحتاج في ذلك**) أي في معرفته وإدراكه (**الطالب المرتاد إلى رؤية عين**) للحقيقة الألوهية كما ذهبت الأشاعرة فإن الرؤية من صفات الأجسام (**ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب**) لأن هذه الخصال والأحوال من أحوال الأجسام والجسمانيات والأخير من صفات العالي المؤثر لا السافل الأثر.

ثم أشار عليه السلام إلى أن الأسماء وإن كانت في مرتبة الحدوث والخلق لكنها تدل على القديم بالالتزام لا على اللزوم المعروف بين الناس وإن كان ما يصف بتلك الصفات لايقع إلا في الحدوث لكن المراد بها القديم بل لايراد

غيره ولا يرى نور غير نوره ولا يسمع صوت غير صوته كالناظر في المرآة فإنه يستدل بها على المقابل يقيناً وإن كانت معرفته لا تقع إلا على مافي المرآة من صفة كينونة المقابل على ما المرآة عليه لا على ما المقابل في الواقع عليه كما ذكرنا سابقاً فقال عليه السلام وروحي فداه (**فلو كانت صفاته جل جلاله لاتدل عليه**) لحدوثها وإمكانها (**وأسماؤه لاتدعو إليه والمعلمة**) أي الوجدان (**من الخلق لاتدركه تعالى بمعناه**) بل كان إدراك الصفة والاسم إدراكين لهما فقط ولم يكن إدراكاً للموصوف والمسمى بوجه أصلاً كانت العبارة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معنا ولو كان ذلك كذلك لكان المعبود الموحدغير الله لأنأسماده وصفاته غيره ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام (**من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى معاً فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه فذاك هو التوحيد**) هـ فالتوجه إلى الله سبحانه بأسمائه وصفاته وهي تدل على الكمال والوجود ولاتدل على الإحاطة والشهود فبالاسم يعرف رسم المسمى وبذلك يتوجه إليه ويعبد ويعرف و يلتمس من الحوائج والمطالب من غير أن يكون هو سبحانه وتعالى في الخلق ولا الخلق فيه ولا بحلول ولا باتحاد ولا برؤية قلب وعين و استماع إذن ولمس كف وغير ذلك من الأحوال التي ذهب إليها من لم ينور الله قلبه ويكشف عن سره ولبه فعند ذلك تم جواب سؤال عمران رضي الله عنه من حيث قال (**هل يوجد الله بحقيقة أو يوجد بوصف**) وقد علم بذلك أنه تعالى يوجد بحقيقته بسبب إدراكه بأسمائه وصفته فما عرف رسم يدل على وجود الحقيقة وكمالها لا على الإحاطة بها أو يوجد و يوحد بوصف لا بحقيقة فإنها لاتنال إلا بظهور الصفة إلا أن المطلوب والمقصود هي الحقيقة في الرسم لا الأسم والصفة من حيث هما فافهم فلما عرف الجواب وظهر له الصدق والصواب استزاد البيان

للارتساخ في النفس وزيادة البصيرة فقال ياسيدي زدني.

فقال الرضا عليه السلام **(إياك وقول الجهال أهل العمى والضلال الذين يزعمون أن الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب وفي الثواب والعقاب وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ولوكان في الوجود لله سبحانه نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبداً ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلك قوله عز وجل ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ يعني أعمى عن الحقائق الموجودة وقد علم ذو الألباب أن الاستدلال على ماهناك لا يكون إلا بما ها هنا ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزدد من ذلك إلا بُعداً لأن الله عز وجل جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون)**.

أخذ عليه السلام لزيادة بصيرة عمران وتأكيد مانبه عليه السلام أن الله عز وجل يوجد بصفته ويدرك بآياته ويوحد بعلاماته ويظهر لكل من طلبه في كل وقت وأوان ومكان وطور وحالٍ من أحوال الإنسان وأن الراحل إليه قريب المسافة وأنه لايحتجب عن خلقه وإنما تحجبهم الآمال والأعمال دونه فقال عليه السلام **(وإياك وقول الجهال أهل العمى والضلال)** الذين جهلوا عظمة الله وقدرته الظاهرة في أوليائه التي تكشف عن حقيقة معرفته لخلقه وعمّى أبصار قلوبهم بأغشية الإنية وحجبها فضلوا عن الطريق وزعموا أن الله عز وجل وتقدس موجود في الآخرة للحساب وليس بموجود في الدنيا ألم يعلموا -أعماهم الله - أن وجود الشيء عند الشيء بحقيقته دل على اتحادهما في الرتبة وعلى كون الواجد أعلى رتبة من الموجود فكيف يتصور هذا المعنى بالنسبة إلى الواجب القديم الذي فنيت الأشياء عند ظهوره واضمحلت عند سطوع نوره وقد ظهر وتجلى لموسى بن عمران عليه السلام بمقدار سم الإبرة من نور شعاع من أشعة

عظمته المخلوقة فدك الجبل وخر موسى صعقاً ومات بنوا إسرائيل فكيف كان الأمر لو ظهر لهم بنور عظمته المخلوقة فضلاً عن نور ذاته والأثر لا ذكر له عند المؤثر فكيف يوجد المؤثر بذاته عند الأثر فإذن يكون المؤثر أثراً والأثر مؤثراً فلا يفرق إذن بين الخالق والمخلوق والمنشئ والمنشأ فعلى هذا فلا يمكن فرض وجوده أي ظهوره للأثر بذاته حتى يدركه بحدود إنيته وقواه ومشاعره من رؤية عين ولمس كف وإحاطة قلب تعالى ربي عما يقولون علواً كبيراً.

وأما وجوده تعالى بحقيقته الظاهرة بأسمائه وصفاته فهو في كل أوان ومكان لا يختص بالدنيا والآخرة ولو كان في وجوده سبحانه وتعالى نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبداً لأن النقص لم يزل وإن لم يكن هناك نقص في ظهوره ووجوده فلا معنى لوجوده في الآخرة لا الدنيا وكذلك لو ثبت أن وجود الذات عند الآثار نقص واهتضام للذات لاستلزام ذلك اتحاد الصقع والاقتران لم يزل ذلك النقص ثابتاً في جميع الأحوال وكل الأوقات فلا يمكن وجوده في الآخرة أيضا ولكن لما أثبتنا النقص في الظهور بذاته والوجود بكنهه عند الأثر فبطل وجوده ورؤيته في الآخرة أيضا كما كان في الدنيا وأما وجوده سبحانه بأسمائه وصفاته وتجليات ظهوراته فذلك لم يفقده شئ في حال من الأحوال ووقت من الأوقات في الدنيا والآخرة بل لايرى نور سوى نوره ولا يشاهد ظهور غير ظهوره وفي الدعاء (**لايرى نور إلا نورك ولا يسمع صوت إلا صوتك**) كما قال مولانا الحسين عليه السلام في دعاء عرفة (**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لاتراك ولاتزال عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً**) وقال عليه السلام (**تعرفت**

الي في كل شئ فرأيتك ظاهراً في كل شئ فأنت الظاهر لكل شئ بكل شئ)[1] هـ نعم هو سبحانه هو أظهر من كل ظاهر وأبطن من كل باطن لأنه أظهر من كل ظاهر وإنما خفي لشدة ظهوره واستتر لعظم نوره فإذا كان كذلك فكيف يمكن ظهوره في الآخرة لا الدنيا و إذا كان الوجدان الذاتي فكيف يكون في الآخرة والدنيا **(ولكن القوم)** كما قال عليه السلام **(تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لا يعلمون)** طريق الانتقال والعبرة من الخلق إلى الخالق ومن الإبداع إلى المبدع لكي يتضح لهم الأمر في الدنيا كما يتضح لهم في الآخرة وذلك قول الله عز وجل **﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾** يعني أعمى عن الحقايق الموجودة فلا يبصرها ولا يعقلها.

ثم أراد عليه السلام أن يبين أصلاً من الأصول الحقيقية التي يلقون إلى شيعتهم من قولهم عليهم السلام **(علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا أو عليكم التفريع)**[2] وباباً من الأبواب التي ينفتح منها ألف باب من الحق والصواب فقال عليه السلام وروحي فداه **(قد علم ذو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما ها هنا)** وذلك هو قول مولانا الصادق عليه السلام **(العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية وذلك قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾)**[3] الحديث والإشارة إلى مجمل مراده عليه السلام أن العالم الأسفل دليل على العالم الأعلى وذلك أن الله تعالى لما أنزل الخلق من الخزائن إلى الخزائن أوقفهم في المقامات العديدة والعوالم الكثيرة لقوله تعالى **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾**[4] فلما أوقفهم في المقام الأسفل وهم

---

(١) دعاء عرفة لمولانا سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.
(٢) في وسائل الشيعة ٢٧ / ٦٢ عن مولانا أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: (علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع).
(٣) مصباح الشريعة ٧.
(٤) الحجر ٢١.

مكلفون بإقرار العالم الأعلى وإعتقاد وجوده وأحواله ما دام هم في العالم الأسفل فلما نزلوا احتبوا عن الأعلى فلا يلتفتون إليه إلا ببيان جديد من نوع مقامهم و رتبتهم وإلا لم ينتفعوا كما قال عز وجل ﴿ وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾[1] وما كان البيان من الله عز وجل دون غيره كما قال تعالى ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[2] وقال تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[3] ولما كان بيانه تعالى لبلاغ حجته وإكمال نعمته يجب أن يكون أجلى البيانات وأظهرها وأعلاها حتى لايدانيه بيان ولا تعتريه زيادة ولا نقصان وكان ذلك هو البيان الحالي دون المقالي فوجب عليه تعالى في الحكمة أن يجعل العالم الأسفل على هيكل العالم الأعلى وهيئته ومثاله ليدل عليه كمال الدلالة على حسب مقامه ومرتبته في السفلية لينظر الناظر إليه ويتوجه إلى العالم الأعلى ولا يتوقف بالنظر إليه قاصراً نظره إليه ليكون واقفاً عن السير ومنقطعاً عن الترقي ويكون دائم النظر إلى الأعلى ليصل إلى المقام المعد للسالكين السايرين أن الله أعد لعباده المتقين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولذا تراه سبحانه جعل مراتب خلقه ومقامات محدثاته مع كثرتها واختلافاتها وتباين أحوالها وأوضاعها وحركاتها وسكناتها متطابقة متناسبة ينبئ أحدها عن الآخر ذلك تقدير العزيز العليم سبحان الذي أتقن كل شئ.

ثم لما علم سبحانه جمود الخلق وركودهم وأنهم لا يلتفتون إلى ماهو الأصلح ولايتوعون لدقائق الحكم قرن البيان الحالي بالبيان المقالي إتماماً للحجة وإكمالاً للنعمة ثم أرشدهم ونبههم بتطابق العوالم وتوافق المراتب ليسهل لهم طريق الطلب ولايعسر عليهم نيل المطلب فقال في كتابه العزيز

(١) سورة الأنعام ٩.
(٢) سورة النحل ٩
(٣) سورة القيامة ١٦ - ١٨.

﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾[1] أي انقطاع وتخالف وتباين ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[2] وقال عز وجل ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3] ﴿وَ تِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾[4]. ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[5]. ﴿قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[6] وأمثالها من الآيات كثيرة وكذلك الروايات كقوله عليه السلام لما سئل عن الدليل على وحدة الصانع قال عليه السلام (اتصال التدبير وتمام الصنع)[7] وغيرها ولو أردنا ذكر الروايات لطال بنا الكلام وخرجنا عن المقام فإذا كان كذلك فتكون الدنيا التي هي العالم الأسفل دليلاً على الآخرة التي هي العالم الأعلى بالنسبة إليها والله سبحانه و تعالى يقول ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾[8] فلو كان الله تعالى يوجد في القيامة وفي الآخرة لوجب أن يوجد أيضا في الدنيا لحكم التطابق و التوافق إلا أن نحو الوجود يختلف في الشدة والضعف كنعيم الآخرة و أليمها كلها موجود في الدنيا بنحو أضعف مع أن الأمر ليس كذلك و الله سبحانه منزه عن الرؤية والمشاهدة كيف والله سبحانه وتعالى نص على ذلك بقوله ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[9] وأما قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[10] فالمراد بها النظر إلى الذين نظرهم نظر الله والنظر إليهم

---

(١) سورة الملك ٣.
(٢) سورة الملك ٤
(٣) سورة لقمان ٢٨.
(٤) سورة العنكبوت ٤٣.
(٥) سورة يوسف ١٠٥.
(٦) سورة يونس ١٠١.
(٧) التوحيد ٢٥٠.
(٨) سورة البقرة ٢٥.
(٩) سورة الأنعام ١٠٣.
(١٠) سورة القيامة ٢٢ – ٢٣.

هو النظر إلى الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[1] . ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[2] وغير ذلك فزيارته ﷺ زيارة الله والنظر إليه هو النظر إلى الله وهكذا تأول الآيات الدالة على بعض التشبيهات والدليل على التأويل قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3] ولا شك أن الرؤية والمشاهدة من صفات المخلوقين ومن صفات الأجسام أيضا تعالى ربي عما يقولون.

ثم لما كان القاعدة التي قررها عليه السلام والأصل الذي أصله وإن كان عاماً شاملاً لجميع المراتب والمقامات والأحوال إلا أن ذلك لمن عرف نوع الاستدلال ويفرق بين المقال والحال ويعرف جهة الدلالة ولاينظر إلى الأسفل من حيث نفسه وإنما ينظر إليه من حيث الأعلى ولما كان الناس قد انسدت عليهم هذا الباب واشتغلوا بالملاهي وفاتتهم معرفة الأشياء كما هي فلا رخصة لهم أن ينظروا إلى هذا الدليل الذي هو من نوع دليل الحكمة الذي هو أعلى الأدلة وأرفعها وأدقها وأغمضها إلا بهداية وإرشاد العالم الذي لايجهل والناظر الذي لا يغفل والحكيم الذي لايغفل ولايخطي ولايسهو ليحصل له اليقين أنه أصاب وجه الدلالة وعرف الاستدلال وهو قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[4] أي العالمون بالأمثال ووجه كونها مثلاً وجهة المناسبة وطريق الانتقال من المثل إلى الممثل وأما غير المعصومين سلام الله عليهم أجمعين فلا قطع ولا يقين في كونه عالماً في الحقيقة والواقع ولا يحصل اليقين إلا ببيان المعصوم عليه السلام وتعليمه لشيعته لنوع والاستدلال فإنهم سلام الله عليهم قالوا (**نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون**

---

(١) سورة الفتح ١٠.
(٢) سورة النساء ٨٠.
(٣) سورة الشورى ١١.
(٤) سورة العنكبوت ٤٣.

وساير الناس غثاء)[1] فلا يجوز لأحد الاستدلال بتلك الأدلة الغامضة الدقيقة التي لايهتدي إليها إلا الأقلون برأيه وإدراك نفسه فإن رأيه منقطع دون هذا المقام وسر هذا الاستدلال أصله عند العقل المستوي والمرتفع وهكذا صاعداً إلى أعلى مراتب الفؤاد وأنى للواقفين مقام الجسم والطبيعة والنفس نيل ذلك المقام والوصول إلى حقيقة المرام إلا بتسديد خبير مطلع وبصير هادي ولذا قال عليه السلام **(قد علم ذو الألباب)** إشارة إلى أهل القلوب وأصحاب العقول الناظرين إليها والعاملين بمقتاضاها لا كل أحد من أهل العلوم وأصحاب الرسوم ولذا نبه عليه السلام إلى شرط الاستدلال حتى لا يوقع الخلق في الشبهة.

فقال روحي فداه(**ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها لم يزدد من ذلك إلا بُعداً)** وهو كما قال عليه السلام لأن مقام الخلق دون مقام هذا الدليل فليس لهم التوغل فيه من حيث أنفسهم بل يجب عليهم متابعة من عنده هذا الدليل فإن الله تعالى جعل علم ذلك عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون وليس أولئك إلا آل محمد عليهم السلام الطيبون الطاهرون المعصومون لأنهم خزان علم الله ومهابط فيض الله وحملة وحي الله وأحصى الله فيهم علم ماكان ومايكون وهو قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ وهم الكتاب الناطق عن الله تعالى وهو تعالى يقول ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ و﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ﴾ و﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾و﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ وأمثالها من الآيات وأن عندهم علم الكتاب كما

---

(١) الكافي ١ / ٣٤.
(٢) سورة يس ١٢.
(٣) سورة النبأ ٢٩.
(٤) سورة النحل ٨٩.
(٥) سورة يوسف ١١١.
(٦) سورة الأنعام ٣٨.

قال الصادق عليه السلام (وعلم الكتاب كله هنا)[1] وأشار إلى صدره الشريف في تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[2] فإذا كان كذلك فلا محيص ولامعدل عنهم فكل من سواهم يجوز فيه الغلط والسهو والخلط فإذن لايعبؤ بقوله ولا اعتناء في استدلاله من نحو هذا الاستدلال كما وقع لبعض القاصرين حيث تنبهوا إلى صحة الاستدلال وماتنبهوا وما اهتدوا إلى نوع الاستدلال وشرطه فعموا وصموا وتاهوا مثل قولهم أن الأعيان الثابتة مستجنة في غيب الذات استجنان الشجرة في النواة ومثل قولهم أن الله تعالى كالمداد والخلق كالصور الطارية على المداد وأنه تعالى كالبحر والخلق كالأمواج وهكذا من الأمثال الباطلة والأدلة الواهية وذلك من عدم مراعاتهم للشرط.

وليس المراد أنه يأخذ علم ذلك من الإمام عليه السلام على جهة التقليد بل المراد أنه ينظر بصافي فطرته إلى الأمثال المضروبة والبيانات الحالية فإذا عرف حكماً من تلك الأمثال لا يعتمد على ما فهمه وحتى يزنه بالميزان الذي جعل الله سبحانه للخلق حتى يزنوا به عقولهم وأفكارهم وآرءهم (إدراكاتهم)

---

(١) في الكافي ١ / ٢٥٧ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَدِيرٍ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَ أَبُو بَصِيرٍ وَ يَحْيَى الْبَزَّازُ وَ دَاوُدُ بْنُ كَثِيرٍ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا وَ هُوَ مُغْضَبٌ فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ يَا عَجَباً لِأَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَتِي فُلَانَةَ فَهَرَبَتْ مِنِّي فَمَا عَلِمْتُ فِي أَيِّ بُيُوتِ الدَّارِ هِيَ قَالَ سَدِيرٌ فَلَمَّا أَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَ صَارَ فِي مَنْزِلِهِ دَخَلْتُ أَنَا وَ أَبُو بَصِيرٍ وَ مُيَسِّرٌ وَ قُلْنَا لَهُ جُعِلْنَا فِدَاكَ سَمِعْنَاكَ وَ أَنْتَ تَقُولُ كَذَا وَ كَذَا فِي أَمْرِ جَارِيَتِكَ وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْماً كَثِيراً وَ لَا نَنْسُبُكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ قَالَ فَقَالَ يَا سَدِيرُ أَ لَمْ تَقْرَأِ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأْتُهُ قَالَ فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ وَ هَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ أَخْبِرْنِي بِهِ قَالَ قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّ هَذَا فَقَالَ يَا سَدِيرُ مَا أَكْثَرَ هَذَا أَنْ يَنْسِبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِهِ يَا سَدِيرُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَيْضاً قُلْ كَفى‏ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ قَالَ قُلْتُ قَدْ قَرَأْتُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ أَ فَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلِّهِ أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ بَعْضُهُ قُلْتُ لَا بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ قَالَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَ قَالَ عِلْمُ الْكِتَابِ وَ اللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا عِلْمُ الْكِتَابِ وَ اللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا.

(٢) سورة الرعد ٤٣.

وجميع أحوال معاشهم ومعادهم كما قال عز وجل ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1] وقال أيضا عز وجل ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[2] وأمثال ذلك من الآيات والروايات في هذا المعنى كثيرة.

فإذا عرفت هذا عرفت أن الذي لم يقم عليه إجماع المسلمين أو إجماع الفرقة المحقة أو إجماع العقلاء الكاشفة لا يجوز لأحد أن ينظر إليه برأيه لأن الرأي لم يجعل الله إلا لنبيه ﷺ وذلك أيضا حسب تسديد الله تعالى حيث قال سبحانه خطاباً لنبيه ﷺ ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾[3] فإذن لا يجوز القول إلا بعد القطع بأن فيه رضاء الله تعالى بالقطع الحقيقي الواقعي فكل من يجوز عليه السهو والغلط والخطأ لم يحصل القطع بأن مافهمه فيه رضاه سبحانه فوجب الوزن بالرجوع إلى الذي عصمه الله تعالى من الخطأ والزلل في القول والعمل رزقنا الله متابعتهم والتمسك بحبلهم.

قال عمران: ياسيدي ألا تخبرني عن الإبداع خلق أم هو غير خلق.

قال الرضا عليه السلام: بل خلق ساكن لايدرك بالسكون وإنما صار خلقاً لأنه شئ محدث والله الذي أحدثه فصار خلقاً له وإنما هو الله وخلقه لا ثالث بينهما ولاثالث غيرهما فما خلق الله عز وجل لم يعد أن يكون خلقه وقد يكون الخلق ساكناً ومتحركاً ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله عز وجل واعلم أن كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس وكل حاسة تدل على ما جعل الله عز وجل لها في إدراكها والفهم من القلب يجمع ذلك كله.

---

(١) سورة هود (٨٥)

(٢) سورة الرحمن (٩)

(٣) سورة المائدة (٤٨)

ثم إن عمران ﷺ لما علم أن الإبداع والمشية والنور والتأثير والإرادة والفاعلية بل الفاعل أو غير ذلك من الأسماء أمر متوسط بين الخالق والمخلوق عرض له سؤال في حق هذا المتوسط هل هو خلق أم غير خلق وغرضه أنه لا يجوز أن لا يكون خلقاً لأنه ينافي التوحيد و أدلة التوحيد تبطله و إذا كان خلقاً كان محتاجاً إلى متوسط آخر بناء على عدم جواز الاستثناء في القواعد العقلية وكما يحتاج المخلوق إلى الواسطة كذلك الواسطة من حيث المخلوقية إذ العلة في الكل واحد مشتركة فيلزم حينئذ الدور أو التسلسل وأيضا هذا المتوسط مرتبط بذاته بمبدئه الذي هو وجود الخالق وبمنتهاه الذي هو وجود المخلوق فيوهم وحدة هذا المتوسط بين الطرفين سراية لوازم المخلوقية من المحدودية والتقدير وغيرهما من صفات المخلوقين إلى وجود الخالق تعالى الله وأيضا يلزم انقلاب المخلوق إلى الخالق والخالق إلى المخلوق فيعدم التأثير والإيجاد ضرورة اتحاد المقترنين الملتقيين في الرتبة واتحاد الرتبة يفسد العلية والمعلولية وأيضا يلزم انفعال الخالق بتلك الرابطة لأجل الاقتران والتحديد والتركيب وغير ذلك فلما سأله عليه السلام فقال ياسيدي ألا تخبرني عن الإبداع خلق هو أم غير خلق فإن على كلا التقديرين يلزم المحذور المذكور فأجابه عليه السلام فقال: (**إنه خلق ساكن لايدرك بالسكون**).

وحاصل الجواب أن الإبداع هي الحركة الإيجادية والحركة في ذاتها لم تنته إلى الذات لأن بين المنتهى والمنتهى إليه لابد من نسبة و اقتران فليست في الذات حركة تنتهي إليها فانتهاؤها حينئذ إلى نفسها وقد قال الصادق عليه السلام في المشية: (**خَلَقَ اللّهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ**) ففاعلية الذات إنما هي بنفس الفعل ففيه جهتان جهة فاعلية وجهة مفعولية وكلاهما حادثان وقعا في رتبة الحدوث ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام :(**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات**

إلى نظائرها) لأن الأثر ينسب إلى ظهور الذات أو الذات الظاهرة ولذا تراه لا يدل إلا عليها كالكاتب فإنه يدل على الذات الظاهرة بالكتابة فنسبة الأشياء إلى ذلك الظهور وذلك الظهور لا يحتاج إلى ظهور آخر بل الظهور ظهور بنفسه والمظاهر مظاهر بالظهور فينقطع الدور والتسلسل كما قالوا في الوجود فننقل الكلام إلى ذلك الوجود فيدور أو يتسلسل وأجابوا بأن موجودية الوجود بنفس الوجود لا بأمر آخر فأوجده الله بنفسه لا من شئ ثم أوجد الأشياء به وكذلك حكم النية فإن العمل لا يتحقق بدونها وهي لا شك أنها عمل لا بد لها من نية فيلزم الدور والتسلسل فأجابوا بأن النية نفسها ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً.

فإن قلت فإذا كان كذلك فأي حاجة إلى توسط هذا الخلق إذا صح أن توجد الأشياء بنفسها.

قلت ورد عنهم عليهم السلام (إن الله تعالى أقام الأشياء بأظلتها) أي بحقايقها وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام :(بل تجلى لها بها)[1] فكل شئ فيه اسم يشتق من نفس ذلك الشئ الحادث إلا أن الأشياء في سلسلة الجعل والإحداث وبطلان الطفرة فيها العالي والسافل ووجود العالي من تمام قابلية السافل للوجود فصارت الأشياء يترتب بعضها على بعض ويقترن بعضها ببعض وينبعث بعضها عن بعض ويصدر بعضها عن بعض وهكذا ولما كان الله سبحانه كاملاً في الوحدة المطلقة البسيطة فوجب أن يكون أول خلقه كاملاً مطلقاً مهيمناً على جميع من بعده من الخلق حتى يكون دليلاً عليه تعالى ولما ثبت أن الكمال كله في الوحدة والنقص كله في الكثرة وجب أن يكون ذلك الخلق الأول واحداً منطوياً فيه الكثرات وهي لا وجود لها ولا تحقق إلا بالذكر

---

(١) نهج البلاغة ٢٦٩.

في ضمن تعلق ذلك الواحد فكل ما سواه كله دائماً يبرز من ذلك الذكر إلى عالم الكون ولا نفاد له ولا انقطاع وهو قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] وقول الصادق عليه السلام: (شؤون يبديها لا شؤون يبتديها)[2] وذلك الواحد الذي في رتبة أسفله ذكر الإمكانات والحوادث كلها هو الإبداع والاختراع والمشية والإرادة وآدم الأول وفلك الولاية المطلقة وعالم فأحببت أن أعرف والرحمة الواسعة الكلية والشجرة الكلية والاسم المكنون المخزون الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره والأزلية الثانية والمحبة الحقيقية وصبح الأزل ومبدء المبادي وغاية الغايات التي تنتهي إليه التعلقات وغير ذلك من الأسماء التي ذكرتها مشروحة مفصلة في اللوامع الحسينية.

وقد عرفه الإمام عليه السلام بأنه خلق ساكن لايدرك بالسكون أما كونه خلقاً فبمعنى خَلَقَ الذي هو الفعل لا الخلق الذي هو المصدر فإذا كان الإبداع قد سبق كل شئ لايجوز أن يكون مصدراً فإنه مسبوق بالفعل على ماهو الحق في المذهب من كون المصدر مشتقاً من الفعل وكونه عاملاً في المصدر ووقوع المصدر تأكيداً وصفة للفعل وكون المصدر اسماً والأشياء كلها مجعولة بالفعل كما قال الصادق عليه السلام في الحديث المتقدم: (**خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ**) وكون الفعل حركة بسيطة والمصدر حاصلاً من الحركة وهو الأثر الواقع بالمفعول إلى غير ذلك من الأحوال والأمور المقتضية لاشتقاق المصدر و فرعيته للفعل فإذا كان كذلك وجب أن يكون المراد من الخلق خَلَقَ الذي هو الفعل وهو ساكن أي ثابت مستقل أصل تدور عليه جميع الكاينات بقول مطلق ولذا عبروا عنه بالكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر

---

(١) الرحمن ٢٩.

(٢) شرح أصول الكافي ٤ / ٢٣٥.

وركدت لها البحار وخمدت لها النيران إلى غيرها مما هو مذكور في الأدعية متفرقة فيكون هو الساكن الثابت المستقل الغير المضمحل الذي إذا نسبته إلى ماتحته من المراتب لا يتغير ولا يتبدل و لا يختلف باختلافها ولا يتغير بتغيرها ولا ينفعل بحركاتها وتأثيرها وانقلاباتها كالشمس فإنها بالنسبة إلى القمر وساير الكواكب ثابتة مستقلة لاتختلف باختلافها والكواكب تختلف باختلافها وتنفعل بانفعالها وهكذا فالإبداع هو الأصل الذي هو القطب الذي كل الممكنات له بمنزلة الكرات والدواير كلها على اختلافها تتحرك وتدور حول القطب وهو ساكن لا يتحرك بحركة الكرات والدواير وذلك واضح معلوم إن شاء الله تعالى.

ولما كان في قوله عليه السلام **(خلق ساكن)** إفادة أمرين أحدهما السكون بمعنى الاستقلال كما فسرنا وهو المراد وثانيهما هو السكون الذي ضد الحركة وليس بمراد والأول أيضا على إطلاقه ليس بمراد لأن السكون بمعنى الاستقلال المطلق وحركة الأشياء عليه واستمدادها منه يورث التفويض بمعنى العزلة والتعطيل ولم يكن ذلك من مذهب أهل البيت سلام الله عليهم أشار عليه السلام إلى نفي المعنيين وأثبت المراد المطابق للواقع المقرون بالصدق والسداد بقوله عليه السلام **(لايدرك بالسكون)** يعني لاتتوهم أن الساكن المذكور في قولي خلق ساكن هو على معنى السكون بمعنى الوقوف والركود حاشا وكلا لأن السكون مسبوق بالحركة إذ لاشك أنهما موجودان والحركة أشرف من السكون لأنها حياة والسكون موت وأنها نور وأنه ظلمة وأنها تورث الذوبان ورفع الأوساخ والتلطيف ودفع الفضولات وإحراق الأخلاط الفاسدة وأنه يورث أضداد ماذكرنا كله والطفرة في الوجود باطلة فوجب أن تكون الحركة مقدمة على السكون ويكون السكون منتهي

إليه الحركة في التعلق فلو جعلنا السكون في هذا المقام عبارة عما هو ضد للحركة كان الإبداع مسبوقاً بأمر آخر وهذا خلف . فليس المراد به السكون المذكور حيث لم يسبقه شئ ولم تكن منزلة بين الحركة والسكون كان الإبداع هو نفس الحركة الإيجادية التكوينية وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الفعل أنه ما أنبأ عن حركة المسمى فالفعل هو نفس الحركة الإيجادية وهي لاتحقق ولا وجود لها أصلاً إلا حين صدورها وبقاؤها هو إيجادها هي عين الفقر والاحتياج بحيث لاتذوت لها آنين في ومفتقرة دائماً أبداً سرمداً إلى حافظ ومقوم وموجد ومصدر ومحدث لها إذ لاشئ في التصرم والتقضي والتجدد بأعظم من الحركة فلولا المتحرك لم تكن شيئاً فإذا ثبت أن الفعل نفس الحركة فارتفعت شبهة الاستقلال وواهمة التعطيل والاعتزال وظهر أن الإبداع هو الخلق المستقل الثابت بالنسبة إلى من دونه من ساير الخلق وأما بالنسبة إلى المبدء الحق سبحانه وتعالى فإن مضمحل فقير محتاج آن وجوده وآن بقائه فيحتاج إلى المدد الجديد آناً فآناً شيئاً فشيئاً وهذه هي القدرة الكاملة والعظمة البالغة حيث أقام الذوات والصفات والجواهر والأعراض والمفارقات والمقارنات والعرش والكرسي واللوح والقلم والسماوات السبع والأرضين السبع ومافيهما ومابينهما ومافوقهما وماتحتهما كل ذلك بحركة فانية مضمحلة متجددة متصرمة متقضية ذلك تقدير العزيز العليم.
ولما كان عالم الألفاظ والحروف كما ذكرنا سابقاً على طبق عالم الذوات حرفاً بحرف عرفوا الفعل اللفظي بأنه كلمة مستقلة مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة فكلمة مستقلة تشير إلى قوله عليه السلام:(**خلق ساكن**) ومقترنة تدل على التجدد والتصرم فإن الزمان متجدد متصرم متقضي كالحركة ولذا كانت الحركة مشروطة بالزمان ولما كانت الأوضاع اللفظية على طبق الحقايق المعنوية جعل

الفعل متحركاً غير ساكن للبيان والإشارة إلى أنه هو الحركة الكونية الإيجادية وأما الاستقلال فيظهر من معلومية أصالة الفعل في العمل فلا يحتاج إلى إشارة في اللفظ فإن علم النحو واللغة لايتم إلا بأن الفعل هو الأصل في العمل والتأثير وأنه المبني الذي لا يؤثر فيه العوامل وكل عامل إنما يعمل بتبعية الفعل ومشابهته والفعل لا يقع معمولاً إلا بمشابهة الاسم وهذا القدر يكفي في دلالته على الاستقلال فلو كان مع هذا ساكناً يوهم الاستقلال ولذا حركوه لتحقيق هذه الدقيقة والإشارة إلى هذه اللطيفة.

وأما المصدر فلما كان أول متعلق للفعل وأول حامل لأثره وهو المفعول الأول المطلق بل هو المفعول في الحقيقة دون ما سواه على ما صرح به النحاة والمفعول طبعه البرودة والسكون والخضوع وهو منتهى إليه الحركة فوجب أن يكون ساكناً وإنما خص السكون بالوسط لأنه هو الأصل والقلب الذي تدور عليه باقي الحروف والأطراف فروع متممة كالقلب وساير الأعضاء والجوارح وكالفلك الخارج المركز و المتممين الحاوي والمحوي ففي سكون الوسط إشارة إلى أن المصدر حقيقته المفعولية والوقوف ومحل تعلق الفعل ومهبط الفيض فهو ساكن يحفظ فيض الفعل إذا ورد عليه فإذا تحرك ما انحفظ الفيض وبطل المفعول وهذا السكون لا ينافي الحركة الذاتية الجوهريةفوجب سكون الوسط وأما الآخر فيطرء عليه الأحوال بحسب القرانات الخارجية من العوارض الذاتية الطارية عليه فقد يظهر له مقام الفؤاد وهو مقام أطعني أجعلك مثلي أقول للشئ كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون فيرتفع حينئذ عن المقام الأسفل إلى المقام الأعلى فيشابه أوائل جواهر علله فيكون مرفوعاً على غيره من المقامات والمراتب أو يكون مرفوعاً عن مقام المدارك والقوى والحواس والمشاعر لأنه في مقام لا يقع

عليه اسم ولا صفة والكل مراد في كل مقام ولا نطول الكلام بشرحه وقد يظهر له مقام العقل المرتفع والمستوي وأعلى المنخفض وهو مقام العبادة و الطاعة والانقياد فينتصب لذلك ويكون منتصباً للهداية والإرشاد وعلماً للحق والصواب وإعرابه النصب وقد يظهر له مقام النفس على مراتبها السبعة فيحتجب عن المشاهدة واللقاء ويشتغل بالنفس والهوى وما تقتضيه الإنية وغير ذلك فلا يلي الفعل حينئذ فينكسر وينخفض وينجر وهذه أحوال تطرء على آخره في الظهورات التعلقية بحسب أعماله وإقباله واقترانه بغيره وأما هو بنفسه ساكن فانٍ مضمحل مثاله الهواء فإنه بالطبع حار رطب يقيناً لكن ريح الدبور حار يابس وريح الصبا بارد رطب وريح الجنوب حار رطب وريح الشمال بارد يابس وهذه الأحوال كلها تطرء عليه بالقرانات الخارجية وكذلك المصدر أسكنوا وسطه لبيان مفعوليته وحركوا آخره لبيان ترقياته وتنزلاته بالأعمال وأنه بالترقي والتنزل هو ساكن الوسط لايخرج عن مقامه ولا يتنزل عن حده ولا يتعدى مبدأه وهو قوله تعالى ﴿وَ ما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ فافهم فقد أطلعتك على باب من السر ينفتح منه ألف باب فاشرب صافياً وافهم راشداً.

ثم إن الإبداع في تحققه له مراتب وهي كما ذكرنا سابقاً من حكم الحلين والعقدين وأجزاء الرطوبة واليبوسة وترتيبها وغير ذلك مما هو مشروح في ساير رسائلنا ومباحثاتنا وله مراتب باعتبار التعلق وهذا الاعتبار في مقامين: أحدهما: مقام تعلقاته لإتمام الشئ من مادته وصورته ونسبة المادة إلى الصورة ونسبة الصورة إلى المادة وأول الاقتران الذي هو مقام الإيلاج فتمام القران الذي هم مقام الغشيان وكمال الشئ وظهوره مشروح العلل مبين الأسباب ومنه تحققت الأيام السبعة في الأسبوع فالأحد للأول والاثنين للثاني

والثلاثاء للثالث والأربعاء للرابع والخميس للخامس والجمعة للسادس والسبت للسابع وذلك هي المراتب المذكورة في الروايات الدالة على أن الشئ لا يتم ولا يكون إلا بسبعة مشية وإرادة وقدر وقضاء وإمضاء وإذن وأجل وكتاب والستة الأولى هي الأيام الستة التي خلق فيها الشئ وهي أيام الفعل وجهات تعلقاته وقد قال الله عز وجل (وذكرهم بأيام الله).
وثانيهما: مقام ظهور الإبداع الذي هو الفعل بحسب التعلق و عدمه وصلوحه للتعلق مع فقد الشرايط وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى سبعة أقسام لأن الفعل أي الإبداع لما أوجده الله سبحانه بنفسه بقي متعلقاً بالإمكان ومظهراً للعظمة البالغة والرحمة الواسعة للقادر السبحان فأوجد الله سبحانه به الإمكانات والأذكار على جهة العموم فلما أن الله سبحانه بنى أمره في إيجاده على الاختيار ونفي الجبر والاضطرار صار يتعلق الإبداع بإيجاد الأشياء حسب إتمام شرايطه وقابليته للوجود فالذي تمت شرايطه وكملت قابليته وتعلق به الفعل هو المسمى بالماضي والذي ما تمت شرايطه وماتحققت ولكنها تتحقق فيما بعد ويوجد محتوماً فذلك هو المضارع بمعنى الحال والاستقبال والذي تمت شرايطه وكملت وحصل القران و التعلق قبل الإلزام والإمضاء فذلك هو الأمر حيث أن الإبداع الكلي يؤمر بالتعلق لما تمت الأسباب الموجبة للتعلق والذي ما تمت شرايطه ولم يتعلق لأجل ذلك هو الجحد والذي لا يجوز تعلق الفعل به و إحداثه لعدم اقتضاء المصلحة في النظام فذلك هو النفي والأغلب أن العدم هنا محتوم والذي لاينبغي التعلق ولايجوز بمنع الإبداع عن التعلق والاقتران فذلك هو النهي وهذا أعم من أن يستمر العدم أن يبلغ حد المحتومية أو ينقلب الأسباب والشرايط فتوجب التعلق ليكون أمراً والذي تمت الشريط وبقي واقفاً بباب الإذن هل يؤذن له في التعلق أم لا لإمكان أو لمانع أقوى وبسبب للمنع أعظم فذلك هو الاستفهام.

ولما كانت هذه السبعة جهات الإبـداع وحدودها قد تشعبت منه تشعب الأعضاء والجورارح من القلب وتشعب الأغصان من الشجرة والأولاد من الوالد سميت هذه المراتب فعلاً كما هو الواقع لكنها جزئية إضافية واشتقت من الفعل الكلي أولاً وبالذات فالفعل الماضي هو الأصل لكونه مقام جف القلم بما هو كائن وساير الأفعال كلها مشتقة منه أو قل أن المضارع أي المستقبل والحـال مشتق من الماضي وباقي الأفعال كلها مشتقة من المضارع والأصل في هذه السبعة فعلان الماضي والمضارع والماضي هو الثابت الدائم المستمر الغير المتغير والغير المتكثر وحكمه حكم العرش الذي هو الثابت الغير المختلف ولذا يسمونه بالفلك الأطلس والمضارع هو المتكثر المختلف المتعدد الظاهر بالحكم التفصيلي وحكمه حكم الكرسي الظاهر بالكواكب والبروج والمنازل ولما كان الكرسي مقام المفعول وهو أغلظ وأكثف من مقام الفعل المتعلق به كانت التفاصيل الظاهرة في الكرسي اثني عشر والتفاصيل الظاهرة للفعل ستة وهي إذا فصلت وكررت وثنيت يكون اثني عشر والفعل الماضي إذا كرر وثني يكون اثنين فيكون المجموع أربعة عشر وبها يظهر يد الله ووجه الله والوهاب والجواد فوجب أربعة عشر في المفعول ليكون كل واحد حامل وجه من الأربعة عشر الذي في الفعل وأما المصدر فإنه مشتق من الفعل الماضي لا كاشقاق المضارع منه من اشتقاق الأغصان من الشجرة واشتقاق الأعضاء من القلب بل اشتقاقه من الشعاع المنير والأثر من المؤثر ولذا كان المصدر اسماً مبايناً للفعل بينونة الصفة عند وقوعه المفعول المطلق التأكيدي والمضارع فعلاً منه مترتباً عليه ترتب البدل مع المبدل منه فثبت أن اشتقاق المضارع من أصل الحقيقة واشتقاق المصدر من رسم الصفة والاسم

الفاعل والاسم المفعول أو أسماء الفاعل والمفعول اشتقا من المصدر اشتقاق الفعل المضارع من الماضي ولذا كان المصدر مبدء اشتقاقهما والذي يقول هما مشتقان من الفعل إما لم يظهر له سر الحقيقة في ذلك أو مراده بالفعل هو المصدر في مقام التأكيد وبينونة الصفة في مقام لافرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فافهم ولنا أن نقول أن المصدر مشتق من الفعل المضارع في الحقيقة ولكن لما كان الفعل المضارع مشتقاً من الفعل الماضي قلنا أن المصدر مشتق منه بطي الوسايط.

ثم لما ذهبت بعض الأوهام إلى أن الأعيان الثابتة أشياء غير موجودة وغير مكونة ولكنها ثابتة في غيب الذات قديمة غير مجعولة كما قال صاحب الكلمات المكنونة (والأعيان الثابتة مستجنة في غيب الذات ومندرجة فيها اندراج اللوازم في الملزومات) وقال أيضا (والأعيان الثابتة عينه الغير المجعولة) وقال في سر سر القدر (إن تلك الأعيان ليست أموراً خارجة عن ذات الحق بل هي ذاتيات و إنيات للحق وذاتيات الحق لاتقبل الجعل والتغير والزيادة والنقصان). فعندهم الأشياء ثلاثة ذات الحق سبحانه من حيث هو وذات الخلق والأعيان الثابتة الغير المجعولة وقال صاحب الأسفار تبعاً لغيره من الحكماء (إن الوجودات ثلاثة الوجود الحق وهو الوجود بشرط لا والوجود المطلق وهو الوجود لابشرط والوجود المقيد وهو الوجود بشرط شئ فالأول وجود الواجب تعالى والثالث وجود الحادث الممكن والثاني المتوسط هو الوجود المنبسط وهو مع الواجب واجب ومع الممكن ممكن ومع الشيء شيء ومع اللاشيء لاشيء ومع الموجود موجود ومع المعدوم معدوم و هو الرابطة بين الحادث والقديم) فأثبتوا ثالثاً ليس بخالق ولا مخلوق ولاموجود ولا معدوم ولا حادث ولا قديم.

والمتكلمون قالوا إن المفاهيم خمسة: واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لغيره وممتنع الوجود لذاته وممتنع الوجود لغيره وممكن الوجود لذاته قالوا لايجوز ممكن الوجود لغيره وإلا لزم انقلاب الواجب والممتنع ممكناً وهذا لايصح ولم يتحاشوا عن قلب الممكن واجباً وممتنعاً وأثبتوا لهذا التقسيم أحكاماً وفروعاً حتى قسم المنطقيون الكليات إلى ستة أقسام وجعلوا واجب الوجود قسماً من الكلي الذي له أفراد كثيرة لكنها منحصرة في الفرد كالشمس فإنه أيضا كلي منحصر في الفرد إلا أن الفرق بين الشمس وذات الله سبحانه هو أن ساير أفراد الشمس ممكنة غير موجودة وساير أفراد الواجب ممتنعة وأما في كونهما فردين لكليّ فهما سواء وجعلوا ممتنع الوجود أيضا قسماً للكلي الذي له أفراد غير متناهية إلا أنها ما وجدت ولو في فرد كالعنقاء فإنه أيضا كلي أفراده غير متناهية لكنها ما وجدت أصلاً والفرق بين العنقاء والممتنع الذي يمثلون له بالشريك لله تعالى أن أفراد العنقاء ممكنة لم توجد وأفراد شريك الباري ممتنعة لم توجد وغير ذلك من الخرافات التي قد بسطنا القول في كثير من رسائلنا وأجوبتنا للمسائل ومباحثاتنا في إبطالها وتزييفها وأنها لا توافق مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وقال بعضهم وهو القول المشهور بينهم أن الوجود مشترك بين الواجب والممكن بالاشتراك المعنوي وأن أسماء الله سبحانه المشتقة كالعالم والقادر وغيرهما من مشتقات الأسماء بل أسماء الله تعالى كلها مشتقة وليس فيها اسم جامد أبداً لأن الجمود لا يكون إلا عن برودة ويبوسة والاسم المنتسب إلى الله سبحانه فيه حرارة ورطوبة فأين الجمود من الذوبان وأين الموت من الحياة فالقول بأن لفظ الجلالة جامد من أسخف الأقوال وقد صدر ذلك عن جمود القريحة و خمود الطبيعة وقالوا أن

الأسماء المشتقه كلها كليات صدقها على الأفراد بالاشتراك المعنوي فالواجب سبحانه وتعالى فرد من ذلك الكلي والممكن أيضا فرد منه والكلي لا شك أنه من حيث هو غيرهما ومقومهما وثالثهما تعالى ربي عما يقولون علوا كبيرا وغير ذلك من الأقوال التي تؤول إلى الواسطة والمنزلة بين الواجب والممكن وإثبات أقسام أخر غير الواجب والممكن.

وهذه الأوهام لما كانت مخالفة لمذهب أهل الحق ﷺ وقد شاعت وذاعت بينهم بحيث لا يرون الفضل لمن لم يعرف تلك الأقوال الفاسدة والمذاهب السخيفة الكاسده أراد عليه السلام بأبي هو وأمي إبطال هذه الأقوال الكاذبة الباطلة فقال روحي فداه (**وإنما هو الله وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما**) أتى عليه السلام بـ (**إنما**) كلمة الحصر تأكيدا للأمر وأنه ليس إلا هذا وغيره باطل وليس إلا الله وخلقه سبحانه وتعالى ولم يذكره بطريق القسمة بأن يقول عليه السلام الموجودات منحصرة في قسمين حق وخلق إرشادا إلى أن القسمة تستلزم وجود ما نفاه عليه السلام من الثالث بينهما فإن المقسم هو الثالث غيرهما ويلزم التقسيم التحديد وبينونة العزلة فإن المقسم شيء واحد تطرأ عليه الحدود والعوارض من بينونة العزله فإن المقسم شيء واحد تطرأ عليه الحدود والعوارض وتجعله أقساماً مختلفة وتثبت له أحكاماً متضادة وهو المقصود من بينونة العزلة ويكون كل قسم مركبا من حصة من ذلك المقسم ومن تلك الحدود والعوارض المشخصة ويكون بين الأقسام تضاد وهو المقصود أي الضد ويكون في كل من الأفراد المركبة فعل وانفعال واقتران وتأثير وتأثر وضم وتوليد وغيرها من الأحوال الإمكانية ويكون وجود الأفراد زايلاً على ذاتها لأن لها وجود في المقسم مستقلاً ويكون الأفراد متولدا من أب وهو المقسم ومن أم وهي الأعراض والحدود المشخصة وهكذا من ساير الأحوال

الناقصة الثابتة لأهل النقصان .

فمن جعل الله سبحانه وتعالى فردا من كلي أو قسما من مقسم كما فعلوا في تقسيم الموجود إلى الواجب والممكن والمفهوم إلى واجب وممتنع وممكن وغير ذلك مما أشرنا إلى بعض منها فقد أثبت له تعالى كل تلك الأمور التي قد قلنا أنها من لوازم الأفراد فيثبت لله تعالى التركيب والولادة والضدية والانفعال والاقتران وأن يكون له وجود زايد تعالى ربي عما يقولون علوا كبيرا فمن أثبت القسمة أثبت هذه الأحوال الإمكانية وقولهم بأن هذا التقسيم من حيث المفهوم لا من حيث المصداق غلط فاحش فإن المفهوم إن أخذ من حيث كونه آلة للتوجه إلى الله القديم سبحانه وتعالى فلا يجوز أن يثبت له حينئذ ما ينافي القدم وإن لم يصل إليه كما أنك في العبادة تتوجه إلى الله تعالى ولا شك أن الذي أدركته من المعبود جل جلاله غير الذات البحت والذي أدركته حادث من الحوادث كما قال مولانا الصادق عليه السلام :(**كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم**) ومع ذلك لا أراك تثبت للذي أدركته وتوجهت إليه أحوال الحدوث والإمكان وما ذلك إلا لأنك جعلته وجها له تعالى وآلة تتوجه بها إليه فالوجه لا يخالف ذا الوجه فلا يجوز حينئذ إثبات القسمة والاقتران والانفعال وغير ذلك وإن أخذ المفهوم لا من حيث كونه وجها للتوجه إلى المعبود الحق جل جلاله بل من حيث كونه حادثا من الحوادث وخلقا من المخلوقات فلا يجوز أن تجعل القديم المقابل للإمكان قسما من هذا المفهوم إلا أن تسمي الحادث قديما والوجود عدما إذن لا قسمة إلا بين الإمكان والممكنات وهل يجوز تسمية الحادث بالقديم أم لا مبني على القول بتوقيفية أسماء الله تعالى وعدمها ثم لو كان مرادهم الاصطلاح ما جاز الاختلاف والقول بجواز الاشتراك

وعدمه والقول بصحة القسمة وعدمها لضرورة صحة الاشتراك والقسمة في الإمكان كما هو المعلوم بالعيان ولا يخفى على الإنسان .

فمن هذه الجهة عدل عليه السلام عن التعبير بصورة القسمة وأتى بصورة الحصر وقال (**إنما هو الله وحده**) ولا شك أن القادر الفياض المطلق لا بد له من الفيض والنور والأثر وهو عبارة عن الخلق فإذا ثبت وحدة الصانع الواجب سبحانه وتعالى فكل ما سواه خلقه والخلق لا يذكر مع الذات البحت ليشملهما مقسم واحد فبطل الاشتراك و الاقتران والانفعال وغير ذلك لأنه كله فرع الذكروالوجود في الرتبة فإذا ثبت الأثرية امتنع الذكر في رتبة المؤثر فإذا امتنع الذكر امتنع الاقتران والاشتراك والانفعال وغيرها فإذا امتنعت هذه الأمور امتنعت القسمة وامتنع أيضا قولهم بالوجود المنبسط والأعيان الثابتة وغيرها ولو أردنا تفصيل المقال في هذه الأحوال لطال بنا الكلام وخرجنا عما نحن فيه وقد أبطلنا هذه العقايد الفاسدة بما لا مزيد عليه في كثير من مباحثاتنا بحيث صار من ضروريات مطالبنا عند الناظر في كلماتنا .

وفي كلام الإمام نفي صريح لها بحيث لا يحتمل الإنكار فأزال شبهة عمران في الإبداع الذي هو المتوسط بين الخالق والمخلوق بأنه لا منزلة بينهما وكل ما سوى الله تعالى خلقه ولا يحتاج المجعول الأول في إحداثه وإيجاده إلى آخر كما ذكرنا وأزال أيضا عن قلب عمران جميع ما كان يعتقده المتكلمون من الأمور التي أشرنا إلى بعض منها بنفي أن يكون شيء غير الله وغير خلقه ثم قال عليه السلام تأكيدا و تثبيتا للحق الواقع (**فما خلق الله عزوجل لم يعد أن يكون خلقه**) يعني كل ما خلق الله عزوجل لا يتعدى عن رتبة المخلوقية ولا يعدو مقامه و مرتبته إلى مقام أعلى فيكون المخلوق خالقا والممكن واجبا كما يظهر من كلمات القوم وألسنة حالهم من القول بالاقتران والاشتراك والقسمة فإن

إثبات هذه الأحوال إخراج للممكن عن حد الإمكان ورفع إلى حد القدم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

ثم أشار عليه السلام إلى حدود الخلق وأطوارهم بقول مجمل حتى يعرف عمران أن كون الشيء مستقلا ثابتا يتقوم به غيره لا يدل على أنه ليس بمخلوق وإنما هو قديم بل هو خلق للقديم سبحانه و تعالى أقامه بنفسه وأقام غيره به فمن نظر إليه بعين الاستقلال فقد صغر عظمة القديم الخالق ولذا قال عليه السلام (وقد يكون الخلق ساكنا ومتحركا ومختلفا ومؤتلفا ومعلوما ومتشابها) والخلق الساكن هو القطب وهو الذي قوام غيره به فكل جوهر بالنسبة إلى عرضه ساكن و كل عرض بالنسبة إلى جوهره متحرك وكل شيء جوهر وعرض فكل شيء متحرك وساكن ولما كانت الجواهر كلها تنتهي إلى جوهر الجواهر ومبدء المبادي الذي قال الشاعر في حقه:-

ياجوهرا قام الوجود به   والناس بعدك كلهم عرض

فيكون هو الساكن في الحقيقة دون غيره ولما كان لكل أحد سكون و حركة استدرك القول هنا وأجمل عليه السلام بقوله **(وقد يكون الخلق ساكنا ومتحركا)** بعد ما قال في المشية أنها خلق ساكن لا يدرك بالسكون وكذلك السكون الثابت للخلق أيضا لا يدرك بالسكون كالمشية حرفا بحرف والعرض على أقسام.

لأنا قلنا أن العرض ما يقوم بالغير والقيام على أربعة أقسام قيام صدوري كقيام الكلام بالمتكلم والصورة بالشاخص المقابل والأشعة بالمنير وهكذا كل أثر بالنسبة إلى مؤثره وقيام عضدي ركني تحققي وهو قيام المركب بأجزائه وقيام الأجزاء من حيث التركيب بعضها بالآخر وقيام عروضي وهو قيام الصفات أي الهيئات من الألوان والكيفيات والكميات من الطول والعرض والعمق وغيرها من الأعراض بمحالها وموضوعاتها من

الأجسام وغيرها و قيام ظهوري وهو قيام ظهور العالي بنفس السافل الذي هو نفس السافل الذي هو نفس العالي الذي هو ظهور العالي والأعراض لا تخلو بجميع مراتبها وأحوالها وأوضاعها وأحكامها عن هذه الأربعة وهي متقومة بجواهرها متجوهرة بها ومنتهية إليها ولذا لا يصح أن يطلق على الله الجوهر لعدم انتهاء شيء إليه تعالى كما ذكرنا مرارا فإذا ثبت أن الجوهر هو القطب الساكن فيكون الأعراض هي المتحركات فالمتحرك هو العرض فمن قال أن الحركة إنما تقع في العرض ولا تقع في الجوهر و أراد هذا المعنى من حكم الدايرة والقطبية وسكونها بمعنى استقلالها بالإضافة فحق لا شك فيه ولا ريب يعتريه إذ الحركة لابد لها من منتهى تنتهي إليه وذلك المنتهى إليه يجب أن يكون ساكنا عند المتحرك حتى تقع الحركة إليها ولما كانت الأشياء لا تنتهي إلى القديم انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله ولما كان أهل كل مرتبة يستمدون مما هو من نوع تلك الرتبة فتكون الأقطاب متعددة وكل قطب من حيث هو قطب ساكن ومن حيث هو دايرة متحرك فلم تزل الأشياء في الحركة والسكون والابتداء والانتهاء إلى ما لا نهاية له من المدى.

فظهر لك من هذا البيان المكرر أن المتحرك هو السافل والساكن هو العالي وقد نعكس الأمر ونقول أن المتحرك هو العالي لأن الحركة دليل الحياة والسكون دليل الموت فيكون الحي هو القريب من المبدأ والميت هو البعيد ووجه آخر أن العالي معطي مقبل مفيض فهو المتحرك إلى جهة السافل والسافل هو القابل الحافظ لما يرد عليه من فيض العالي فهوإذن ساكن راكد واقف ثابت والمتحرك هو النار و الساكن هو الماء والمتحرك هو الهواء والساكن هو الأرض فباعتبار الحركة والسكون يجري في كل شيء وكل ذرة من ذرات الوجود بكل جهة فافهم الإشارة ولا تقتصر على العبارة.

والمختلف هو الأجزاء المتباينة المتضادة في الجعل الأول من الوجود ومقتضاه الذي هو العقل والنفس المطمئنة وآثارها وصفاتها وكلياتها هي الملائكة الخمسة والسبعون المذكورة في جنود العقل و الماهية ومقتضاها الذي هو الجهل والنفس الأمارة بالسوء وصفاتها و كلياتها هي الشياطين الخمسة والسبعون المذكورة في جنود الجهل فظهرت من غلبة كل واحد منهما على الآخر الذوات الطيبة والخبيثة و قد ذكرنا عند ذكر الحروف الثمانية والعشرين المستوية الذوات الطيبة من العقل والنفس إلى آخر المراتب وعند ذكر الحروف المعكوسة الذوات الخبيثة الملعونة من الجهل وتحت الثرى والطمطام وجهنم إلى آخر المراتب وجميع الاختلافات إنما نشأت من هذين الأصلين الذين هما خليجان من بحر واحد في الاختلاف بين الحق والباطل و أما الاختلاف في جهات الحق فبالأطوار الستة التي هي المشخصات من الكم والكيف والجهة والرتبة والزمان والمكان وكذلك الاختلاف في جهات الباطل من هذه الستة فإذا نظرت إلى الشيء من حيث طبايعه وأجزائه وجزئياته ومراتبة وأحواله وحدوده وأوضاعه و شئونه تراه مختلفا غاية الاختلاف و إذا نظرت إلى الجانب الجمعي الذي قد طوى كل تلك الحدود والأوضاع بحيث اضمحلت ملاحظة تلك التفاصيل معه فكان شيئا واحدا جامعا مملكا يشار إليه بإشارة واحدة تراه مؤتلفا غاية الايتلاف والايتلاف دليل اعتدال المزاج والاختلاف دليل فساده ولذا ورد عنهم عليهم السلام (ما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي الذنوب)[1] وترى في دولة الباطل كمال التناكر والاختلاف بين الموجودات وينعكس الأمر في دولة الحق حتى يرعى الذئب و الغنم في مكان واحد ولا يتعرض الذئب للغنم والصقر والحمامة يعيشون في

---

(١) الكافي ٨/ ٢٤.

عش واحد ووكر غير متعدد فإن محبة الله تعالى تجمع القلوب المختلفة وهو قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ (١) وقوله تعالى ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (٢) فالتأليف وجه الواحد والتنكير والاختلاف وجوه متعددة في البطلان والطغيان وهو قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) والتأليف تمام الشيء وكماله والاختلاف من جانب النقصان وعدم التمام والتأليف شفاء من كل داء والاختلاف سم قاتل وهوقوله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (٤) وفي الدعاء **(يا من اسمه دواء وذكره شفاء)** (٥) وذكره واسمه كل شيء ينسب إليه تعالى وما لا ينسب إليه تعالى فليس فيه اسمه وذكره فليس فيه شفاء بل سم قاتل وقد نفى الله سبحانه الاختلاف عن نفسه والاختلاف شكل المثلث ولذا كان شكل الخراب والدثور والبوار والهلاك وهو أبو الأشكال الغالب عليه الوحدة العادة لكل الكثرات التي بها يحصل التأليف والايتلاف شكل المربع الذي به الاجتماع والتأليف والاقتران والازدواج فإن المربع يحصل من الاثنين المؤتلفين المرتبطين وهو قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٦) وقوله تعالى ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (٧) لبيان التربيع ولم يقل فردين فإن

(١) سورة آل عمران ١٠٣.
(٢) سورة الأنفال ٦٣.
(٣) سورة الزمر ٢٩.
(٤) سورة النساء ٨٢.
(٥) دعاء كميل المروي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام
(٦) سورة الروم ٢١.
(٧) سورة الذاريات ٤٩.

الواحد الفرد والاثنين من غير الأربعة قد دل على استحالتهما العقل والنقل والوجدان والاختلاف حكم الصورة وأصله ومنبعه العلة الصورية وهو فصل الخطاب وهو قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[2] وقول النبي ﷺ (ما اختلف في الله ولا في وإنما الاختلاف فيك يا علي) وقد قال سبحانه في القمر ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾[3] والايتلاف حكم المادة وهي المقترنة بالصورة والمتممة لها وأصله وينبوعه في العلة الماديه ولذا قال تعالى ﴿تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾[4] وجاز له ﷺ أن يأخذ ما شاء وينكح ما أراد من الزوجات من غير عدد ولم يجز لعلي عليه السلام مع فاطمة عليها السلام سواها وهكذا حكم الاختلاف والايتلاف يجري في الأشياء كلها وكل شيء فيه اختلاف وايتلاف كما أن كل شيء ساكن و متحرك وجوهر وعرض وقد أشرت إلى نوع المراد وعليك باستخراج الكنز من الرمز.

وأما المعلوم فالمراد به المحكم الظاهر الدلالة واضح المحجة بحيث ليس فيه شبهة وارتياب وهو النص الجلي الواضح العلي الذي لا يحتمل الخلاف مطلقا أو في اصطلاح يقع به التخاطب والقوم جعلوا المحكم أعم من الظاهر والنص ولا يبعد ذلك لأن النص هو الحجة البالغه الذي ليس لأحد فيه مهمز ولا لقائل فيه مغمز وهو المحكم المتقن الذي خلقت طينته من عليين وهي الطينة التي ليس لأحد فيها نصيب قد أزال وأبطل نور تلك الطينة الإلهية كل ظلمة وشبهة ونكارة وجهل ودناءة ورذالة فلم يبق إلا

(١) سورة النبأ ١ – ٣.
(٢) سورة ص ٦٧ –٦٨
(٣) سورة يونس ٥.
(٤) سورة الأحزاب ٥١.

المعروفية المطلقة والمعلومية التامة لأنه حينئذ صفة المعلوم المطلق والمعروف الذي ليس فيه نكارة و الظاهر الذي ليس فيه خفاء فبقي معلوما لا جهالة ولا جهل فيه ولذا صار كما في الزيارة الجامعة (**حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل و لا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه**) الزيارة. فلو كان في تلك الحقيقة نوع خفاء وجهة شبهة وظلمة لم يظهر هذا الظهور لكل أحد .

وأما الظاهر فهم جماعة خلقت قلوبهم أي أفئدتهم من تلك الطينة بحيث لا فرق بينهم وبينها إلا أنهم آثارها وأشعة أنوارها وعبدها رقا وطاعة وخلقت أجسامهم أي مقام تعينهم وإنيتهم الذي هو مقام صورهم وحدودهم المشخصة من دون تلك الطينة فبذلك سرت فيهم جهة ظلمة وبتلك الجهة اختفوا ولم يظهروا بالكلية إلا أن جهة نورانيتهم لما كانت غالبة بقوا في مقام الظهور الذي يستفاد منه الظن بخلاف الأولين فإنهم النصوص القاطعة والبراهين الواضحة والأنوار اللامعة والحجج البالغة فالناظر إليهم لا يزال على بصيرة وهداية و رشاد قاطع متيقن بالمراد وأما شيعتهم المخلصون وإن كانوا نورانيين إلا أنهم ليسوا بتلك المثابة فلا يستفاد منهم من الطمأنينة والسكون مثل ما يستفاد من المعصوم الطيب الطاهر فافهم .

وأما المتشابه فهو الذي تتعارض فيه الجهات المتضادة فلا يدري الناظر أي الجهات مراده فيسلك بذلك سبيل الباطل سيما إذا توغل فيها وذلك لا يكون إلا عند وقوفه مقام الاختلاف والتضاد وأن يكون له فطرتان فطرة أصلية

إلهية وفطرة عرضية معوجة فمرة ينظر إلى الأولى الأصلية ومرة ينظر إلى الثانية السفلية فيشتبه عليه النظران ومن تعارض النظرين وتعاكسهما يحصل الظن والوهم والشك والوسوسة والريب والزيغ والعناد والجهل والحمق وأمثالها من الملكات الردية وقد ذكرنا تفاصيل هذه الأحوال في مسألة العلم وحقيقته وحقيقة ومنشأ تحققه ومن أراد ذلك فليراجعها .

أو المتشابه ضد المحكم بمعنى النص والظاهر الذي ذكرنا فإن أهل الباطل والأئمة الذين يدعون إلى النار عندهم من الباطل ما يشابه الحق فيلقون على الضعفاء ويضلونهم عن السبيل وهو قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1] وهم الذين يطلعون على سرايرهم الخبيثة وبواطنهم القبيحه فلا تحجبهم ظواهرهم عن مشاهدة بواطنهم .

وقد يكون الشيء الواحد محكما من وجه ومتشابها من وجه آخر كما في الساكن المتحرك والمختلف المؤتلف وهذه الأمور الستة التي ذكرها عليه السلام كلها يجري في الشيء الواحد بحسب المقامات.

ثم لما ذكر عليه السلام حدود الخلق من حيث الاستقلال وعدمه ومن حيث الوحدة وعدمها ومن حيث المعلومية وعدمها وظهر من تلويح كلامه عليه السلام أن المعلومية هي علة الايتلاف والتشابه علة الاختلاف أو بالعكس أي الايتلاف والوحدة والإجمال علة المعلومية والاختلاف والتضاد والكثرة علة التشابه والمعلومية علة السكون والتشابه علة الحركة أراد أن يبين عليه السلام بطلان ما ذهب إليه بعض الأوهام الفاسدة أنها تدرك الأعدام والممتنعات وشريك الباري وأنها تدرك مفهوم واجب الوجود وينتزع منه الصفات وأن

---

(١) سورة آل عمران ٧.

المصادر السيالة لا وجود لها كالفوقية والتحتية وأمثالهما حتى قال بعضهم بعدمية مفهوم القدم والحدوث والوجوب والإمكان وأمثالها فقال عليه السلام **(وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله عز وجل)** معناه كما قال مولانا الصادق عليه السلام **(كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم)** فكل شيء يقع عليه حد وتمييز سواء كان في الذهن أو في الخارج بأي نحو من الأنحاء يكون فهو مخلوق لقوله عليه السلام **(إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)** فالممكن المخلوق لا يدرك إلا ما كان ممكنا مخلوقا فلا يسعه إدراك الواجب والممتنع لأنه ليس بواجب ولا ممتنع وفرض المحال محال لأن الفارض ممكن وما نسميه محالا وممتنعا كل ذلك لجهة إمكانه وإلا فكل ما ليس عندنا لا نقدر عليه فلو فتح هذا الباب جاز إدراك الواجب سبحانه وتعالى وقد أجمع المسلمون على استحالته ولما نص الله عز وجل على أن كل شيء له خزائن عديدة يتنزل من الأعلى إلى الأسفل فما ندركه في مداركنا ومشاعرنا وقوانا وحواسنا كل ذلك قد نزل من عالم آخر إلينا فهو من الخارج مع أن كل ما يأتينا إما من كتاب الأبرار في عليين أو من كتاب الفجار في سجين ولا يمكن أن يدرك ما لم يكن مكتوبا في أحد الكتابين وهو قوله تعالى **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾**[1] فإذاً بطل ما حكموا بعدميته وأن الذهن يدرك ما ليس بموجود في الخارج.

ثم أراد عليه السلام أن يفصل المدارك والمشاعر وما يخص كل مشعر بإدراكه وأن كل ما تفهمه الحواس وتدركه فهو (فهو ما) رتبة تلك الحاسة أي صفة الأمر الخارجي وصورته قد انتقشت في مرآة تلك الحاسة فهي تنظر إلى الخارج بما فيها وتحكم عليه بما عندها وهذا باب واسع في العلم فقال روحي

(١) سورة العنكبوت ٤.

فداه (**واعلم أن كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس**) وهذا هو الإشارة إلى الشق الثاني من الكلام من أن ما تؤدي إليك الحواس هو المعنى المدرك لها الموجود في رتبتها الآخذة شبح الأمر الخارجي على حسب ما عندها من الاستقامة والاعوجاج والاختلاف والايتلاف وغير ذلك ولذا تختلف الأفهام والأوهام في الشيء الواحد فيحكم كل بخلاف ما حكم به الآخر بل يختلف فهم الشخص الواحد في الشئ الواحد فلوكان ما في الذهن هو الذات والحقيقة لما اختلفت فلما اختلفت الحواس في إدراك الشئ الواحد علمنا أن ما عندها الرسم والشبح لا الذات والحقيقة فأبطل عليه السلام بذلك مذهب القائلين بأن الأشياء إنما تدخل في الذهن بحقايقها لا بأشباحها وبين عليه السلام أن الإدراك بإحداث الشبح لا غير ذلك ولذا قيده بقوله روحي فداه (**فهو معنى مدرك بالحواس**) فافهم.

وأشار إلى الشق الأول من الكلام بقوله عليه السلام (**وكل حاسة تدل على ما جعل الله عز وجل لها في إدراكها**) واعلم أن اختلاف المشاعر دليل على اختلاف الإدراكات واختلافها دليل على اختلاف المدركات واختلاف القوى باختلاف المدركات دليل على أن بين الإدراك والمدرك لا بد من مناسبة ذاتية تصحح تخصيص الإدراك ولذا جعل الله سبحانه للأجسام أي لإدراكها الحواس الظاهرة الجسمانية من السامعة والباصرة واللامسة والذائقة والشامة وكل قوة جعلها الله سبحانه لإدراك جهة من الجهات الجسمانية فالسامعة للأصوات والباصرة للألوان واللامسة للخشونة واللين والذائقة للطعوم والشامة للروايح وهذه الخمسة هي العمدة في عالم الأجسام.

وتأخذ تلك القوى شبحا من كل سنخ بهذه الآلات وتؤدي إلى بنطاسيا وهي الحس المشترك العالم البرزخ بين عالم الأجسام والأرواح وتدرك الصور

الغيبية بمعونة الصور الخارجية مثل استدارة الشعلة الجوالة وغير ذلك وهذه القوة تؤدي الخيال وهو في البطن المؤخر من التجويف الأول للدماغ كما أن الحس المشترك في البطن الأول من التجويف الأول وقالوا أن الخيال هو خزانة الحس المشترك وليس له إدراك غير الحاملية والخازنية وليس بصحيح بل الخيال قوة مدركة للصور الغيبية المنتزعة من الصور الشهودية أو ما من شأنه ذلك وهي يستمد ظاهرها من جسم فلك الزهرة وباطنها من باطن فلك الزهرة أي من روحها ولا يبعد أن تكون المفكرة مقدمة على المخيلة لأن بابها فلك عطارد بغيبه وشهادته وباب الخيال الزهرة بغيبها وشهادتها ولا شك أن فلك عطارد أقرب إلى عالم الشهادة من الزهرة ووجبت مطابقة الفرع مع الأصل قالوا في وجه التخلف أن المفكرة هي قوة تجمع بين المختلفات وتفرق بين المؤتلفات ويضم المعنى بالصورة ويضم الصورة بالمعنى فإذا كان كذلك وجب أن يكون محلها الوسط وهو البطن الأول للتجويف الثاني فإن الوهم الذي يدرك الصورة الغيبية في البطن الثاني للتجويف الثاني والخيال الذي يدرك الصور الشهودية في البطن الثاني للتجويف الأول فالفكر يتوسط بينهما ويأخذ عنهما وقالوا أيضا أن الصورة باردة رطبة والمعنى بارد يابس والمثلث الذي للدماغ قاعدته إلى جهة الجلد والحواس الظاهرة ورأسه إلى الباطن فكل ما هو أقرب إلى القاعدة أكثر برودة ورطوبة فلذا صار الحس المشترك في البطن الأول من التجويف الأول ثم بعده الخيال لأنه صورة محضة ثم الفكر لأنه صورة ومعنى وضم وتأليف وجمع وتفريق وغير ذلك ثم الواهمة وهي التي تدرك الصور الغيبية المعنوية ثم الحافظة فإنها خزانة للمعاني الغيبية ثم العاقلة وهي في البطن الثاني من التجويف الثالث وقال بعضهم إن فيه المحركة والأول هو الأوْلى فإن العاقلة تأخذ وتستمد من فلك زحل وهو أعلى الأفلاك وأقصاها والحافظة وهي مخزن العلم تأخذ

وتستمد من ذلك المشتري وهو تحت فلك زحل والواهمة محل المعاني إلى الصور المنتزعة من عالم الغيب مثل عداوة زيد ومحبته وصداقته وهكذا من الأمور الغيبية التي لا تظهر في الحس الجسماني وهي تستمد من المريخ الذي تحت المشتري والمتخيلة محل الصور والهيئات المنتزعة من عالم الشهود تستمد وتأخذ من فلك الزهرة وهو تحت المريخ والمفكرة محل ترتيب وجمع وصوغ وهدم تستمد من فلك عطارد وهو تحت الزهرة والحس المشترك محل الصور البرزخية وهي تستمد على ما أفهم من باطن جوزهر القمر وهو تحت عطارد فاقترنت الأسباب بالمسببات والعلل و المعلولات ولي كلام طويل عجيب في هذه القوى وترتيبها و مداركها وصورها وهيئاتها وفي تصحيح ما قال القوم وتزييفه تركت ذكره للتطويل وصونا عن أصحاب القال والقيل وهذه القوى كل قوة تدل على ما جعله الله فيه فالحس المشترك تدل على الصور البرزخية والخيال على الصور الغيبية على التفصيل الذي ذكرنا.

ثم أراد عليه السلام أن يبين أن هذه الحواس والقوى والمدارك ليست بمتأصلة مستقله بل لها أصل نشأت كلها منه وتعود إليه وهي آلاته يستعملها في مهماته مما يحتاج إليها في عالم التفصيل وذلك الأصل هو القلب ولذا قال عليه السلام **(والفهم من القلب يجمع ذلك كله)** والقلب وإن كان له إطلاقات كثيرة إلا أن المراد في هذا المقام هو العقل الكلي الخاص بالشخص وهو وجه من روح القدس ونسبته إلى بدن الإ نسان وقواه ومشاعره نسبة روح القدس أي العقل الكلي إلى العالم فإنه قد خلقه الله تعالى من إقباله وإدباره وشؤونات أطواره وكذلك العالم الإنساني خلقه الله سبحانه من شعاع ذلك العقل فخلق بإقباله وإدباره الجزئي جميع مراتب كل شخص من الأشخاص الجزئية فهو الأصل في جميع المراتب وهي كلها تصدر عنه وإليه ترد والحكم لله العلي الكبير.

والقلب جوهرة نورانية إلهية بدت من الاختراع الأول مجردة عن المادة الملكوتية والجسمانية والشبحية البرزخية وعن المدة المقدارية المثالية والمدة الزمانية وأول نور مشرق من صبح الأزل وآدم الثالث وأول ولد تولد من آدم الثاني الذي هو الوجود المقيد أعني الماء النازل من سحاب المشية الذي به كل شئ حي ومن حواء أرض الجُرُز وأرض القابليات أي الماهية الأولى خلقه الله سبحانه من أربعة أجزاء من رطوبة ماء بحر الصاد أول المداد وجزء واحد من يبوسة أرض القابلية الأولى الأرض الطيبة ثم مزج بينهما باسمه الحي ثم عقدهما باسمه القابض ثم أخذ من هذا المجموع جزئين ومزجهما مع جزء واحد من أرض الجرز والأرض المقدسة ثم عركهما بحرارة اسمه النور مع الرطوبة أي رطوبة اسم الله المبين ثم عقدهما بذلك مع قوة اليبوسة أي يبوسة اسم الله القابض فتمت خلقته وكملت صنعته ثم سجد لله تحت عرش ربه فركع مسبحاً بحمد ربه وقام قائماً معلناً بالثناء عليه تعالى.

وذلك هو العقل وهو القلب وهو أول غصن أخذ من شجرة الخلد وهو القلم في قوله تعالى ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وهو عبد من عباد الله قائم في طاعة الله صورته هيكل التوحيد وصفته الرضا والتسليم ومقامه الركوع وطبيعته البرودة واليبوسة في ظاهر ذاته والبرودة والرطوبة في ظاهرفعله والحرارة واليبوسة في أصل ذاته وإدراكه المعاني الكلية ومخزنه كل الوجود بالذكر كالإنسان المذكور عند جميع الأفراد والجزئيات الغير المتميزة في رتبة مقامه ودليله الموعظة الحسنة وسبيله اليقين وطريقته التقوى وعلم الطريقة وصفته الاستقامة وذكره سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح و معرفته أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ونفي الأضداد والأنداد ومعرفة الصفات

(١) سورة القلم ١.

الثبوتية والسلبية وشغله العبادة فلا يتوجه إلا إلى المعبود بالحق وحده لاشريك له وثمرته العصمة عن الخطأ فطوبى لمن لاحظ حرمته واقتطف ثمرته وقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وأن كل ماجاء به محمد ﷺ حق لاشك فيه وحكمه الاحتياط لتحصيل اليقين ومكانه كل الممكن لأن العقل أول شئ برز في الوجود بمشية الله سبحانه ومادة أمره الكوني وخطابه الشفاهي فلم يبق في الإمكان الكوني مكان إلا وقد وسع نوره وظهر ظهوره والأشياء كلها خفيت واضمحلت عند سطوة جبروته و لذا سمي عالم الجبروت ووقته الدهر و هو الوقت الثابت المستمر الذي يجمع المختلفات الزمانية ويفرق المجتمعات ولونه البياض في صفته والسواد في ظاهر ذاته والحمرة في باطن حقيقته مقبل على الله عز وجل مطيع لأمره ونهيه إذ لايجد في مقام ذاته مايصرف نظره عن الله تعالى إذ ماعداه كله باطل وذكره لايقاوم تأصل الذات فلا يمكن التوجه إلا إليه تعالى فلما كان كذلك أحبه الله و أكرمه وملكه هذا العالم وسخر له كل شئ فالأشياء آلات وقوى له يصرفها فيما يشاء كما يشاء بما يشاء والقلب حقيقة وحدانية إجمالية والصدر تفصيل ذلك الإجمال وتمييز ذلك الإبهام وبه تظهر الجهات والحيثيات فتفاصيل القلب في الصدر وتفاصيل الصدر في الدماغ فالصدر جامع للجهات المتشتتة المختلفة في الدماغ من القوى المذكورة والقلب جامع ما في الصدر فقوله عليه السلام **(والفهم من القلب يجمع ذلك كله)** ينظر إلى طي الواسطة ورجوع الأشياء إلى مباديها والقلب هو أصل العوالم و ترجع الملائكة بالأخبار إليه في ليلة القدر و ليلة الجمعة وكل آن و وقت وهو الجامع لتشتتات أخبار الملائكة كما تخبر الحواس القلب في كل آن ووقت ودقيقة أخبار ماترد على كل حاسة وتجتمع الأخبار كلها عند العقل و القلب وهكذا تعرض الملائكة أعمال الخلايق وأطوارهم وحركاتهم وسكناتهم وأصولهم وفروعهم وأكوارهم وأدوارهم كلها على

قلب العالم فهو الحافظ للعالم عن الاندراس كما أن كل ما يصل إلى البدن بالقلب وكل مايرد عليه باطلاع القلب ويستخبر عند الورود وقبل الورود لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في أرض جسده من حركات الشرائين وسكون الأوردة و لا في السماء سماء الأرواح والغيوب فافهم ضرب المثل وتلويح الإمام عليه السلام في لحن الخطاب فقد قالوا عليهم السلام (**نحن لا نعد الرجل من شيعتنا فقيهاً حتى يلحن له فيعرف اللحن**) فقد أثبت بأبي هو وأمي في هذا الكلام الموجز المختصر ما لاتسعه العبارة وتضيق به الإشارة إلا إني في كتمانها لفى واسع العذر فإن أهل هذا الزمان حرّموا على أنفسهم خيراً ماله عوض وأمراً ماله ثمن حفظنا الله وإياكم عن شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا.

قال عليه السلام : **واعلم أن الواحد الذي قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير وكان الذي خلق خلق اثنين التقدير والمقدر وليس في واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بنفسهما ولم يخلق خلقاً شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه و لا يعضده و لايكنّه والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيته وإنما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة في وصفهم الله بصفة أنفسهم فازدادوا من الحق بعداً ولو وصفوا الله عز وجل بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا فلما طلبوا من ذلك ماتحيروا فيه ارتبكوا والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.**

قال عمران ياسيدي أشهد أنه كما وصفت ولكن بقيت لي مسألة.

(١) بحار الأنوار ٢ / ٢٠٨..

لما بين عليه السلام خلق الوجود المطلق وأشار إلى العلل الأربع من حيث هي ومعلولاتها بقوله **(ساكن)** وهو العلة الفاعلية **(ومؤتلف)** وهو العلة المادية **(ومختلف)** وهو العلة الصورية **(ومعلوم ومجهول)** وهو العلة الغائية على أحد الوجوه والمتحرك إشارة إلى نفس المعلول من حيث هو معلول أراد عليه السلام أن يفصل مراتب المعلول وأن يشرح حاله ونسبته إلى العلة ولما اتفقت كلمة العقلاء أن بين العلة والمعلول لابد من مناسبة ومرابطة بها يصح تخصيص كل مفعول بالجعل دون الآخر ولم يتضح المراد من هذه المناسبة والعلة توهموا أن العلة هي ذات الله تعالى فاضطربوا لوجه مناسبته بمخلوقاته و معلولاته مع كونه هو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وهو قولهم بالربط بين الحادث والقديم.

فقال بعضهم وهم الصوفية القائلون بوحدة الوجود أن ذات العلة واحدة من غير تكثر واختلاف لكنه يتطور بالأطوار ويتعين بالحدود والتعينات إظهاراً لكماله وإثباتاً لأسماء جلاله وجماله وإراءة نفسه في مرايا القوابل والاستعدادات لأن الجميل يبتهج بجماله إذا رآه في المرآة فصح الربط بل الخلق ليس شئ سواه كالمداد الظاهر بالحروف والبحر الظاهر بالأمواج وقالوا أن هذا لا يستلزام النقص كما أن الشمس تشرق على النجاسات والقاذورات ولاتتكيف الشمس بكيفياتها ولاتتنجس بها.

ولما رأى الآخرون أن هذا المذهب هو الخروج عن مذهب أهل الإسلام بل عن جميع المذاهب والملل كما قال الشيخ علاء الدولة السمناني في حاشيته على الفتوحات عند قول ابن عربي سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها قال يا شيخ إن الله لا يستحي من الحق ياشيخ لو قيل أن فضلة الشيخ عين وجود الشيخ لاتسامحه بل تغضب عليه فكيف يجوز لك أن تنسب هذا الهذيان إلى

الملك الديان تب إلى الله تعالى لتنجو من هذه الورطة الوعرة التي يستكنف عنها الطبيعيون والدهريون.

و قال بعضهم في الربط بإثبات الأعيان الثابتة لذلك ولإثبات علمه بالأشياء قبل خلق الأشياء فإن كون علم الله عين ذاته تعالى ضروري وأن العلم يستدعي المعلوم لأنه من قبيل الإضافة لا شك فيه وحدوث الأشياء مما لاخلاف لأحد فيه فلو جعلنا المعلومات هي المحدثات انتفى العلم في القديم للأصل الذي عندهم من حكم الإضافة ولو جعلنا عين الذات وقلنا بقدم الأشياء فلا يسعنا ذلك لضرورة الحدوث فاحتاجوا لأن يثبتوا للأشياء تحصلاً ذكرياً في الأزل في ذات الحق سبحانه حتى تكون معلومة له تعالى قبل خلقه الخلق ثم تكون تلك الأذكار علة الربط فاختصاص كل مجعول بجعل خاص حسب معلوميته في العلم الأزلي سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً. وقال الآخرون في حقيقة الربط بأن معطي الشئ لا يجوز أن يكون فاقداً له وإلا لزم المحال فيجب أن تكون الأشياء كلها في ذاته بوجه أشرف وأن لايسلب عن ذاته تعالى أمر وجودي وإلا لزم التركيب فيكون بسيط الحقيقة كل الأشياء.

وقال الآخرون بأن الأشياء لا تحقق لها ولا ثبات ولا وجود وإنما هي أوهام وخيالات يتوهمها ويتخيلها الإنسان فالوجود هو الله و الأشياء موجوده بالانتساب إليه وقالوا أن وجود زيد إله زيد كما تقول ماء مشمس بالشمس هي الأصل والحرارة إنما حصلت بالانتساب و قال الآخرون بالتوقف والتحير وقد طرق سمع عمران هذه الأقوال الفاسدة والعقايد الباطلة أراد عليه السلام أن يبطل هذه الأقوال ويبطل هذا المحال ويزيل تلك الكدورات.

فقال روحي فداؤه (**واعلم أن الواحدالذي قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد**) فالواحد هو الذي لا كثرة فيه لأنهما متناقضان

لا يجتمع أحدهما مع الآخر وأما الواحد الذي فيه الكثرة فإطلاق الواحد عليه من باب المجاز والتوسع وكل ما فيه الاثنينية والمغايرة كثرة يجب سلبها ونفيها عن الواحد الحقيقي فإذن لا ذكر للكثرة فيه بوجه من الوجوه فأين النسبة وأين الربط وأين الأعيان الثابتة فإن كانت لها جهة غير جهة الذات ينفع إثباتها للغرض الذي عندهم فإن لم يكن لها إلا جهة الذات وهي عبارة أخرى للذات لم ينفع إثباتها أبداً لأن الربط لم يحصل والمناسبة ماتحققت ضرورة أنها بين الأمرين والنسبة تستدعي المنتسبين فإذا امتنع الذكر امتنع النسبة فامتنع بذلك التعين الذي ذكره الملاحدة الصوفية فإن التعيين والتعين مقترنان والاقتران ينافي الوحدة الحقيقية فإن كان معطي الشئ يعطي عما في ذاته إذن لنفد ذاته و لنقص وإن كان يعطي عما في قدرته وإحداثه وملكه فهو فاقد المعطي في ذاته وتمثيلهم بالسراج والأشعة على مايفهمون لا يتم إلا في الفاعل الموجب والفاعل بالطبع كما يزعمون وأما الفاعل المختار فلا يجري شئ من ذلك نعم المعطي لا يجوز أن يكون فاقداً للشئ في ملكه وفي قدرته وعلمه وأما علمه فيجب أن يكون فاقداً لها لا على نحو يلزم التحديد على مازعموا كما قال عليه السلام **(إن الله خلو من خلق وخلقه خلو منه)** وكل مايصدق عليه اسم شئ ما خلا الله باطل فقوله عليه السلام **(واحد)** أبطل جميع ماذكروا وهدم كل ما أسسوا وشيدوا.

ثم أردف قوله عليه السلام إتماماً للحجة وإكمالاً للنعمة بالتقييد بقوله عليه السلام **(الواحد الذي قائم بغير تقدير)** فهو تفصيل لما أجمله بقوله الواحد ثم أردف عليه السلام هذا التنزيه عند الخلق لبيان أنه تعالى حين إيجاد الخلق منزه عن كل القرانات والنسب والأوضاع فهو تعالى منزه عن التقدير والتحديد وقد خلق خلقاً محدوداً مقدراً فأبطل بذلك قول المشائين وأصحاب العقول العشرة من

القول بأن الواحد من حيث هو واحد لم يصدر منه إلا الواحد فقد ذكر عليه السلام أن الواحد من حيث كونه واحداً منزهاً عن التقدير والتحديد خلق مقدراً محدوداً ولا شك أنه متكثر وفي الدعاء (**لا يشغله خلق شئ عن خلق شئ ولا علم شئ عن علم شئ ولا يفوته شئ ولا يؤده حفظه شئ**)[1] نعم المناسبة بين العلة والمعلول ثابتة وهي في الظاهر بين المعلول وصفة العلة وفعلها ألا ترى الكتابة فإنها معلولة لك وهي لا تدل إلا على استقامة حركة يدك أو اعوجاجها وأما على ذاتك فلا تدل عليها أبداً ولذا لا يستدل بحسن الخط على حسن ذات الكاتب وبقبح الخط على قبح ذات الكاتب نعم يستدل بهما على استقامة حركة يده واعوجاجها كما أشرنا إليه فالمناسبة بين الأثر وصفة المؤثر لا بين الذات والآثار تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما في الواقع فالعلة هي الفاعل والخالق وهما صفتان للفعل لا صفتان للذات وقد أجمع عليه الشيعة المخلصون المقتفون لآثار أئمتهم الهداة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين فإذن فالمناسبة بين الفعل والمفعول لا بين الذات و المفعول فالذات تحدث الفعل بنفسه بلا كيف ولا اقتران ولا ربط ثم يحدث المفعولات به بعد ما أحدث ذكرها فيه فيناسبه كل مفعول بما فيه من ذكره واسمه ولا يصح السؤال عن كيفية إحداث الفعل إذ لا كيف هنا لأن الكيف مخلوق به ولا يجري عليه ماهو أجراه وهو السابق على الكيف والكم والزمان و المكان والأولية والآخرية والابتداء والانتهاء وغيرها فلا يوصف بها وقد نص مولانا الرضا عليه السلام بذلك في حديث الإرادة لما سئل عليه السلام عن الفرق بين إرادة الله وإرادة المخلوقين قال عليه السلام إلى أن قال (**وأما إرادة الله فإحداثه لا غير فإنه لا يروي ولايهم و لايفكر وإنما يقول للشئ كن فيكون بلا**

(١) التهذيب ٣/ ١١٧ قريب منه.

لفظ و لا كيف لذلك كما أنه لا كيف له) هـ فإذن بطل السؤال عن كيفية إيجاد الفعل كما بطل السؤال عن كيفية حقيقة كنه الفاعل الخالق سبحانه وتعالى فالله هو المنزه عن التقدير و التحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير أخذ في إحداث الوجودات المقيدة وكلياتها وأول خلق دخل في الوجود بالتقدير والتحديد أي بالحدود و الهيئات المتميزة المتشخصة سواء كانت معنوية أو شخصية فأول الوجودات المقيدة هو العقل الأول وهو الذي قال النبي ﷺ **(أول ماخلق الله عقلي)** و**(أول ما خلق الله القلم)** و**(أول ما خلق الله روحي)** والكل بمعنى واحد وهو أول الوجودات المقيدة لا مطلق الوجود فإن المشية سابقة عليه.

ثم أراد عليه السلام ذكر كيفية إحداث العقل وغيره من الوجودات المقيدة قال عليه السلام **(وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدر و ليس في واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق)** التقدير يراد به الحدود و الهيئات و الأوضاع والهندسة والمقدر يراد به المادة المطلقة والهيولى الأولى وهو الوجود الذي هو أثر المشية وهو المصدر الذي نشير إليه دائماً فالله سبحانه خلق أولاً الوجود الذي هو المقدر فإن الحدود و الهيئات إنما ترد وتطرء عليه فهو المقدر فخلقه الله سبحانه بجعل مستقل أولاً وبالذات ثم خلق التقدير وهو الصورة وهو الماهية والإنية بتبعية جعل الوجود الذي هو المقدر ثانياً بجعل على حدة ثم ألف بينهما وخلق النسبة الارتباطية ثالثاً ثم ألزم بينهما أي ألزم الماهية الوجود ومزج بينهما وجعلهما شيئاً واحداً حتى صدق عليه خلقاً واحداً مقدراً بتحديد وتقدير رابعاً فتم بذلك العقل فكل شئ على هذا المجرى وهو صنع الله تعالى في كل شئ إلا أن الأشياء تختلف بالهيولات فالهيولى الأولى للعقل والثانية للنفس والثالثة للطبيعة و الرابعة للمادة الجسمانية و الخامسة

للصورة المثالية والسادسة للجسم وهكذا وكل واحد منهما يصدق عليه أنه مخلوق مقدر بتحديد وتقدير.

فأبطل عليه السلام بقوله (**خلق اثنين التقدير والمقدر**) قول الحكماء القائلين بعدم مجعولية الماهيات التي هي التقدير والتحديد في هذا المقام فإنه عليه السلام صرح بأنه مخلوق ثم أشار بقوله (**اثنين**) أن له جعلاً آخر كجعل الوجود لا كما يقولون أنه جعل واحد تعلق بالوجود ثم انجعلت الماهية به من غير حاجة إلى جعل آخر غيره كما قالوا في الأربعة و الزوجية فإن الزوجية في تحققها وتكونها عندهم لا تحتاج إلى جعل آخرغيره ويكفيها جعل الأربعة وهذا القول خروج لله سبحانه عن السلطنة والحكمة وتكذيب له تعالى في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾[1] ولاشيء في التابعية بأعظم من الظل وهو سبحانه جعله منسوباً إلى نفسه من غير جعل الشمس التي هي الوجود وتمام الكلام في ذلك شرح الفوائد لشيخي وأستاذي أدام الله حراستة ولا نطول الكلام بذكره ومرادنا الإشارة إلى إشارات كلام الإمام عليه السلام ليتفطن الناظر ويستبصر الطالب.

وقوله عليه السلام (**وليس في واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق**) يحتمل معنيين أحدهما ماذكرنا من أن المراد بالمقدر هو الوجود و التقدير هو الماهية وعلى هذا أما الوجود فلا شك أنه ليس فيه لون ولا وزن ولا ذوق لأنه مجرد عن الحدود والأوضاع وأما الماهية فهي خطوط وحدود إذا تعلقت بالمقدر المحدود يتولد بذلك اللون والذوق و الوزن وإلا فهي من حيث هي ليس لها لون مرئي و لا وزن موزون مقدر و لاذوق لأنها محض الهيئة فلا تظهر آثارها إلا بالتعلق فاللون و الذوق و الطعم إنما تحصل من اقتران الوجود بالماهية لا بكل واحد منهما كما لا يخفى.

(١) سورة الفرقان ٤٥.

وثانيهما أن يكون المراد من التقدير هو الفعل الخاص المتعلق بالشيء حين إيجاده وبعبارة أخرى هي الرأس المختص بالشيء عن المشية الكلية ولا شك أنه ليس له وزن ولا لون ولا ذوق وذلك معلوم وكونه مخلوقاً أيضاً معلوم لا يحتاج إلى البيان.

ولما كان الوجود والماهية لا ينفك أحدهما عن الآخر ولا ينفك خلق حادث عنهما لما ثبت أن كل شيء حادث مركب من جزئين فربما يرد على هذا القول اعتراض وهو أن كل واحد من الجزئين حادث فيجب أن يكون مركباً من جزئين الوجود والماهية وهما أيضا حادثان فيحتاجان إلى جزئين آخرين وهكذا فيستلسل و لايتم خلق مخلوق لأنه موقوف بوجود أجزائه وكل جزء موقوف وجوده على أجزاء فلا تناهي في مبدء الأجزاء فلا وجود للأجزاء فلا وجود للمركب فيجب انتهاء الأجزاء المركبة إلى جزء واحد بسيط والأدلة العقلية والنقلية تبطل كل مفرد بسيط غير الذات البحت سبحانه وتعالى فأراد عليه السلام دفع هذا الاعتراض وقال (**وجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بنفسهما**) يعني أنه تعالى جعل كل واحد منهما شرطا لوجود الآخر فلا يتحقق أحدهما إلا بالآخر فإدراك أحدهما بالآخر و الإدراك بمعنى الوجود والوصول فأحدهما لا يوجد إلا بالآخر فليس لأحدهما وجود مستقل بدون الآخر فالوجود تحققه وظهوره بالماهية والماهية تحققها وتأصلها بالوجود فوجود الوجود نفسه وماهيته ربطه بالماهية ووجود الماهية نفسها وماهيتها ربطها بالوجود فلا وجود لأحدهما إلا بالآخر ولا يحتاج كل واحد منهما إلى آخر منفصل بل قوام أحدهما بالآخر وقوام الآخر به على حد الدور المعي والأحكام المتضايفة و المتساوقة مثل اللبنتين المعتمدة أحديهما بالأخرى فإدراك كل واحد منهما بالآخر به كما قال الصادق عليه السلام (خَلَقَ اللهُ

الْمشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمشِيئَةِ) فانقطع التسلسل، فالماهية وجودها لا يكون إلا بالوجود المقترن بها والوجود لا يكون إلا بالماهية المقترنة به فإذا انفصل أحدهما عن الآخر بطلا وانعدما فإذا اجتمعا تحققا وائتلفا ذلك تقدير العزيز العليم.

ثم قال عليه السلام تأكيداً وتثبيتاً لما ذكره عليه السلام **(وجعلهما مدركين بنفسهما)** أشار إلى محل التمايز وقال عليه السلام **(وإن كان أحدهما يقوم بالآخر إلا أن لكل واحد منهما إدراك غير الآخر)** وذلك الإدراك منسوب إلى نفس كل واحد منهما لا بشيء آخر إذ لاشيء غيرهما في الوجود المقيد ولا ينزل الوجود المطلق إليه ولا يصعد المقيد إلى المطلق فصار إدراك كل من الوجود والماهية بنفسهما لأن كل واحد منهما متخالفان في الذات والصفات والأفعال والآثار فكيف يكون إدراك أحدهما بالآخر فالوجود نور محض وإدراكه النور والخير والرشد والهداية والحق والصواب والماهية إدراكها أضداد ذلك فهي أصل الظلمة والشرور والقبايح والوجود مقام الوحدة والماهية رتبة الكثرة والوجود مقام الإجمال والماهية مقام التفصيل والوجود مقام الايتلاف والماهية مقام الاختلاف والوجود المقبل على الله والماهية هي المعرضة عنه إلا إذا أسلمت والوجود وزيره العقل صاحب الجنود الخمسة والسبعين من الملائكة والماهية وزيرها النفس الأمارة بالسوء صاحب الجنود الخمسة والسبعين من الشياطين فإذا كان كذلك فلا يكون إدراك كل واحد منهما بالآخر لأن الأدوات إنما تحد أنفسها والآلات تشير إلى نظائرها وإنما يكون إدراك كل واحد منهما بنفسه دون الآخر هذا دليل على أن المراد بقوله عليه السلام في الفقرة الأولى **(فجعل أحدهما يدرك بالآخر)** أنه تعالى جعل أحدهما يقوم بالآخر لأن الوجود فعل والماهية انفعال ولا يقوم الفعل إلا

بالانفعال والانفعال إلا بالفعل فلما اقترنا و وجدا وتأصلا استقل كل واحد منهما بإدراك نفسه ومقتضياته وأحواله ولايشارك الآخر نعم قد يتفق لكل لواحد منهما حركة عرضية بتبيعة الآخر فأشار صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين إلى كيفية قوامهما وتحققهما ووحدتهما واجتماعهما وكثرتهما وافتراقهما واختلافهما واتفاقهما وتباينهما في هاتين العبارتين المختصرتين ولو أردنا شرح حقيقة الحال بمقتضى المقال لاحتاج إلى كلام مبسوط طويل لا يسعنى الآن ذكره وتفصيله فاقتصرت بالإشارة بحذف العبارة.

ثم أراد عليه السلام أن يبين قاعدة كلية مطردة يشمل جميع أحوال الإمكانات والمكونات فقال عليه السلام **(ولم يخلق خلقاً شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه)** وإثبات وجوده وهذا معلوم واضح فلذا اتفقت كلمة الكل على أن كل ممكن زوج تركيبي وذلك لأن الحادث لابد له من جهة يشير بها إلى نفسه وجهة يشير بها إلى ربه وصانعه لأنا نجد بالضرورة إذا رأينا أثراً انتقلنا به إلى وجود مؤثره وتلك الدلالة شئ موجود في ذاته ونقش فهواني في حقيقته ولولا ذلك لما دل عليه ولو جاز أن يدل شئ على شئ بدون وجود جهة ذلك الشئ لدل كل شئ على كل شئ وهو في البطلان بمكان فوجب أن يكون في الأثر أمراً وجودياً يدل على مؤثره وقد ننظر إلى الأثر ونشتغل بحدوده وأوضاعه وأحكامه فنغفل حينئذ عن مؤثره فيكون الحاجب جهة أخرى بالضرورة ولا يخلو حادث وأثر عن هاتين الجهتين وهما علة التركيب فالجهة الأولى التي هي دليل المبدء هو المسمى بالوجود والجهة الثانية الحاجبة هي الماهية وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام **(تجلى لها بها وبها امتنع عنها)** وقول السجاد عليه السلام **(وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأمال دونك)** وكل شئ قابل لأثر المؤثر ففيه شيئان قابلية وأثر المؤثر وفي

كل شيء جهة رفع وانخفاض وهكذا فإذا وجد شيئان وجدت أربعة و إذا وجدت أربعة وجدت ستة عشر وهكذا إلى ما لانهاية له من الأطوار وكل جهة تقتضي حكماً غير ماتقتضي الجهة الأخرى فيكون كل شيء جامع مملك جميع مافي العالم كله من القرانات والأوضاع فإن الأعداد الغير المتناهية في البدو والعود أصلها الثلاثة تلك الأعداد جهات ظهورات الثلاثة وأطوار تعيناته في صورة التربيع والتكعيب والجذر وغير ذلك ولما كان كل شيء أصله الجهتان كانت فيه تلك الأحوال كلها إلا أن بعضها ظاهر وبعضها كامن يحتاج لإظهارها إلى مرجحات ومتممات ومكملات وغير ذلك وإلا فكل شيء جامع لكل شيء لأن كل شيء مركب من شيئين فافهم.

وقوله عليه السلام **(لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته)** يبطل قول أهل الأعداد أن الواحد ليس من الأعداد والأعداد كلها تحصلت منه فيكون أول الأعداد عندهم اثنين وقال بعضهم وهو فيثاغورس الحكيم أن أول الأعداد ثلاثة لا اثنان لأن الاثنين زوج والفرد أشرف من الزوج ولايجوز أن يكون المبدء زوجاً لبطلان الطفرة فوجب أن يكون ثلاثة ولم يتفطنوا إلى قول مولانا وإمامنا عليه السلام **(إن الله سبحانه لم يخلق فرداً قائماً بنفسه)** وكيف يكون الواحد موجوداً في عالم الحدوث والحادث مخلوق وهو سبحانه ماخلق فرداً بل خلق ماخلق زوجاً فأين الواحد إذن حتى لايكون من الأعداد ولم يعرفوا أن الواحد هو الثلاثة التي قد غلبت عليها جهة الوحدة فخفيت المراتب الأخر عند ظهور سلطان الوحدة كما تسمي الرجل بالخلط الغالب عليه فتقول صفراوي أو سوداوي أو بلغمي أو دموي مع أنه لا يخلو من شيء من هذه الأخلاط وكذلك الوحدة العددية فإن أصلها ثلاثة غالبة عليها المبدء الذي هو ظهور الوحدة ولذا كان الفاعل مرفوعاً وإنما قلنا ثلاثة لأنها أول مايظهر من مبادي

مراتب الشئ لأن الشئ في أول ماتعلق به الجعل وخلقه الله سبحانه كانت له جهة إلى ربه وجهة إلى نفسه والحقيقة المتوسطة الجامعة للجهتين الجاري عليهما حكم خلط الطتنجين والتقاء العالمين فهذا أول النظر للشئ والنظر الثاني للشئ نظر اجتماع القابل و المقبول وتفصيل النسبة الارتباطية بينهما فيكون بهذا النظر أربعة فالاثنان أربعة والواحد ثلاثة وهما الأصلان كالعرش والكرسي وساير الأعداد كالأفلاك السبعة والعناصر والمتولدات وغيرها فروع و تفاصيل لهما منهما تشعبت وبهما تأصلت وتقومت وإليهما عادت إذا كملت فبين عليه السلام أن الواحد الذي لاثاني له ولا تكثر فيه بوجهٍ أبداً ليس في عالم الإمكان وإلا لكان خلق الله سبحانه فرداً قائماً بنفسه وهذا مع أن الأدلة القطعية من العقلية والنقلية تبطله لا يعقل ولا يتصور وأما قولهم بأن الأشياء على قسمين مركبات وبسايط فالمراد بها بسايط المركبات لا مطلقا ولو أريدت مطلقاً فالمراد بها الإضافيات وكل ما هو تركيبه أقل بالنسبة إلى مادونه قالوا أنه بسيط ولذاقالوا في الأفلاك أنها بسايط والمجردات كذلك مع مافي كل منهما من التركيب والتأليف على ما بينا وشرحنا في ساير المباحث وأجوبة المسائل.

وأما الآية التي في النفس التي لاتظهر إلا بكشف السبحات وإزالة الإنيات وقطع الإضافات فهي قد غلبت عليها جهة الوحدة بحيث أشغلت الناظر عن مشاهدة الكثرات وهو قوله عليه السلام **(جذب الأحدية لصفة التوحيد)** لا أنها في الواقع بسيطة مع أن البساطة وعدم التركيب أيضا سبحة من السبحات التي يجب كشفها كيف وأن حقيقتنا التي هي محل تلك الآية خلقت من شعاع نور الأنبياء عليهم السلام ولا شك أن الشعاع يحكي الجهة السفلى من المنير ففيه ظهور وتركيب المنير وزيادة وقد يكون المنير أيضا شعاعاً لمن هو أعلى

منه فتكون التركيبات متراكمة متكثرة إلا أن الناظر لا يراها ولا يلتفت إليها لا لأنه يرى عدمها ومثاله نور السراج لا ظهور له عند الشمس والكواكب لا ظهور لها عند طلوع النير الأعظم ومثل كلمة التوحيد قولك لا إله إلا الله فإنها حروف مؤلفة محدودة حادثة مركبة إذا أطلقتها لا تتوجه منها إلا إلى الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وكذلك الأسماء الإلهية المؤلفة المركبة من الألفاظ والحروف المصوغة بهيئات وأوضاع مع أن المتوجه إليه بهذه الأسماء والمقصود منها ليس إلا الذات البحت القديم الأزلي الذي لايقترن بشئ ولا يتصل بشئ و هذا لا يدل على بساطة حادث وانفراده بل يدل على قهر العظيم الجبار القهار الذي بظهوره يبطل ما سواه وبنوره يحترق ماعداه سبحانه من عظيم ما أعظمه ومن عزيز ما أعزه لا إله إلا هو له الحكم وإليه ترجعون فثبت لك أن الوحدة المحضة خاصة له تبارك وتعالى لا تدخل في عالم الإمكان.

وأما قوله عليه السلام في الصحيفة السجادية **(لك يا إلهي وحدانية العدد)** فالمراد به أن وحدة العدد ملك وخاصة بك لأن اللام للاختصاص والتمليك لا أنها لك في ذاتك فافهم.

ثم أراد عليه السلام أن يبين أن التركيب والكثرة من علامة الحدوث ومن خواصه لا يكون إلا فيه وأما القديم فلا يجري فيه التركيب لأن مبنى التركيب وجود الجهتين في الشئ جهة المبدء و جهة نفسه وأما الذي لا يستند إلى شئ أصلاً وهو المستقل الثابت الذي وجوده لذاته بذاته فلا يكون فيه التغير أصلاً فيكون واحداً ولذا قال عليه السلام **(للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده)** لأن التركيب لا يكون إلا بمزج شيئين متضادين لا متوافقين من كل جهة فإن الماءين إذا اختلطا لا يتحقق التركيب وإنما هما شئ واحد وأما

الماء مع التراب فهناك يكون التركيب فإن التراب من جهة اليبوسة ضد للماء من جهة الرطوبة وإن كانا متلائمين متوافقين من جهة البرودة فبتلك الجهة تحقق التركيب وهكذا القول في كل شئ مركب فإن جهة التركيب جهة التضاد والتخالف فإذا كان كذلك فكل مركب يدل على أن له صانعاً ركبه ومزجه لأن الأجزاء من حيث هي بينها تضاد ولا شك أن المتنافيين كل واحد إذا خليا وطبعهما يميل إلى جهة خلاف الآخر ولا يتوافقان أبداً بوجه من الوجوه سواء قلنا باختيار الأشياء وإدراكها أو قلنا بعدم الاختيار فإن الطبيعتين المتضادتين من حيث هما تنفر إحداهما عن الأخرى فالمزج والامتزاج والاختلاط أقوى دليل على أن ثالثاً قهرهما ومزج بينهما كما قال النبي ﷺ في الرد على الثنوية الذين قالوا بإلهين يزدان وأهرمن من جهة التضاد الواقع في الأشياء فأبطل ﷺ قولهم وأثبت إلهاً واحداً خالق الضدين والجامع بينهما بالتركيب والتأليف وهو قوله تعالى ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[1] الآية فالتركيب المفتقر إلى الأجزاء والهيئات مضافاً إلى ما ذكرنا دليل على الحدوث وكل حادث دليل على محدث وخالق فلما أراد الله سبحانه إظهار قدمه وحدوث ما سواه وذلك لايكون من قبل ذاته فيكون بآثاره فجعل الآثار أنفسها مؤلفة مركبة لتدل على مؤثر قديم بسيط ليس بمركب ولا مختلف.

ثم بين عليه السلام نتيجة المقدمات السابقة وقال (**فالله تبارك وتعالى فرد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده و لايكنّه**) فإن الحاجة إلى الغير إما من جهة الصدور أو من جهة التحقق والوجود أو من جهة العروض والوقوف والمحل والله سبحانه ليس بمخلوق حتى يحتاج إلى غيره ليصدر عنه ويقيمه

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

ذلك الغير ولا مركب حتى يحتاج في تحققه إلى أجزاء وهيئة تأليفية ولا ضعيف الذات وضعيف البنية حتى يحتاج إلى تحققه إلى حافظ يكنه ويحفظه ويستره فالفقرة الأولى إشارة إلى القيام الصدوري والثانية إلى القيام العضدي الركني والثالثة إلى القيام العروضي وأما القيام الظهوري فلا ريب أن ظهور العالي بالسافل.

ثم قال عليه السلام **(والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيته)** وهو قوله تعالى **﴿دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾**[1] الآية وقال أمير المؤمنين عليه السلام **(انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله)** وقال الصادق عليه السلام **(رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك)** وقال الحسين عليه السلام وروحي فداه **(يا من استوى برحمانيته على العرش فصار العرش غيباً في رحمانيته كما كانت العوالم غيباً في عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الأعيان بمحيطات أفلاك الأنوار)**[2] وقد تقدم الكلام في معنى إمساك الخلق بعضه ببعض.

وأما قوله عليه السلام **(بإذن الله ومشيته)** فليس هذا الإذن إذن السلطان لوزيره في فعل الأشياء وتدبير الأمور ولا كإذن السيد لعبده في فعل شئ من الأشياء ولا كإذن الموكل لوكيله بل هذا الإذن هو إمداد وجودي وإعطاء غيبي وشهودي به قوام الأشياء وتحققه وذلك هو إذن النار الشعلة في الإضاءة وإذن الذات لليد في الكتابة ولذا ترى الفعل منسوباً إلى الذات وإسناد الفعل إلى المأذون مجاز كما إذا قلت اليد كتبت فهذا مجاز وأما إذا قلت زيد هو الكاتب فهو حقيقة مع أن الكتابة أقامها زيد بالحركة والحركة أقامها باليد واليد أقامها بنفسها قال عليه السلام **(خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ**

---

(١) سورة الحج ٤٠.

(٢) دعاء مولانا سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

بِالْمَشِيئَةِ) وقال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[1] فهذا حقيقة وقال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[2] وهذا مجاز مع أن الله سبحانه لا يتوفى بذاته وإنما هو بالملك وهكذا قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] وهو الحقيقة وقال أيضا ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4] وهذا هو الحقيقة وقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾[5] وهذا هو المجاز وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[6] و﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[7] وهذا هو المجاز والمعنى في الجميع واحد فالله سبحانه هو الذي يمسك الأشياء بعضها ببعض و هو الممسك لها حقيقة ونسب الإمساك إلى الخلق بقوله عليه السلام **(والخلق يمسك بعضه بعضاً)** مجازاً وأتى بالإذن والمشية لبيان سر غامض كتمانه في الصدور خير من إظهاره في السطور ولا نطول الكلام لعدم احتمال الناس الذين يوسوس في صدورهم الخناس.

فالمشية مشية تكوينية وهي أمر الله الفعلي الذي اشتق منه أمر الله المفعولي فبالفعلي قامت السموات والأرض قيام صدور و بالمفعولي قام قيام تحقق قال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[8] قال تعالى ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[9] ﴿ولقد أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[10] وقال تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ

---

(١) سورة الزمر ٢٤.
(٢) سورة السجدة ١١
(٣) سورة الرعد ١٦
(٤) سورة الروم ٤٠
(٥) سورة المائدة ١١٠
(٦) سورة الجمعة ١١
(٧) سورة المؤمنون ١٤
(٨) سورة الروم ٢٥
(٩) سورة الإسراء ٨٥
(١٠) سورة الشورى ٥٢
(١١) سورة النحل ٢

عِبَادِهِ﴾[1] قال أمير المؤمنين عليه السلام (**أنا الروح من أمر ربي**) وقال مولانا الصادق عليه السلام (**من قال نحن خالقون بأمر الله فقد كفر**) فالأمر ثلاثة أمر فعلي وأمر مفعولي وأمر عرفي قال تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾[1] فافهم الإشارة بلطيف العبارة وكم من خبايا في زوايا ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[2].

ثم لما أبان الحق وكشف الصدق فأظهر عليه السلام مستسرات الغيوب وأوضح عن سر باطن باطن القرآن بقوله عليه السلام (**والخلق يمسك بعضه بعضاً**) وأزاح العلل والطغيان من أفهام أشباه الإنسان بقوله (**بإذن الله ومشيته**) ودل عليه السلام على حقيقة السر أراد عليه السلام أن يبين وجه احتجاب الخلق عن هذه الحقايق وعدم اطلاعهم بهذه الدقايق فقال روحي فداه (**وإنما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة في وصفهم الله سبحانه بصفة أنفسهم**) فنظروا إلى جهة ماهياتهم المدبرة وإنياتهم المعرضة فالتفتوا إلى الحدود وسلكوا سبيل الجحود فوصفوا الله سبحانه بصفات المخلوقين وهو سبحانه وإن كان يعرف بالخلق ولكن كما ذكرنا سابقاً بصفته التي جعلها عارية عندهم وهي صفته تعالى فإذا نظروا إليها نظروا إليه تعالى بوصفه الذي أراد من الخلق و إذا نظروا إلى جهات أنفسهم وحدود ذواتهم من دون كشف سبحاتهم وقعوا في الضلالة والجهالة ولذا قالوا إن واجب الوجود كلي وأن الوجود مشترك معنوي أو أنه تعالى جزئي حقيقي يجامع الجزئي الإضافي أو أنه جزئي لا يجامع أو أنه كل الأشياء أو أن الأعيان الثابتة مستجنة في غيب الذات استجنان الشجرة في النواة أو أنها مندرجة فيها اندراج اللوازم في الملزومات أو أن الله سبحانه هو الواحد المتعين بأطوار

---

(١) سورة القمر ٥٠.

(٢) سورة السجدة ١٢.

التعينات أو أنه معطي الأشياء وليس فاقداً لها أو أن الله تعالى هو الفاعل بذاته المباشر للأشياء كذلك أو أنه تعالى عين مشيته وإرادته أو أنه تعالى معزول عن خلقه و وكل أمر الخلق والرزق و الإحياء والإمانة على الإمام وفوض الأمر إليه عليه السلام وأمثالها من العقايد الفاسدة والأقوال الباطلة التي نشأت كلها من مشاهدة أنفسهم ووصف الله سبحانه بصفات أنفسهم الملعونة فنسوا تلك النفس التي من عرفها فقد عرف الله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) ولما كانت النفس المنكوسة هي علة الكثرة والاختلاف والاضطراب جعل عليه السلام الاختلاف منسوباً إليها.

ثم أشار عليه السلام إلى النفس العليا التي هي نفس الله تعالى فقال عليه السلام (**ولو وصفوا الله عز وجل بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين**) لأن الله تعالى جعل عندهم مشعرين مشعر لأجل معرفته تعالى ولأن يصفوه بما عرفهم الله تعالى بذلك المشعر وهو وصف الله تعالى لخلقه بخلقه وتجليه لهم بهم كما قال عليه السلام (**بل تجلى لها بها**) ومشعر لأجل معرفتهم أنفسهم بحدود إنياتهم وماهياتهم وحقايقهم فلو استعملوا المشعرين لظهر لهم الحق من البين فوصفوا الله بصفاته ووصفوا المخلوقين واستراحوا عن الاختلاف ووضعوا كل شئ في موضعه وجعلوا كل شئ في مستقره لكنهم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم فهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم.

ثم قال عليه السلام (**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**) و الصراط المستقيم هو الإمام عليه السلام لدلالة الأخبار المتواترة و العقول المستنيرة كما فصلنا في شرح الخطبة فمن وفقه الله وهداه إلى متابعة الإمام عليه السلام فقد بلغ الأمر وتم الكلام ونجا من الاختلاف ووقف على حقيقة النجاة وهذا التوفيق لايكون إلا بالاقتداء بهم والاقتفاء بسنتهم وسلوك سبيلهم ذللاً

وهو قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1] وقال تعالى ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[2] لأن المعصوم عليه السلام ناظر إلى الواحد والعاصي ينظر إلى الكثير والاختلاف من جانب الكثرة لا من جانب الوحدة كما قال عز وجل ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[3] وهذا معلوم لايحتاج إلى الإطناب والبيان.

فلما عرف عمران ما ذكره عليه السلام وأنه جرى على كمال المعرفة البالغة والحكمة البالغة التي جرى عليها النظام والتكوين وابتنى عليها حقيقة الدين صدق وسلم وقال **أشهد أنه كما وصفت ولكن بقيت لي مسألة.**

قال عليه السلام: سل عما أردت قال أسألك عن الحكيم في أي شئ هو وهل يحيط به شئ وهل يتحول من شئ إلى شئ أو به حاجة إلى شئ.

قال الرضا u: أخبرك ياعمران فاعقل ما سألت عنه فإنه من أغمض مايرد على المخلوقين في مسائلهم وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب حلمه ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون أما أول ذلك فلو كان خلق ماخلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول يتحول إلى ماخلق لحاجته إلى ذلك ولكنه عز وجل لم يخلق شيئاً لحاجة ولم يزل ثابتاً لا في شئ ولا على شئ إلا أن الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله وليس يدخل في شئ ولا يخرج منه ولا يؤده حفظه ولا يعجز عن إمساكه ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عز وجل ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سره والمستحفظين لأمره وخزانه القائمين بشريعته وإنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئاً فإنمايقول له كن فيكون بمشيته وإرادته وليس شئ من خلقه أقرب إليه من شئ ولاشئ أبعد منه من شئ أفهمت ياعمران.

---

(١) سورة الأنعام ١٥٣.

(٢) سورة الحجر ٤١.

(٣) سورة الزمر ٢٩.

قال: نعم ياسيدي فهمت وأشهد أن الله على ماوصفت ووحدت وأن محمد ﷺ عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ثم خر ساجداً نحو القبلة وأسلم.

حاصل سؤال عمران ﷺ أني علمت بها استفدته من كلماتك الشريفة وحججك البالغة أن علة حدوث كل حادث إنما هي حدوث إرادته ومشيته وإبداعه من الفاعل الأول وأن هذه العلة خلق متوسط بينه وبين مفاعليه ثم لا شك في أن الداعي إلى توسيط هذه الواسطة إنما هو حكمة الفاعل وكونه مراعياً لصلاح حال مفاعليه لأنه سبحانه وتعالى غير محدود الذات وغير محصور القدرة والقوة فلو تجلى لكل مخلوق بتمام قدرته وقوته وسطع عليه بتمام أنوار ذاته لأدى ذلك إلى إفناء ذلك الشئ وإعدامه فكان يكون حينئذ إيجاده للشئ إعداماً له فلذلك جعل الحكيم تعالى شأنه بحكمته بينه وبين كل مخلوق واسطة خاصة من فعله هي إرادته المختصة به الموجهة نحو تكوينه وجعل برحمته لتلك الواسطة طرفين طرف عال متعلق بكينونته تعالى على سبيل الاستمداد وسافل طالع من أفق وجود المراد على سبيل الإمداد وهكذا جعل ملاك وجود كل ذي سبب سببه وقدم المتقدم وأخر المتأخر ورتب المراتب المترتبة بالطبع من أفاعيله كما يشعر إليه قوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾[2].

فمن ملاحظة هذه الحكمة والترتيب ينقدح لي هناك شك آخر وهو

---

(١) سورة الحجر ٢١.

(٢) سورة المؤمنون ١٢ – ١٤.

أن هذا الحكيم الذي يتوسل بخلق الإرادة إلى خلق المراد ويتسبب بوجود السبب إلى وجود ذي السبب ويتحول من شأن إلى شأن وينتقل من فعل إلى فعل هل يجوز أن يقال أنه يتنزل من مرتبة ذاته إلى مرتبة شئوناته وينتقل من مرتبة إلى مرتبة أخرى وكيف يحيط به شأن بعد شأن أو كيف يجوز أن يكون به حاجة في خلق المتأخر إلى خلق المتقدم أو في إيجاد المسبب إلى إيجاد سببه أو في إنشاء المراد إلى إنشاء إرادته وجواز هذه الظنون في حقه تعالى يؤدي إلى ما يقوله الوجودية من طائفة الصوفية القائلين بالتنزلات والتطورات وتطور الخالق بأطوار المخلوقات فإن المريد إذا تنزل إلى مرتبة إرادته المتطور بطور مراده لزم أن يتطور المريد أيضا بطور مراده وهذا قول يشمئز عنه قلوب أهل التوحيد ومن هذه الجهة سأل ما سأل إنما عدل عن طور الاعتراض إلى طور السؤال إظهاراً لكمال الأدب ومراعاة لحق التعظيم إذ لا ينبغي الاعتراض والتشكيك مع الإمام عليه السلام وليس معه إلا السؤال والسكوت والصمت ولذا قال تعالى خطاباً لأمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] ولذا قال عليه السلام أسألك عن الحكيم في أي شيء هو وهل يحيط به شيء كما يزعمون أنه يتطور بالأطوار ويتعين بالتعينات ولا شك أن الحدود محيطة بالذات والصور مكتنفة للمادة وهل يتحول من شيء إلى شيء بجعل الأسباب وإجراء الحكم والمسببات على نحوه مرة يسخن ومرة يبرد ومرة يرطب ومرة ييبس ومرة يظهر ومرة يخفى وكل يوم هو في شأن هل في الانتقال إلى هذه الشؤن والأطوار له حاجة يستمكل بها أو لسر ومصلحة أخرى.

وأما تفسير جوابه عليه السلام فهو أن ملاك جواز القول بتنزل الفاعل وتحوله في

---

(١) سورة النساء ٦٥.

مراتب شئوناته وأطواره في أفعاله إنما هو احتياجه إلى فعله أي كون الفاعل في جوهر ذاته أو في كمال ذاته مقتضياً لأن يفعل فيكون مثل هذا الفاعل فاعلاً موجباً غير مختار ويكون إرادة الفعل جزء من ذاته أو لازماً لذاته وعلى كل تقدير يكون الإرادة من صفات ذاته لامتناع انفكاكه عنه فمثل هذا الفاعل يكون مستكملاً بفعله لأن حاله فيما يقتضيه بإرادته كحال النطفة فيما تقتضيه بطبيعته من الصورة الإنسانية أو كحال طبيعة المريض فيما يقتضيه من كمال الصحة وهذا المريد لكونه قبل نيل مراده ناقصاً ويصير بنيل مراده تاماً متى نال مراده هوى وانحدر إليه وتنزل من طوره السابق على نيل المراد إلى الطور اللاحق به بعده فجوهر ذات هذا الفاعل يتذوت بفاعليته أو يستكمل به على نحو تذوت المادة بالصورة أو بكمالاتها فهذا الفاعل يكون فاعلاً من وجه ومنفعلاً من وجه آخر ويكون احتياجه وتحوله وتنزله من الجهة الثانية لا من الجهة الأولى وأيضا لو كان الفعل بالتنزل كان له حالتان حالة قبل التنزل وحالة بعد التنزل ويلزم أن يكون متكثراً لذكر صلوح التعينات فيه ويلزم أن يكون محلاً إما للحوادث أو لغيرها ويلزم منه الانفعال والقبول وغير ذلك من النقايص.

وأما الكامل الفاعل الأحدي الذي لا يفعل إلا بغيره ولا يقصد إلا بإرادته وفعله ولايريد إلا تكميل غيره فإرادته ومراده خارجان عن ذاته وغرضه من فعله غير عائد إلى ذاته أصلاً فلا يجر بفعله لنفسه نفعاً ولا يدفع به عنه ضرراً وإنما يفعل الفعل ويوجب على نفسه الفاعلية من أجل رحمانيته وبالجملة فالله عز وجل لم يخلق شيئاً لحاجة منه إلى ذلك لأنه في ذاته ليس في محل محتاج إلى الاستكمال بالصورة ولا على صورة ناقصة مقتضيه له فهو لم يزل قائما بوحدانيته لا في شيء و لا على شئ وليس اقتضاؤه لفاعلية اقتضاء ضرورياً ناشياً من احتياج ذاته إلى فعله بل هو اقتضاء رحماني اختياري ناشٍ

من احتياج الخلق بعضه إلى بعض وكون بعضه ممسكاً لبعض فيدخل بعض الخلق في بعض ويخرج بعض الخلق من بعض فيمسك الداخل بالخارج ويمسك الخارج بالداخل والله جل جلاله يمسكهما جميعاً من غير دخول فيهما ولا خروج عنهما ولا يؤده حفظهما ولا يعجز عن إمساكهما ولا يعرف أحد من الخلق ذلك الإمساك من غير دخول ولا خروج إلا الله جل جلاله ومن أطلعه عليه من أهل سره.

ولما كانت هذه المسألة وهي كيفية نظام الصنع وتدبير الإيجاد وكون كل حادث ممكن متقوم ومتحقق بالله عز وجل غير مستغن عنه أبداً في حال من الأحوال ولا استقلال لأحد من الخلق دونه تعالى وذلك كله بالله سبحانه من غير ربط ولا نسبة ولا اتصال ولا انفصال ولا توافق ولا تخالف ولا تساو ولا بينونة ولا تغير ولا انتقال ولا غير ذلك من الأحوال ولما كان فهم هذه المسألة من الأمور الصعبة المستصعبة الدقيقة نبه عليه السلام عمران أولاً من دقتها وغموضها حتى يتوجه إليها بكله ويفرغ لها قلبه ولا يتوهم أنها من المسائل السهلة ليتساهل في فهمها والتوجه إليها فيفوته المقصود.

ولذا قال عليه السلام وروحي فداؤه (**أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه فإنه من أغمض مايرد على المخلوقين في مسائلهم**) إنما وصفها عليه السلام بالأغمضية لابتنائها على سر الخليقة ونسبة المخلوقات إلى أسبابها ومباديها ونسبة الجميع إلى الله سبحانه وتعالى ولا شك أن الله سبحانه لا كيف له ولا إشارة إليه وهو سبحانه خلق الكيف بمشيته وإرادته فهما إذاً لا كيف لهما لأنهما قد سبقا الكيف والأين والأولية والآخرية فلا يجري عليهما ما أجريا ولما كان الكيف من الأعراض فخلق الجوهر مقدم عليه فلا كيف له في ذاته وإلا لكان الكيف جوهراً مع أنه عرض بلا إشكال فإذا أراد الإنسان أن يعرف هذه الحقايق

وسر الإيجاد وكيفية إحداث الحق سبحانه وتعالى الخلق وجب أن يصعد عن عالم الكيف والصعود عن عالم الكيف يقتضي قطع النظر عن جميع القوى والمشاعر والحواس من القوى العقلية والروحية والنفسية والخيالية والفكرية والوهمية وغيرها من الآلات و الأدوات والأحوال وينظر بعين لايحجبها حد عن حد ونازل عن صاعد وعال عن سافل وسافل عن عال ومجرد عن مادي وقريب عن بعيد وأصل عن فرع ومجتمع عن متفرق ومتفرق عن مجتمع وعدم عن وجود ووجود عن عدم وجهة عن جهة ومشعر عن مشعر ويرى ويسمع من كل الجهات ويتوجه بكل الحيثيات.

أما سمعت كلام مولانا الباقر عليه السلام **(لم يكن خلواً من الملك قبل إنشائه)** فأثبت للملك الوجود قبل وجوده حين عدمه وكلام مولانا الصادق عليه السلام ما معناه إن أباالهب لم يكن كافراً قبل أن يعرض عليه التكليف فلما كفر كان في إرادة الله أن يكفر، فأثبت القبل في البعد والبعد في القبل لأن المقام مقام ليس فيه قبل ولا بعد فمعرفة كيفية الصنع والإيجاد وسر الأمر بين الأمرين وكيفية علم الله تعالى بالأشياء قبل وجود الأشياء لا يعرف إلا بهذا البصر الحديد الذي هو الآن مغطى عليه لأن الشئ لا يعرف إلا بما هو عليه فيعرف ذو الكيف بالكيف والذي لا كيف له يعرف بأنه لاكيف له فإذا عرفت المكيف بعدم التكييف والغير المكيف بالكيف لما عرفت شيئاً منهما ولذا قالوا عليهم السلام **(أمرنا سر لايفيده إلا سر وسر مقنع بالسر)** فمن حاول معرفة هذه الدقايق يجب أن ينظر بعين تنكشف عندها الحقايق وإلا فلا يزيده كثرة التعمق إلا ضلالاً وزيادة السير إلا بعداً فلما كان النظر بتلك العين لتغطيتها بالحجب والأستار ولايتيسر إلا للأوحديين وبدونها لاتحصل البصيرة واليقين وصف

---

(١) بحار الأنوار ٢ / ٢٤٢.

(٢) بحار الأنوار ٢ / ٢ / ١٧٢.

عليه السلام هذه المسألة بالأغمضية وأخذ يبين لعمران مابه يثبت الحق الواقعي لا أن يعرفه فإن بين الإثبات والتعريف فرق واضح لايستلزم أحدهما الآخر ألا ترى أنه يمكنك أن تثبت للأعمى وجود النهار وطلوع الشمس ولا يمكنك أن تعرفه وتريه النهار وتعرف إياه الشمس ولذا ترى الشيعة يجيئون بالأدلة القطعية إلى نفي الجبر والتفويض والقول بالأمر ببين الأمرين وأما دون معرفة هذه المنزلة خرط القتاد وهكذا الكلام في كثير من المسائل فظهر أن الإثبات لا يستلزم التفهيم.

فلما بين عليه السلام غموض هذه المسألة ودقتها أراد عليه السلام أن يبين صفات الذين يفهمون والذين لايفهمون ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولينبه الغافل ويوقظ النائم ويرشد المسترشد ويتم الحجة على الجاحد المعاند فقال عليه السلام (**وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب حلمه ولايعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون**) . المراد بالعقل مطلق الفهم والإدراك والتعقل لا العقل الذي في مقابلة النفس. (**المتفاوت عقله**) هو الذي نظره إلى الحدود والقيود والتعينات التي هي محل الاختلاف والاضطراب والنظر إلى القياسات والبرهانيات والجدليات والمغالطات والشعريات والمقدمات والنتايج واللوازم والملزومات وساير الاختلافات فإن الذي واقف في هذه المقامات يتفاوت عقله وإدراكه فيثبت وينفي ما أثبت ثم يثبت ماينفي وهكذا من الأمور التي يلزمها الأشكال والأقيسة والنظر إلى اللوازم القريبة والبعيدة وأمثالها من مقتضيات دليل المجادلة بالتي هي أحسن فالذي لا يتفاوت عقله هو الذي نظره إلى الفؤاد يرى كل شئ بنفس ذلك الشئ فلا يحتاج إلى تقديم مقدمات وتحصيل نتيجة حتى يشتبه عليه ترتيب المقدمات فيختلف ويتفاوت إدراكه وأما أولوا الأفئدة فنظرهم مقصور إلى الله سبحانه وتعالى

وعملهم كما قال مولانا الصادق عليه السلام (**إن الله أجل أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به**) فإذا عرفوا الله بالله وعرفوا الخلق بالله فمن أين يأتي الاختلاف لأنه من عند غير الله كما قال عز وجل ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾[1] فليس الاختلاف عند الله فليس عندهم لأنهم عند الله قال تعالى ﴿**وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ**﴾[2].

وأما العازب حلمه فهو الذي بلغ مقام الفؤاد واتصل بالمراد فشاهد مقام لا كيف ولا كم ولا إشارة ولا عبارة ولا جهة ولا قبل و لا بعد و هذه الأوصاف هي التي كان يسمعها أنها لله تعالى ووجدها في نفسه فغاب عنه حلمه وسكونه وتأمله في نفسه وفقره واحتياجه واستعجل وقال أن الوجود هو ذات الله سبحانه والحدود أعراض عرضت الوجود وتكثرت كالماء المنجمد والبحر المتموج كما قال شاعرهم :

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة ... وأنت لها الماء الذي هو نابع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ... ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وقال أيضا :

البحر بحر على ما كان في القدم ... إن الحوادث أمواج وأنهار

فلما وصل إلى ذلك المقام مقام الفناء فقال إني أنا الله وأنا الله بلا أنا وسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها وسبحاني ما أعظم شأني وأمثالها من الكلمات التي كلها كفر وزندقة نعوذ بالله وهؤلاء هم الذين عزب حلمهم فاستعجلوا وتعدوا عن الطور وقالوا هذا معنى (**داخل في الأشياء لا كدخول**

---

(١) سورة النساء.
(٢) سورة الأنبياء ١٩ - ٢٠.
(٣) الكافي ١ / ٨٥.

شئ في شئ وخارج عنها لا كخروج شئ عن شئ)[٣] فالله سبحانه رفع لهم العلم حتى بلغوا هذه الدرجة القصوى ولم يضع لهم الحلم حتى تاهوا ووقعوا في أسفل درك من الجحيم وقد قال تعالى في الحديث القدسي (**كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلماً ليس لمحبتي غاية ولا نهاية**) وكأن كلامه عليه السلام إشارة إلى هذا الحديث الشريف وهو لعمري تمام الكلام في هذا المقام فإن الناظر في مقام الحدود والصور والاختلافات والنسب والقرانات وساير الكيفيات لا ينال فهم هذا المطلب الذي هو خارج عن الحدود والأوهام وإليه الإشارة بقوله (**المتفاوت عقله**) ولا كل من وصل مقام الفؤاد ولم يعرف مقام الفؤاد ولم يعرف مقام نفسه فيصغر عظمة ربه وينسب الذليل الحقير المهان ويجعله الرب القاهر العظيم المنان وهو العازب حلمه.

ثم أشار عليه السلام إلى الناظرين العارفين الذين يفهمون ويعرفون فقال عليه السلام وروحي فداؤه (**ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون**) والعقل هو العقل المرتفع لا المستوي ولا المنخفض بل الأعلى من المرتفع الذي هو مقام الفؤاد وباب المراد ورتبة الوداد ومحل الاتحاد والمنصفون هم الذين أنصفوا من نفسهم وعرفوها بأنها مخلوقة مدبرة مرزوقة ولم يتعدوا طورهم ولم يستعجلوا بل عرفوا أن هذا الوصف الذي شاهدناه هو وصف معرفته تعالى جعله عندنا لنعرفه به وليس هو ذات الحق تبارك وتعالى فإنه أجل وأعز وأكرم من أن يقترن بشئ أو يتصل به حد سبحانه سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً وهؤلاء هم الذين فتح الله عن أبصارهم وبصائرهم فعرفوا الحيث والكيف واللم فعرفوا مفصولهم وموصولهم وما يؤول إليه أمورهم وهم أهل العلم ومعدنه وخزنته وورثة العلماء وهم النقباء النجباء

---

(١) إرشاد القلوب ١ / ١٩٩ .

بهم يدفع الله البلاء والقضاء.

ثم أخذ عليه السلام في البيان للإشارة إلى نوع المراد وإثبات الحق الواقعي الحقيقي وإن لم يعرفوا بالفؤاد فإذا ثبت الحق عند أحد وأقر به واعتقده فيوشك أن يفتح له باب فهمه على جهة القطع واليقين وقد مر الفرق بين إثبات الشئ وتفهمه وأن أحدهما لا يستلزم الآخر فقال عليه السلام **(أما أول ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك)** فجعل عليه السلام آخر سؤاله أولاً لكون الكلام عليه قليلاً وليس معتداً به كثيراً حتى يفرغ منه سريعاً ويشتغل بالجواب عما هو أهم وأعظم وقد شرحنا هذه الفقرة في أول الحديث لأنه ذكر عليه السلام هذا الكلام هناك.

ومراده عليه السلام أنه تعالى لو خلق ما خلق لحاجة لجاز أن يقال أنه يتحول إلى ماخلق لحاجته إلى ذلك ويتغير من حال إلى حال ومن نقصان إلى زيادة ومن زيادة إلى نقصان مثل الأفعال الطبيعية كالنطفة فإنها تتحول إلى المضغة لحاجتها إليها وكذلك المضغة تتحول إلى العظام وهكذا وأما الذي لا يتحول من حال إلى حال فليس فعله لحاجة منه إلى ذلك الفعل كالسراج الذي يصدر منه الأشعة مثلاً إذ فعل السراج للشعاع ليس لحاجة منه إليه ولذا لا ينقلب ولا يتحول وإنما هو لمحض الجود وأما المحتاج فهو بنفسه يتحول من حال إلى حال لسد حاجته وغناء فقره وذلك واضح معلوم والتحول والانتقال والحاجة دليل النقصان وماكان كذلك لايجوز أن يكون وجوده عين ذاته لذاته بذاته في ذاته من غير انتظار أمر آخر فإن ذاتي الشئ لا يتخلف فلو كان الوجود والتحقق الذي يحصل بعد بفعل ذلك الشئ لتخلف ذلك الوجود عنه فلم يكن الوجود من حيث هو ذاتي له لمكان التخلف فالذي وجوده ذاته لذاته بذاته لا يتخلف ولا يتحول ولا يتغير ولا يتبدل ولا يطرأ عليه حالة ولم

تختلف عليه الحالات ولم يتغير بالزيادة والنقصان ولم يتركب ولم يتجزء ولم يتقسم ولم يتصل ولم ينفصل ولا تجري عليه الأحوال والأوصاف والكثرة والتضاد والتناقض والنفي والإثبات وساير أحوال الإمكان وذلك كله لأن الوجود ذاته لذاته بذاته لاغير ذلك وقد كتبت رسالة لقرة العين بلامين الولي الحبيب العلي الأميرزا محمد علي في هذا المعنى وذكرت أن عينية وجوده تعالى يقتضي سلب جميع أحوال الإمكان عنه بالدليل القطعي و من أراد معرفة ذلك مفصلاً فليراجع تلك الرسالة فإن فيها ما يشفي العليل ويبرد الغليل.

ثم قال عليه السلام إشارة إلى الجواب عن سؤاله الأول (**ولم يزل ثابتاً لا في شئ ولا على شئ إلا أن الخلق يمسك بعضه بعضاً**) يعني هو سبحانه لم يزل ثابتاً كائناً متحققاً لا في شئ وإلا لكان محاطاً وذلك الشئ محيطاً والمحيط أعلى من المحاط وهو محدود متناه فيكون مركباً ومفتقراً ولا على شئ ليكون محلاً له ومقراً فيكون محمولاً والحامل أقوى من المحمول وأعظم.

ثم أراد عليه السلام أن ينزه الله سبحانه عن الاقتران ومباشرة الأشياء فقال (**إلا أن الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه**) يعني أن النسبة والارتباط حاصلة في الأشياء بعضها مع بعض ولما كانت الطفرة في الوجود باطلة ووصول السافل إلى رتبة العالي كذلك جعل الأشياء بحيث يجري أفعاله تعالى فيها بها فيخلق سبحانه بفعله ومفعوله فأمسك سبحانه الأرض بالسماء وأمسك السماء بالنجوم والنجوم بالعناصر النورية والعناصر بالقوى المقارنة والقوى بالأرواح والطبايع بالنفوس والنفوس بالأرواح وهي الرقايق والرقايق بالعقول والعقول بجزئيها وهما المادة والصورة والصورة بالمادة والمادة التي هي الهيولى الأولى والوجود والفؤاد بالمشية والفعل والفعل بنفسه فانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى

شكله وأمسك سبحانه الجماد بالنبات والنبات بالحيوان والحيوان بالملك والملك بالجن والجن بالإنسان والإنسان بالأنبياء والأنبياء بآل محمد سلام الله عليهم وآل محمد بمحمد ﷺ ومحمداً بالمشية والمشية بنفسها وأمسك سبحانه المركبات بالأجزاء والأجزاء بالمركبات والأعراض بالجواهر وأظهر الجواهر بالأعراض وهكذا ترتيب الوجود ونظام كافة الخلق كلها مرتبطة بعضها ببعض وهو قوله تعالى ﴿**ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ**﴾[1] وتفصيل المقال في شرح هذه الأحوال يؤدي إلى الإطناب المؤدي إلى الملال.

ثم أراد عليه السلام أن يبين أن الخلق في هذا الإمساك ليسوا مستقلين ولا الأمر مفوض وموكول إليهم ولا هم معزولون عن الخالق سبحانه وتعالى كيف و لو كان كذلك لفسدوا وبطلوا واضمحلوا وانعدموا بل لا قوام لهم ولا تذوت ولا تحقق إلا بالله العلي العظيم فقال عليه السلام (**والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله**) أما القدرة الذاتية فانقطع دونها الكلام لأنها ذات الله عز وجل فلا سبيل لأحد من المخلوقين إليها وأما القدرة الفعلية التي استطال بها على كل شئ فهي في مقام الفعل بل هي نفس الفعل ولا كيف لها حتى تعرف وتبين بالكيف فإذاً فهو سبحانه يمسك الأشياء فيمدها بإمداد جديد لا تفقد الأشياء طرفة عين وإلا لانعدموا وبطلوا فالأشياء كلها واقفة بباب إذنه سبحانه لا تجري اللوازم على الملزومات إلا بإذن منه سبحانه جديد ولا يقع الشرط على المشروط إلا بإذن جديد ولا يؤثر فاعل في مفعوله إلا بإذن منه جديد فإذا جعلت القطن اليابس مثلاً على النار بلا مانع لا تحرقه النار إلا بإذن جديد وقد قال مولانا الصادق عليه السلام (**لايكون شئ في الأرض ولا في السماء**

---

(١) سورة الحج ٤٠ .

إلا بسبعة بمشية وإرادة وقدر وقضاء إذن وأجل وكتاب فمن زعم أنه يقدر على نقص (نقض) واحدة منها فقد كفر) وفي رواية (فقد أشرك) سبحان من قهر الأشياء بقدرته فلا يتحقق في عالم الإمكان شئ حقيراً كان أم جليلاً صغيراً كان أم كبيراً إلا بمشيته تعالى وقدرته وكل شئ خاضع له وكل شئ خاشع له وكل شئ محتاج إليه وهو الغني المتفرد وفقر الأشياء في كل حال وكل آن وكل وقت إلا أنه سبحانه وتعالى يسد حاجة كل محتاج ويمد كل فقير بمدده من غير أن يدخل في الأشياء أو أن يخرج منها أو يقترن بها وإليه الإشارة بقوله عليه عليه السلام **(وليس يدخل في شئ ولا يخرج منه ولايؤده حفظه)**.

ولما كان هذا المعنى مما لا يعرف و لايدرك إلا بسر الفؤاد الذي هو عين الله تعالى أعارها خلقه ليعرفوه تعالى بها ويعرفوا آثاره وأفعاله وخلقه من حيث صدورها عن فعله وهي كما ذكرنا مجردة عن النسب والإشارات والحدود والتعينات والنظر بتلك العين على الحقيقة خاصة أهل الخصوص الذين جاء في حقهم النصوص جعل عليه السلام فهم هذا المعنى مما يختص بأولئك الأطهار الأبرار فقال عليه السلام **(ولايعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عز وجل ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سره والمستحفظين لأمره وخزانه القائمين بشريعته)** وهذا الدخول هو عين الخروج من جهة الدخول من جهة الخروج والقرب هو عين البعد والبعد عين القرب من جهة البعد من جهة القرب والظهور عين الخفاء والخفاء عين الظهور من جهة الخفاء من جهة الظهور وأنى للواقفين مقام الحدود والرسوم إدراك هذه العينية وجمع هذه الأضداد والنقايض ولا يكون ذلك إلا لمن خرج عن عالم الحدود ودخل في عالم الشهود ممن أشهدهم الله خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم ونظروا إلى نور العظمة بقدر سم الإبرة فطوت لهم الجهات والحيثيات فرأوا البعد في عين القرب والدخول في

عين الخروج والظهور في عين الخفاء وليس أولئك إلا من أطلعه الله على غيبه كما قال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء﴾[1] وقال أيضا عز وجل ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[2] والغيب عن الأبصار والبصاير ذلك النور الباهر الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل (**أطفئ السراج فقد طلع الصبح**) فالصبح غيب لا يظهر إلا بعد كشف ظلمات الليل وهو شئونات الكثرة، والرسل على سبيل الحقيقة أهل المجاز وعلى سبيل المجاز هو الحقيقة كما روي في تفسير قوله تعالى ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[3] فعن النبي صلى الله عليه وآله أما النبيون فأنا وأما الصديقون فأخي علي بن أبي طالب وأما الشهداء فعمي حمزة وفي رواية أخرى هو الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأما الصالحون فابنتي فاطمة وذريتها الطيبون[4] وفي رواية

---

(١) سورة آل عمران ١٧٩

(٢) سورة الجن ٢٦ - ٢٧

(٣) سورة النساء ٦٩.

(٤) بحارالأنوار ٢٥ / ١٦ عن أنس بن مالك قال بينا رسول الله ص صلى صلاة الفجر ثم استوى في محرابه كالبدر في تمامه فقلنا يا رسول الله إن رأيت أن تفسر لنا هذه الآية قوله تعالى فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ فقال النبي ص أما النبيون فأنا و أما الصديقون فعلي بن أبي طالب و أما الشهداء فعمي حمزة و أما الصالحون فابنتي فاطمة و ولداها الحسن و الحسين فنهض العباس من زاوية المسجد إلى بين يديه ص و قال يا رسول الله أ لست أنا و أنت و علي و فاطمة و الحسن و الحسين من ينبوع واحد قال ص و ما وراء ذلك يا عماه قال لأنك لم تذكرني حين ذكرتهم و لم تشرفني حين شرفتهم فقال رسول الله ص يا عماه أما قولك أنا و أنت و علي و الحسن و الحسين من ينبوع واحد فصدقت و لكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية و لا أرض مدحية و لا عرش و لا جنة و لا نار كنا نسبحه حين لا تسبيح و نقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فنور العرش من نوري و نوري من نور الله و أنا أفضل من العرش ثم فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة فنور الملائكة من نور ابن أبي طالب و نور ابن أبي طالب من نور الله و نور ابن أبي طالب أفضل من الملائكة و فتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق السماوات و الأرض فنور السماوات و الأرض من نور ابنتي فاطمة و نور فاطمة من نور الله و فاطمة أفضل من السماوات و الأرض ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس و القمر فنور الشمس و القمر من نور الحسن و نور الحسن من نور الله و الحسن أفضل من الشمس و القمر ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة و الحور العين فنور الجنة و الحور العين من نور الحسين و نور الحسين من نور الله و الحسين أفضل من الجنة و الحور العين ثم إن الله خلق الظلمة بالقدرة فأرسلها في سحائب البصر فقالت الملائكة سبوح قدوس ربنا مذ عرفنا هذه الأشباح ما رأينا سوءا فبحرمتهم إلا كشفت ما نزل بنا فهنالك خلق الله تعالى قناديل الرحمة و علقها على سرادق العرش فقالت إلهنا لمن هذه الفضيلة و هذه الأنوار فقال هذا نور أمتي فاطمة الزهراء فلذلك سميت أمتي الزهراء لأن السماوات و الأرضين بنورها ظهرت و هي ابنة نبيي و زوجة وصيي و حجتي على خلقي أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم و تقديسكم لهذه المرأة و شيعتها إلى يوم القيامة فعند ذلك نهض العباس إلى علي بن أبي طالب و قبل ما بين عينيه و قال يا علي لقد جعلك الله حجة بالغة على العباد إلى يوم القيامة

أخرى وحسن أولئك رفيقاً هو القائم المنتظر عجل الله فرجه وسهل مخرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره. إنما قلنا على سبيل المجاز لأن إطلاق الجمع على المفرد عندهم مجاز وإنما قلنا على سبيل الحقيقة أهل المجاز فمرادنا أن نجعل الجمع على عمومه فالمراد بالرسل كافة الأنبياء بل الملائكة عليهم السلام إنما قلنا لهم أهل المجاز لأنهم التابعون المخلوقون من شعاع أنوار آل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين والتابع مجاز للمتبوع والمراد بالرسل ماهو أعم من التوسط في الوحي التكويني والتشريعي وهم أهل السر وقد جعل الله سبحانه سر توحيده الذي هو سر الاسم الأعظم عندهم وبذلك فضلوا على العالمين كما في الدعاء **(وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين وبه أبنتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين حتى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً)**[1] فبذلك السر نالوا من التوحيد مالم تنله أيدي أحد من الخلق كما قال النبي صلى الله عليه وآله **(ياعلي ماعرف الله إلا أنا وأنت)** وهم المستحفظون لأمره وهو الأمر الفعلي والمفعولي وقد قال عز وجل في الحديث القدسي **(ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)** فكل ماسوى الذات وسعه القلب المطهر لأن الذات الأزل سبحانه وتعالى لا يسعه شئ وكل السوى داخل في عموم حيطة قول ((كن)) الذي هو الأمر الفعلي وتأكيده وصفته التي هي الأمر المفعولي وهم محل لذلك الأمر كالحديدة المحماة بالنار فإنها محل لآثار النار وظهوراتها والنار هي الفعل فهم محل للفعل وقد قالوا سلام الله عليهم (نحن محال مشية الله وألسنة إرادته).

فإذا عرفت هذا فالله سبحانه يقول **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[2] وقال تعالى **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾**[3] وغيرهما

(١) بحار الأنوار ٩٧ / ٣٠٩.
(٢) سورة يس ٨٢.
(٣) سورة الروم ٢٥.

من الآيات ولا يمكنني أن أتكلم في هذا المقام أكثر من هذا الكلام لما أرى في قلوب الناس من وسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس والحكم لله العلي الكبير، وهم عليهم السلام خزانه القائمون بشريعته في الشرعين أي الشرع الوجودي و الوجود الشرعي ومعنى الخزان أنهم أم الكتاب أو أن عندهم أم الكتاب وعلم الكتاب وما فرطنا في الكتاب من شئ فكل خير وحق ومدد وجودي وإمدادي واستمدادي كله مخزون عندهم ثم منهم ينتشر في العباد والبلاد كما في الزيارة (**وأشهد أن الحق لكم ومعكم وفيكم وبكم**) وفيها (**إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه**)[1] فافهم راشداً واشرب صافياً.

وهؤلاء هم الذين عرفهم الله سر هذه المسألة أي الدخول والخروج والقرب والبعد من غير اقتران وانتساب وارتباط وعقل كل أحد عاجز عن فهمه وهم المختصون به دون سواهم وهذا من الأحاديث التي قالوا عليهم السلام (**إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله أحد حتى الملك المقرب أو النبي المرسل أو المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان قيل فمن يحتمله قال عليه السلام نحن نحتمله**)[2] وهذا الحديث أي حديث أمير المؤمنين عليه السلام (**داخل لا بالممازجة وخارج لا بالمباينة**) وفي آخر (**داخل لا كدخول شئ في شئ وخارج لا كخروج شئ عن شئ**) خاص فهمه وإدراكه بهم سلام الله عليهم يخاطب به بعضهم بعضاً كما صرح به الإمام الرضا عليه السلام في هذا الكلام الشريف.

وأما البيان الظاهري لأهل الرسوم في تحقيق هذا الدخول و الخروج فهو أنه سبحانه وتعالى داخل في الأشياء بآثارفعله وأسمائه وصفاته بحيث كانت الأشياء كلها مظاهر أسمائه وصفاته وكل حادث من الحوادث دال على اسم

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٢) بصائر الدرجات ٢٣.

من أسمائه داخل في حقيقته بل هو عين حقيقته فيعرف الله به وهو سبحانه وتعالى خارج عنها بذاته وحقيقته فإن الأشياء كلها لا ذكر لها عنده كما صرح به قول مولانا الباقر عليه السلام كما في الكافي (**إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه**) وهذا في الذات لا أن هذه النسبة أي نسبة البينونة موجودة في الذات كلا وحاشا وإنما أردت التعبير عن نفسي بل الأشياء لا ذكر لها هناك حتى تسلب وتنفى أو تثبت و توجد فالنفي والإثبات والسلب والإيجاب كلاهما منتفيان في رتبة الذات ولذا قال عليه السلام (**خارج لا كخروج شئ عن شئ**) إذ لا تجد شيئاً ينفى عن الآخر إلا وذلك الآخر مذكور في الشئ الخارج غير الحق القديم تبارك وتعالى إذ لا ذكر لغيره عنده وغيوره تحديد لما سواه وهذا هو البيان الرسمي لهذا الكلام الشريف.

وأما البيان الحقيقي فكما قال عليه السلام وروحي له الفداء لقد كلت دونه البصاير والأبصار إن في ذلك لذكرى لأولي الأبصار ويجوز أن تقول أن شيعتهم المخلصين وأولياءهم المقربين يدخلون معهم بالتبعية لأنهم منهم لقوله تعالى ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[1] فيشملهم الإعلام و المعرفة ولو بحسب مقامهم ورتبتهم فيعرفون رشحاً من قطرات بحار تلك الأنوار لأنهم ممن جاسوا خلال تلك الديار وذلك بعد أن يظهر لهم سر من نور العظمة ويكشف عنهم حجب الإنية وأولئك الأقلون أعز من الكبريت الأحمر وذلك البيان لا يكتب في السطور وإنما يكتم في الضماير والصدور.

ثم قال عليه السلام تأكيداً للبيان وزيادة للتبيان (**إنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئاً فإنما يقول له كن فيكون بمشيته وإرادته**) يعني أن تراه من تحقق الأسباب وإجراء أحكام المسببات والفور والتراخي في الأزمنة

---

(١) سورة إبراهيم ٣٦ .

والساعات والتقديم والتأخير في الحالات ليس لأجل أن الله عز وجل لا يقدر على الفعل إلا بالتدريج كلا بل أمر الله واحد وتحققه كلمح البصر أو هو أقرب أي بل أقرب بقرب لا نهاية له فإن آصف بن برخيا أتى بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى الشام في أقل من لمح البصر بسر حرف من حروف الاسم الأعظم الذي نسبته إلى هذا الأمر الفعلي الذي ذكره عليه السلام نسبة جزء من مائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف جزء من رأس الشعير وأستغفر الله عن التحديد بالقليل فكيف إذاً نسبة الأمر الأول الإيجادي الذي كل الأشياء إنما تحققت به وإنما ذكره لمح البصر اقتداء بكتاب الله وإنما ذكره الله عز وجل لكون هذا أقرب الأشياء عند الناس فيما يفهمون ويعقلون و بالجملة فأمر الله تعالى واحد جاري أوجده الله تعالى لا من شئ.

ولما أراد في الحكمة أن يخلق الأشياء بالاختيار وبترتب الأسباب جعل لظهور ذلك الأمر أسباباً تظهر شئون ذلك الأمر الموجود المتحقق ولذا قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] قال عليه السلام **(شئون يبديها لا يبتديها)** ومثاله نور الشمس فإنه موجود إذا وجد الشمس إلا أن لظهوره أسباباً من الأجسام الكثيفة كالجدار والأرض وغيرهما وأما النور فموجود واحد متحقق كلمح البصر أو هو أقرب فنور الشمس هو مثال الأمر الفعلي في مقام والمفعولي في مقام آخر وظهوره بحسب وجدان الجسم الكثيف يتراخى ويتقدم ويتأخر كذلك الموجودات فأصل الفيض التكويني الذي منه سبحانه قد تحقق ووجد وأما القابليات والماهيات التي تحصل بقرانات الصور والطبايع والهيئات والأوضاع والأسباب والمسببات التي تحققها به تعالى لا منه فهي التي تتقدم وتتأخر فيظهر ذلك النور الأمري فيها على

(١) سورة الرحمن ٢٩.

حسبها متقدماً ومتأخراً فأمره واحد جاري مستمر بلا انقطاع أبد الأبد ودهر السرمد والتغييرات بالقابليات وهو أحد معاني قوله ﷺ (جف القلم بما هو كائن). أو نقول أمر الله سبحانه في إيجاد الكائنات و المكونات من الأزل إلى الأبد إلى يوم القيامة وما وراها إلى ما لا نهاية له كل ذلك عند الله سبحانه موجود قد تعلق به الأمر الإيجادي و التكويني بدون تراخي زمان وإنما هو كلمح البصر أو هو أقرب لأن الله سبحانه لايستقبل ولا ينتظر ولا يتجدد عنده شيء لم يكن قبل ولايجري عليه المضي والحال والاستقبال فكل شيء عنده موجود حين وجوده قبل وجوده ولكنا نحن لما كان ليس لنا تلك الإحاطة فنتقلب في الأحوال ونشاهد الماضي والاستقبال والحال ولا كذلك القادر الحي القديم المتعال وهذا أحد معاني قوله عليه السلام (**جف القلم بما هو كائن**).

ولا تتوهم أنه كما يقولون أن الله قد فرغ من الأمر لأنه قد أحدث ما أحدث سبحانه سبحانه وتعالى عما يقولون لا تعطيل لفيضه ولا نفاد لمدده ولا انقطاع لجوده وليس هنا مضي ولا حال ولا استقبال فكيف يتصور فرغ ومضى هذا قول اليهود ﴿ **يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء** ﴾[1] فهو سبحانه إذا نسبت الأشياء إليه تعالى فهي عندفعله وقدرته منقطعة محدودة وأما هي في نفسها فلا انقطاع لها ولا لتجددها وهو قوله تعالى ﴿**عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ وكل هذه الأحوال الغير متناهية كلها أحوال الأمر الذي بين الكاف والنون في قوله (كن) وهو نهر يجري من هذين البحرين بحر الكاف والنون والعرش على ذلك الماء ويجري

---

(١) سورة المائدة ٦٤.

(٢) سورة هود ١٠٨.

كالفلك على ذلك البحر الذي هو النهر ولا نهاية لذلك النهر ولا نفاد لذلك السير وهو يسير وهذا يجري بين الجبلين جبل الكاف وجبل النون وهما حرفان قد تكلم بهما متكلم القدرة فلنقبض العنان فللحيطان آذان و تعيها أذن واعية وهذا الأمر المؤلف من الحرفين عنده تعالى أقرب من لمح البصر بل هو أقرب بما لانهاية له سبحانه من عظيم ما أعظمه ومن قدير ما أقدره كذلك الله ربنا لا إله إلا هو له الحكم وإليه ترجعون.

ثم بعد ما أوضح عليه السلام الحق وبين الصدق وأبان عن اضمحلال الحوادث واستقلال الحق القادر بما لامزيد عليه أراد أن يزيل ما ربما يتوهم أن هذه الترتيبات الكائنة في الوجود من العلل والأسباب بعضها أقرب إلى الله تعالى من الآخر حتى تعلق الجعل به دون غيره قال عليه السلام **(وليس شئ من خلقه أقرب إليه من شئ ولا شئ أبعد منه من شئ)** لما ذكره عليه السلام سابقاً أن الأشياء لا نسبة لها مع الذات والروابط كلها منقطعة عنده فأين نسبة القرب والبعد ثم إن نسبة الحوادث و المفعولات كلها إلى قدرة الفاعل وهيمنته واستيلائه نسبة واحدة ليس شئ أقرب منه إلى شئ ولا أبعد منه كذلك وهو القادر المهيمن المستولي على الكل بنسبة واحدة والقادر على تقديم ما قدم وتأخير ما أخر لكنه سبحانه لما خلق الأشياء على جهة الاختيار و التكليف وجعل لها قوابل واستعدادات وتمكينات وتمكنات و أسباباً لينالوا بها تلك القابليات فمن مقدم بقابليته ومؤخر بها وتابع بقابليته ومتبوع بها وسافل بها وعال بها وهكذا فنسب الأشياء بعضها ببعض متفاوتة وأما بالنسبة إليه تعالى وقدرته وهيمنته واستيلائه نسبة واحدة وحكم واحد لا اختلاف فيه كما قال عز من قائل ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[1] ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ

---

(١) سورة الملك ٣.

(٢) سورة النساء ٨٢.

اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2] وغيرهما من الآيات وفي الحديث في تفسير الرحمن على العرش استوى قال عليه السلام (**استوى على العرش فليس شئ أقرب منه تعالى إلى شيء**) وهذا معلوم واضح وأما سر اختلاف القابليات وتفاوت الاستعدادات ووجه التقديم والتأخير فهو من أصعب ما يرد على العلماء وقد شرحت هذه المسألة بما يمكن أن يبين ويقال في أجوبة المسائل التي فيها إثبات النبوة الخاصة والولاية الخاصة بدليل العقل.

فلما أبان عليه السلام عن حقيقة التوحيد بما ليس عليه مزيد قال (**أفهمت ياعمران**) ما أرشدتك إليه من نور الحق وحقيقة الصدق ولما عرف عمران ذلك ووجد البيان بياناً لا يمكن لغيره عليه السلام أن يأتي بمثله وأتى بمخ الصدق ومحض الحق وأشار إلى عجايب من الأسرار، ولوح إلى غرايب من العلوم والأنوار ورأى الحق واضحا كالشمس في رابعة النهار وأدركته عناية الله الواحد القهار فصدق وسلم وقال: **نعم ياسيدي فهمت وأشهد أن الله على ما وصفت ووحدت وأن محمدا صلى الله عليه وآله عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ثم خر ساجدا نحو القبلة وأسلم.**

إلى هنا انتهى ما أردنا شرحه من هذا الحديث الشريف الذي هو من معضلات الأخبار ولكنا نذكر تمام الحديث تيمنا وتبركا وإن كان ليس فيه ما يحتاج ظاهرا إلى الشرح وإن كان كلامهم عليهم السلام كله منطويا لأسرار لا تحتملها أولوا الأفئدة والأبصار فلنذكر الحديث.

قال الحسن بن محمد النوفلي فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابئ و كان جدلا لم يقطعه عن حجته أحد قط لم يدن من الرضا ع أحد منهم و لم يسألوه عن شيء و أمسينا فنهض المأمون و الرضا ع فدخلا و انصرف الناس و كنت مع جماعة من أصحابنا إذ بعث إلي محمد بن جعفر فأتيته فال لي

يا نوفلي أ ما رأيت ما جاء به صديقك لا و الله ما ظننت أن علي بن موسى عليه السلام خاض في شيء من هذا قط و لا عرفناه به أنه كان يتكلم بالمدينة أو يجتمع إليه أصحاب الكلام قلت قد كان الحاج يأتونه فيسألونه عن أشياء من حلالهم و حرامهم فيجيبهم و ربما كلم من يأتيه يحاه فقال محمد بن جعفر يا أبا محمد إني أخاف عليه أن يحسده هذا الرجل فيسمه أو يفعل به بلية فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء قلت إذا لا يقبل مني و ما أراد الرجل إلا امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم آبائه عليهم السلام فقال لي قل له إن عمك قد كره هذا الباب و أحب أن تمسكعن هذه الأشياء لخصال شتى فلما انقلبت إلى منزل الرضا ع أخبرته بما كان من عمه محمد بن جعفر فتبسم ثم قال حفظ الله عمي ما أعرفني به لم كره ذلك يا غلام صر إلى عمران الصابئ فأتني به فقلت جعلت فداك أنا أعرف موضعه و هو عند بعض إخواننا من الشيعة قال فلا بأس قربوا إليه دابة فصرت إلى عمران فأتيته به فرحب به و دعا بكسوة فخلعها عليه و حمله و دعا بعشرة آلاف درهم فوصله بها فقلت جعلت فداك حكيت فعل جدك أمير المؤمنين عليه السلام قال هكذا يجب ثم دعا عليه السلام بالعشاء فأجلسني عن يمينه و أجلس عمران عن يساره حتى إذا فرغنا قال لعمران انصرف مصاحبا و بكر علينا نطعمك طعام المدينة فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلمون من أصحاب المقالات فيبطل أمرهم حتى اجتنبوه و وصله المأمون بعشرة آلاف درهم و أعطاه الفضل مالا و حمله و ولاه الرضا ع صدقات بلخ فأصاب الرغائب

هذا آخر الحديث والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وقد فرغ من تسويد هذه الأوراق منشيها ومؤلفها عصر يوم الاثنين السابع من شهر شوال المكرم في سنة ١٢٤١ حامدا مصليا مسلما مستغفرا.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ	٢	التغابن	٩
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ	١٣	الحديد	١١
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً	٢٠	لقمان	١٧
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ	٣	**الحديد**	٢٦
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ	١٤	**المؤمنون**	٢٩
وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي	١١٠	المائدة	٢٩
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا	١٧	العنكبوت	٢٩
قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ	١٦	الرعد	٣٠
هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ	٣	فاطر	٣٠
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ	٤٠	فاطر	٣٠
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٢٨	يس	٣٢
مِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ	٢٥	الروم	٣٢
يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ	٢	النحل	٣٢
عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ	٢٦ – ٢٧	الأنبياء	٣٢
وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا	١٥	القصص	٣٤
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ	٢٥	الحج	٣٩
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ	٤٠	الحج	٤٠
مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ	٤	الأحزاب	٥٠
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٨٢	يس	٥٣
يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	١٠	الفتح	٥٤

وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	١٧	الزمر	٥٤
وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ	٢٤	النمل	٥٨
انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً	٢١	الإسراء	٦٧
اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	١٢٤	الأنعام	٦٨
بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ	١٥٥	النساء	٨٦
فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً	١٣	المائدة	٦٨
فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ	١٢٥ - ١٢٦	الأنعام	٦٨
قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّماوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لاَ تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ	٢٣ - ٢٨	الشعراء	٨١
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي	٢٩	الحجر	٨٣
وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ	٥٩	الأنعام	٨٣
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	٢١	الأحزاب	٨٥
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٨٢	يس	٨٦
وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ	٧٦	الزمر	٩٢
يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	١٠	الفتح	٩٢
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	٦٤	المائدة	٩٢
وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ	٤٧	الذاريات	٩٢

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ	٢٥٥	البقرة	٩٤
وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ	٤	الزخرف	٩٤
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا	٥٤	الفرقان	٩٤
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ	٢٤	النمل	٩٥
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ	٤٥	الحج	٩٦
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ	١١٠	الكهف	٩٦
خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ	١٠٢	التوبة	٩٧
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ	٤٠	النور	٩٧
تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ	٩٨ – ١٠١	الشعراء	٩٧
وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ	١٠١	التوبة	٩٧
وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ	٣١	المدثر	١٠٠
وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ	١٦٤-١٦٦		
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ	٨٨	النمل	١٠٣
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ	٥٤	الأعراف	١٠٤
عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ	١ – ٣	النبأ	١ – ٣
إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ	٧	الرعد	١٠٥
وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ	٥	إبراهيم	١٠٥
وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ	١	الطلاق	١٠٥
أَوَ لا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً	٦٧	مريم	١١١
وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى	١٧	الأنفال	١١٢
وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ	٣٠	الإنسان	١١٢
اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٣٥	النور	١٢١
اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ	٢٥٧	البقرة	١٢٢
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ	٥٣	فصلت	١٢٤

بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ	٥٤	فصلت	١٣١
وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ	١٦٤	الصافات	١٣٩
وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ على المَلائِكَةِ فقال أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ	٣١	البقرة	١٤٠
بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ	٤٥	آل عمران	١٤٦
وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ	٥١	القصص	١٤٦
وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ في السَّموات وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ	١٠٥	يوسف	١٤٨
يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَأَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ	٨٣	النحل	١٤٨
وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ	١٤	النمل	١٤٨
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي	٣	المائدة	١٤٨
سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ	١٨٠	الصافات	١٤٩
فَلا تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ	٧٤	النحل	١٤٩
مَعاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ	٧٩	يوسف	١٥٠
سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلاَّ عِبادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ	١٥٩-١٦٠	الصافات	١٥٠
سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ	١٨٠-١٨١	الصافات	١٥٠
أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الأُنْثى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى	٢١-٢٢	النجم	١٥١
وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ	٢٦	النحل	١٥١
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ	٥٨ - ٥٩	النحل	١٥١
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا	٤٥	الأحزاب	١٥١
مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	٣٥	النور	١٥٢

فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا	١٢٥-١٢٦	الأنعام	١٥٥
صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ	٨٨	النمل	١٥٥
هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ	٧	آل عمران	١٥٦
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ	٩	الزمر	١٥٦
فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا	٥١	الأعراف	١٥٦
نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ	٦٧	التوبة	١٥٦
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ	٩	النحل	١٦٠
لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ	١٦-١٩	القيامة	١٦٠
قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ	١٦	الرعد	١٦٥
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ	١	الأنعام	١٦٥
بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ	٤٥	آل عمران	١٦٩
فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ	٣٧	البقرة	١٦٩
وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ	١٢٤	البقرة	١٧٠
وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	٢٧	لقمان	١٧٠
وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ	٥١	القصص	١٧٠
ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً	٤٥	الفرقان	١٧١
وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ	٢١	الحجر	١٧٢
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ	٨٨	النمل	١٧٦
اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ	٣٥	النور	١٧٧
قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ	٢٨	الزمر	١٨٤

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ	١٣	الحجرات	١٨٧
فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ	١٠١	المؤمنون	١٨٧
وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا	٥	النساء	٢٢٥
وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ	١٦٤ - ١٦٥	الصافات	٢٢٨
وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائه	١٨٠	الأعراف	٢٣٣
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي	٢٩	الحجر	٢٤٠
وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ	٢١	الحجر	٢٤٥
وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً	٩	الأنعام	٢٤٦
وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ	٩	النحل	٢٤٦
لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ	١٦-١٨	القيامة	٢٤٦
مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُور	٣	الملك	٢٤٧
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ	٤	الملك	٢٤٧
مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	٢٨	لقمان	٢٤٧
وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ	٤٣	العنكبوت	٢٤٧
وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ	١٠٥	يوسف	٢٤٧
قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ	١٠١	يونس	٢٤٧
كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً	٢٥٥	البقرة	٢٤٧
لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ	١٠٣	الأنعام	٢٤٧
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ	٢٢-٢٣	القيامة	٢٤٧
إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ	١٠	الفتح	٢٤٨

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ	٨٠	النساء	٢٤٨
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	١١	الشورى	٢٤٨
وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ	٤٣	العنكبوت	٢٤٨
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ	١٢	يس	٢٤٩
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا	٢٩	النبأ	٢٤٩
تِبْيَانًا لِكُلِّ	٨٩	النحل	٢٤٩
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ	١١١	يوسف	٢٤٩
مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ	٣٨	الأنعام	٢٤٩
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ	٤٣	الرعد	٢٥٠
وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	٨٥	هود	٢٥١
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ	٩	الرحمن	٢٥١
فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ	٤٨	المائدة	٢٥١
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	٢٩	الرحمن	٢٥٤
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا	١٠٣	آل عمران	٢٦٩
لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم	٦٣	الأنفال	٢٦٩
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	٢٩	الزمر	٢٦٩
وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا	٨٢	النساء	٢٦٩
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً	٢١	الروم	٢٦٩
وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ	٤٩	الذاريات	٢٦٩
عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ	١ - ٣	النبأ	٢٧٠
قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ	٦٧-٦٨	ص	٢٧٠
وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ	٥	يونس	٢٧٠

تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ	٥١	الأحزاب	٢٧٠
فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ	٧	آل عمران	٢٧٢
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ	٤	العنكبوت	٢٧٣
ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ	١	القلم	٢٧٧
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً	٤٥	الفرقان	٢٨٥
وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا	١٠٣	آل عمران	٢٩٢
ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ	٤٠	الحج	٢٩٣
اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	٤٢	الزمر	٢٩٤
قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ	١١	السجدة	٢٩٤
قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ	١٦	الرعد	٢٩٤
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	٤٠	الروم	٢٩٤
وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي	١١٠	المائدة	٢٩٤
وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ	١١	الجمعة	٢٩٤
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ	١٤	المؤمنون	٢٩٤
وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ	٢٥	الروم	٢٩٤
قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي	٨٥	الإسراء	٢٩٤
ولقد أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ	٥٢	الشورى	٢٩٤
يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ	٢	النحل	٢٩٤
وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ	٥٠	القمر	٢٩٥
وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ	١٢	السجدة	٢٩٥

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه	١٥٣	الأنعام	٢٩٧
قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ	٤١	الحجر	٢٩٧
رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا	٢٩	الزمر	٢٩٧
وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُوم	٢١	الحجر	٢٩٨
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ	١٢-١٤	المؤمنون	٢٩٨
فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا	٦٥	النساء	٢٩٩
وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا	٨٢	النساء	٣٠٤
وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ	١٩-٢٠	الأنبياء	٣٠٤
ولولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله	٤٠	الحج	٣٠٨
وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء	١٧٩	آل عمران	٣١٠
عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ	٢٦-٢٧	الجن	٣١٠
فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا	٦٩	النساء	٣١٠
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٨٢	يس	٣١١
وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِه	٢٥	الروم	٣١١

فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي	٣٦	إبراهيم	٣١٣
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	٢٩	الرحمن	٣١٤
يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء	٦٤	المائدة	٣١٥
عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ	١٠٨	هود	٣١٥
مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ	٣	الملك	٣١٦
وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا	٨٢	النساء	٣١٦

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
إن الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده والهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجمع صور العالمين وهي الشاهد على كل غائب والحجة على كل جاحد وهي الصراط المستقيم وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار	١١
الصابئون قوم لا مجوس ولا يهود ولا نصارى، ولا مسلمون ولكنهم يعبدون الكواكب والنجوم	١٢
سمي الصابئون لأنهم صبوا إلى تعطيل الأنبياء والرسل والشرائع وقالوا كل ما جاءوا به باطل فجحدوا توحيد الله تعالى ونبوة الأنبياء ورسالة المرسلين ووصية الأوصياء فهم بلا شريعة ولا كتاب ولا رسول	١٤
ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان	١٦
النور الإلهي المحبوب عند الله تعالى حين قال الله تعالى أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر ثم قال له عند كمال الامتثال ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك	١٦
إن النعم الظاهرة هي الأنبياء والنعم الباطنة هي العقول	١٧
نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا	٢٠
بنا عرف الله وبنا عبد الله ولولانا ما عرف الله و ما عبد الله	٢٠
ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن	٢٢
يا ابن عباس لن تجد حقا بيد أحد من الخلق إلا بتعليمي وتعليم علي عليه السلام	٢٢
وأنت الأول في أوليتك وعلى ذلك أنت دائم لا تزول	٢٥
لم يسبق له حال حالا ليكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا	٢٦
خَلَقَ اللهُ الْمَشيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِالْمَشيئَةِ	٢٧
أول ما خلق الله الهواء	٢٨
أول ما خلق الله الماء	٢٨
أول ماخلق الله نور نبيك ياجابر	٢٨
الذي كنا بكينونته قبل الخلق وقبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين أزليين منه بدئنا وإليه نعود لأن الدهر فينا قسمت حدوده ولنا أخذت عهوده وإلينا برزت شهوده	٢٨

وهو المكون ونحن المكان وهو المشيء ونحن الشيء وهو الخالق ونحن المخلوقون وهو الرب ونحن المربوبون وهو المعنى ونحن أسماؤه وهو المحتجب ونحن حجبه كائنين غير مكونين نسبحه ونمجده ونقدسه في ستة أكوان كل كون منها ماشاء الله من المدا	٢٨
أول ماخلق الله القلم	٢٨
أول ما خلق الله العقل	٢٨
أول ما خلق الله تعالى عقلي	٢٨
أول ما خلق الله تعالى روحي	٢٨
إن الله سبحانه يبعث ملكين خلاقين يقتحمان رحم المرأه من فمها ويقولان يا ربَنا كيف نخلقه ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً	٣٠
إن الله سبحانه خلق ملكاً وفوض إليه أمر السموات والأرضين فخلق سموات وأرضين ثم قال من مثلي فأرسل الله إليه نويرة من نار، قيل ما النويرة؟ قال ﷺ: نار بقدر الأنملة فاستقبلها بجميع ما خلق فتخللها إلى أن وصلت إليه لمّا أن دخله العجب	٣٠
من قال نحن خالقون بأمر الله فقد كفر	٣١
كل شيء سواك قام بأمرك	٣٢
يا إنسان اعرف نفسك تعرف ربك ظاهرك للفناء وباطنك أنا	٣٤
كان الله ولم يكن معه شيء	٣٧
فإن قيل كان فعلى أزلية الوجود وإن قيل موجود فعلى تأويل نفي العدم	٣٩
لم يسبق له حال حالاً ليكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً	٣٩
خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ	٤١
أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب	٥١
الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَ مَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ	٥٣
أوتيت جوامع الكلم	٥٨
لم يسبق له حال حالا فيكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا	٦٠
إن قيل كان فعلى معنى أزلية الوجود وإن قيل موجود فعلى تأويل نفي العدم	٦٦
الفقر فخري	٦٧
كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف	٦٩
فهل ثمة شيء فيكون الله أكبر منه	٧٢

وَ لَا كَانَ خلْواً مِنْ الْمُلْك قَبْلَ إِنْشَائِه	٧٢
وإنما قال للشي كن فيكون بلا لفظ ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له	٧٤
اللفظ إما ظاهر أو مضمر أو ليس بظاهر ولا مضمر	٨٠
إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها	٨٠
يا آدم روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي	٨٣
وقلبه الواعي	٨٣
خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ	٨٤
ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم	٨٧
إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها	٨٨
رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله	٨٩
ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن	٩١
السلام على شهور الحول وعدد الساعات وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات	٩٢
نحن السائلون ونحن المجيبون	٩٦
لأني كنت أول من آمن وأجاب لما سأل الله تعالى ألست بربكم	٩٦
أنا الذي أتقلب في الصور كيف شاء الله	٩٦
إنهم قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ولما سأل موسى ربه ماسأل أمر رجلاً منهم فتجلى له بقدر سم الإبرة فدك الجبل وخر موسى صعقا	١٠٠
مَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ آيَةٌ هِيَ أَكْبَرُ مِنِّي وَ لَا للهِ مِنْ نَبَإٍ أَعْظَمُ مِنِّي	١٠٤
يا علي ما اختلف في الله ولا في وإنما الاختلاف فيك يا علي	١٠٥
أنا المنذر وعلي الهادي	١٠٥
إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها	١١٠
رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله، صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له	١١٠
الفعل ما أنبأ عن حركة المسمى	١١١
الفقر فخري وبه أفتخر	١١٢
وأما إرادة الله فإحداثه لاغير لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون بغير لفظ ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له	١١٧

الدال دنوه من الله بلا كيف ولا إشارة	١١٨
إنا لأشد اتصالا بالله من شعاع الشمس بالشمس وشيعتنا أشد اتصالا بنا من شعاع الشمس بالشمس	١١٨
من عرف الفصل من الوصل والحركة من السكون فقد بلغ القرار في التوحيد	١١٨
لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة بمشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب فمن زعم أنه يقدر على نقص (نقض) واحدة منهن فقد كفر	١١٩
ولم تجعل للخلق طريقا إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك	١٢٠
صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له	١٢١
نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا	١٢٢
كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف	١٢٣
خَلَقَ اللهُ الْمَشيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشيئَةِ	١٢٤
انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله	١٢٤
لا يرى فيه نور إلا نورك ولا يسمع فيه صوت إلا صوتك	١٢٦
كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم	١٣١
داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عنها لا كخروج شيء عن شيء	١٣١
إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه	١٣٢
إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها	١٣٩
فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين	١٣٩
ولا يطمع في إدراكه طامع	١٣٩
إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها	١٤١
بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت	١٤١
كشف سبحات الجلال من غير إشارة ومحو الموهوم وصحو المعلوم	١٤٢
من عرف نفسه فقد عرف ربه	١٤٢
إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير	١٤٢
لو عرفت الله بمحمد ﷺ لجحدت ولو عرفت محمدا ﷺ بالله لكفرت	١٤٢
نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا	١٤٢

بنا عرف الله وبنا عبد الله	١٤٢
نحن الكلمات التي لا يستقصى فضلنا ولا يستحصى	١٤٦
كشف سبحات الجلال من غير إشارة، ومحو الموهوم وصحو المعلوم، وهتك الستر لغلبة السر، نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره، وجذب الأحدية لصفة التوحيد، وأطفئ السراج فقد طلع الصبح	١٤٨
ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك النعوت وحارت في كبريائك لطائف الأوهام	١٤٩
كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف	١٤٩
ولعل النمل الصغار تزعم أن لله زبانيتين	١٥١
لك يا إلهي وحدانية العدد	١٥١
كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم	١٥١
والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى	١٥١
إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف واحد منها لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من الخلق	١٥٣
ليس بينه وبين سائر خلقه بينونة عزلة بل بينونة صفة	١٥٣
صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له	١٥٤
لا يرى فيها نور إلا نورك ولا يسمع فيها إلا صوتك	١٥٤
كذلك أنت الله الأول في أوليتك وعلى ذلك أنت دائم لا تزول	١٥٥
لم يسبق له حال حالا ليكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا	١٥٩
كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم	١٦٠
أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة وكنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه	١٦٠
يا يونس تدري ما المشية قلت: لا، قال عليه السلام هي الذكر الأول، أتدري ما الإرادة، قلت: لا قال عليه السلام هي العزيمة على ما يشاء، قال: أتدري ما القدر، قلت: لا، قال عليه السلام هو الهندسة ووضع الحدود	١٦١
لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة فقد كفر	١٦٢
فهي بمشيتك دون قولك مؤتمرة وبإرادتك دون نهيك منزجرة	١٦٢

سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى .... وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم	١٦٢
لا تكون الإرادة إلا و المراد معه	١٦٢
إن العزيمة هي الإرادة	١٦٣
إن المشية والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل شائيا مريدا فليس بموحد	١٦٤
الاسم صفة لموصوف	١٦٥
صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له	١٦٥
ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب	١٦٦
وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء	١٦٦
أنت الذي ابتدء واخترع واستحدث وابتدع وأحسن صنع ما صنع	١٦٦
وأما إرادة الله فإحداثه لاغير لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون	١٦٧
نحن الكلمات التي لا يستقصى فضلنا و لا يستحصى	١٧٠
إن الله تبارك وتعالى تفرد في وحدانيته ثم تكلم ..... ونقدسه حيث لا شمس ولا قمر ولا عين تطرف ثم خلق شيعتنا وإنما سموا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع نورنا	١٧٠
وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم	١٧٤
علة ما صنع فعله وهو لا علة له	١٧٦
الفقر فخري وبه أفتخر	١٧٦
علة ما صنع فعله وهو لا علة له	١٧٦
لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك و خلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك	١٧٨
وأنا النقطة تحت الباء	١٧٩
السلام على الأصل القديم والفرع الكريم	١٨٢
وأرسله في العرب العرباء	١٨٤
إن من ولد في الإسلام فهو عربي	١٨٤
الناس ثلاثة عربي ومولى وعلج فأما العرب فنحن وأما المولى فمن والانا وأما العلج فمن تبرأ منا وناصبنا	١٨٤
نحن قريش وشيعتنا العرب وعدونا العجم	١٨٤
كل نسب ينقطع إلا نسبي	١٨٧
وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء	١٨٩
فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله	١٨٩

خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهرعللها و إذا فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد	١٩٠
نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره	٢٠١
إن علم الله السابق المشية	٢٠٢
ما من حرف إلا و هو اسم من أسماء الله عز و جل ثم قال أما الألف فالله لا إله إلا هو الحي القيوم و أما الباء فالباقي بعد فناء خلقه........... فقال رسول الله ص هذا هو القول الذي رضي الله عز و جل لنفسه من جميع خلقه	٢١٣
اللهم بألف الابتداء بباء البهاء بتاء التأليف بثاء الثناء........ بواو الوحدانية بلام ألف لا إله إلا أنت بياء يا ذا الجلال و الإكرام	٢١٣
لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام كان ابن يوم كأنه ابن شهرين فلما كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده و جاءت به إلى الكتاب ...... لكلماته سعفص صاع بصاع و الجزاء بالجزاء قرشت قرشهم فحشرهم فقال المؤدب أيتها المرأة خذي بيد ابنك فقد علم و لا حاجه له في المؤدب	٢١٤
سَأَلَ عُثْمَانُ رَسُولَ اللهِ عَنْ تَفْسِيرِ أَبْجَدْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَلَّمُوا تَفْسِيرَ أَبْجَدْ فَإِنَّ فِيهَا الْأَعَاجِيبَ وَيْلٌ لِعَالِمٍ جَهِلَ تَفْسِيرَهُ فَسُئِلَ رَسُولُ.......... بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ	٢١٤ - ٢١٥
كشف سبحات الجلال من غير إشارة ومحو الموهوم وصحو المعلوم و هتك الستر لغلبة السر	٢١٥
انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله	٢٢٨
ماوصل إليكم من فضلنا إلا ألف غير معطوفة	٢٢٨
أما المعرفة فوجه ذلك	٢٢٩
لشهادة كل صفة على أنها غيرالموصوف وشهادة كل موصوف على أنه غير الصفة وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث	٢٣١
من عبد الاسم دون المسمى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمسمى معاً فقد أشرك ومن عبد المسمى بإيقاع الأسماء عليه فذلك هو التوحيد	٢٣٢
ومن عبد المسمى دون الاسم فذلك التوحيد	٢٣٢
صفة استدلال عليه لاصفة تكشف له	٢٣٥
إن الله أجل من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به	٢٣٦
لو عرفت الله بمحمد لكفرت ولو عرفت محمداً بالله لحددت	٢٣٦

حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم	٢٣٦
اعرفوا الله بالله	٢٣٦
يا من دل على ذاته بذاته	٢٣٦
بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت	٢٣٦
كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف	٢٣٧
أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه	٢٣٧
من عرف نفسه فقد عرف ربه	٢٣٧
نحن الأعراف الذين لايعرف الله إلا بسبيل معرفتنا	٢٣٧
بنا عرف الله وبنا عُبِد	٢٣٧
ولولانا ما عرف الله	٢٣٧
ولولانا ما عُبد الله	٢٣٧
إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها	٢٣٧
فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله	٢٣٧
يا من دل على ذاته بذاته بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت	٢٣٧
اعرفوا الله بالله	٢٣٩
إن الله أجل أن يعرف بخلقه	٢٣٩
كشف سبحات الجلال من غير إشارة	٢٣٩
إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار إلى أن قال حتى أرجع إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيئ قدير	٢٤٠
يا آدم روحك من روحي وطبيعتك على خلاف كينونتي	٢٤٠
من عرف نفسه فقد عرف ربه	٢٤١
من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى معاً فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه فذاك هو التوحيد	٢٤٢
لايرى نور إلا نورك ولا يسمع صوت إلا صوتك	٢٤٤
أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى ...... عين لاتراك ولاتزال عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً	٢٤٤

تعرفت الي في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء بكل شيء	٢٤٤
لينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا أو عليكم التفريع	٢٤٥
اتصال التدبير وتمام الصنع	٢٤٧
نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وساير الناس غثاء	٢٤٩
وعلم الكتاب كله هنا	٢٥٠
خَلَقَ اللهُ الْمَشيئَةَ بنَفْسهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بالْمَشيئَة	٢٥٢
إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها	٢٥٣
إن الله تعالى أقام الأشياء بأظلتها	٢٥٣
بل تجلى لها بها	٢٥٣
شؤون يبديها لا شؤون يبتديها	٢٥٤
خَلَقَ اللهُ الْمَشيئَةَ بنَفْسهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بالْمَشيئَة	٢٥٤
كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم	٢٦٤
ما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي الذنوب	٢٦٨
يا من اسمه دواء وذكره شفاء	٢٦٩
كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم	٢٧٣
إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها	٢٧٣
نحن لا نعد الرجل من شيعتنا فقيهاً حتى يلحن له فيعرف اللحن	٢٧٩
إن الله خلو من خلق وخلقه خلو منه	٢٨٢
لا يشغله خلق شيء عن خلق شيء ولا علم شيء عن علم شيء ولا يفوته شيء ولا يؤده حفظه شيء	٢٨٣
وأما إرادة الله فإحداثه لا غير فإنه لا يروي ولا يهم و لا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون بلا لفظ و لا كيف لذلك كما أنه لا كيف له	٢٨٤
أول ماخلق الله عقلي) (أول ما خلق الله القلم) (أول ما خلق الله روحي)	٢٨٤
خَلَقَ اللهُ الْمَشيئَةَ بنَفْسهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بالْمَشيئَة	٢٨٧
تجلى لها بها وبها امتنع عنها	٢٨٨
وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الآمال دونك	٢٨٨
جذب الأحدية لصفة التوحيد	٢٩٠
لك يا إلهي وحدانية العدد	٢٩١
رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك	٢٩٣

انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله	٢٩٣
يا من استوى برحمانيته على العرش فصار العرش غيباً في رحمانيته كما كانت العوالم غيباً في عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الأعيان بمحيطات أفلاك الأنوار	٢٩٣
خَلَقَ اللهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ	٢٩٤
أنا الروح من أمر ربي	٢٩٥
من عرف نفسه فقد عرف ربه	٢٩٦
بل تجلى لها بها	٢٩٦
لم يكن خلواً من الملك قبل إنشائه	٣٠٢
أمرنا سر لايفيده إلا سر وسر مقنع بالسر	٣٠٢
إن الله أجل أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به	٣٠٤
داخل في الأشياء لا كدخول شيئ في شيئ وخارج عنها لا كخروج شيئ عن شيئ	٣٠٤
كلما رفعت لهم علماً وضعت لهم حلماً ليس لمحبتي غاية ولا نهاية	٣٠٥
لا يكون شيئ في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة بمشية وإرادة وقدر وقضاء إذن وأجل وكتاب فمن زعم أنه يقدر على نقص (نقض) واحدة منها فقد كفر	٣٠٩
أطفئ السراج فقد طلع الصبح	٣١٠
وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين وبه أبنتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين حتى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً	٣١١
ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن	٣١١
نحن محال مشية الله وألسنة إرادته	٣١١
وأشهد أن الحق لكم ومعكم وفيكم وبكم....إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه	٣١٢
إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله أحد حتى الملك المقرب أو النبي المرسل أو المؤمن الذي امتحن الله قلبه للإيمان قيل فمن يحتمله قال ﷺ نحن نحتمله	٣١٢
داخل لا بالممازجة وخارج لا بالمباينة	٣١٢
اخل لا كدخول شيئ في شيئ وخارج لا كخروج شيئ عن شيئ	٣١٢
إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه	٣١٣
خارج لا كخروج شيئ عن شيئ	٣١٣
شئون يبديها لا يبتديها	٣١٤
جف القلم بما هو كائن	٣١٥

استوى على العرش فليس شيء أقرب منه تعالى إلى شيء	٣١٧